

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الخامس - السنة السابعة
فبراير 1964 - شوال 1383
ثمن العدد 1.50 درهم

العدد الخامس
السنة السابعة
يبراير - 1964
شوال - 1383
ثمن العدد : 1,50 د

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



مدينة مراكش في فصل الشتاء (من مجموعة وزارة الانباء والسياحة والفنون الجميلة)

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ؛ والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

دراسات إسلامية

دار الحديث

أفق جديد في ثقافتنا الإسلامية

للأستاذ : عبد الله كنون

نص الخطاب الذي ألقاه السيد عبد الله كنون نيابة عن رابطة علماء المغرب بضريح مولاي الحسن بمناسبة ليلة القدر المباركة وتأسيس دار الحديث .

... مولاي صاحب الجلالة ...

في غمرة من النشوة الروحية والسرور النفسي تلقى شعبكم المومن بشرى عزمكم على احياء العلوم الاسلامية وبعثها من مرقدها وانشاء دار الحديث بعاصمة مملكتكم الشريفة وصلا لما انقطع او كاد من سند هذا العلم ورفعا لمناره الذي طمس بعدانافة واشعاع .

انها التفاتة الى الماضي ونظرة الى المستقبل وعمل للربط بينهما حتى تسير نهضة هذه البلاد في طريق لاحب من الاستجابة لرغبات الشعب والانسجام مع عناصر تكوينه النفسية والخلقية .

ولقد ادركتم ياصاحب الجلالة ان التطور الذي هو عامل طبيعي في حياة الامم والشعوب اذا ترك لشأنه ربما كان ضرره اكثر من نفعه كالماء الذي هو اصل الحياة لا بد لتجنب اخطاره من معالجته بحفر الترع وبناء السدود . فامرتم ابتداء من التعليم وهو حجر الزاوية في بناء صرح النهضة باعادة النظر في سياسته العامة ومراجعة برامجه التي يجب ان يكون عنصر التربية الدينية والخلقية مادة اساسية فيها لتكون الغاية هي تخريج متعلمين مؤمنين بانفسهم وبلادهم وبالتاريخ والحضارة الاسلاميين اللذين جعلا من هذه البلاد مركزا للاشعاع في القرون الوسطى بعد ان لم تكن شيئا مذكورا

وفي هذا الاطار اصدرتم ظهير تنظيم جامعة القرويين وتكوين كلياتها الثلاث واحراز كيانها من كل ادماج وتبعية والاعتراف لتعليمها بصفة الجامعة وتخويلها جميع الحقوق التي للتعليم العالي وها انتم الان تعززون ذلك بهذا المشروع الكبير وهو انشاء دار الحديث التي تكون مركزا التخصص في علم من اهم العلوم الاسلامية التي انما انشئت جامعة القرويين لدراستها ونشرها بين العام والخاص .

واذا كان هذا ما فعلتم في التعليم فلاشك ان ما ستفعلونه في العدل والشؤون الاجتماعية وكل ما يمس حياة الامة المغربية المسلمة من قريب او بعيد سيكون هدفه هو التخطيط والبناء في دائرة المحافظة على المقدسات وحماية المشخصات الاصلية للمجتمع المغربي النبيل العريق .

انكم يا صاحب الجلالة تريدون ان تكون نهضة البلاد في المحافظة والتجديد كالطائر بين جناحين لا يغلب احدهما على الاخر ليحلق في قوة واندفاع وهذه هي الحكمة والسداد . فنحن اذا نظرنا الى امجد عصور تاريخنا واحفلها بالعظمة والسؤدد وازهاها حضارة وارقاها في العلوم والفنون نجدها في تلك العصور التي سارت فيها العلوم الكونية الى جانب العلوم الاسلامية يكمل بعضها بعضا ويفتح هذا من افاق المعرفة الانسانية ما ينسد في وجه ذاك فالعصر الذهبي لبغداد هو الذي كان يضم اكبر عدد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والاطباء والادباء كاحمد بن حنبل امام اهل السنة والقاضي يحيى بن اكثم والفيلسوف يعقوب الكندي والطبيب جبرائيل بن بختشوع والجاحظ عميد الادب العربي في تلك الطبقة .

وهو لقرطبة ذلك الذي كان يجمع بين ابن حزم الفقيه وابن عبد البر المحدث وابن مسرة الفيلسوف وابي القاسم الزهراوي الطبيب وابن عبد ربه الاديب.

وهو لمراكش ذلك الذي كان يشتمل على القاضي عياض وابن القطان المحدث وابن طفيل الفيلسوف وابن زهر الطبيب والجراوي الاديب .

ومن التقاء الفلسفة الاسلامية بالفلسفة اليونانية عند الغزالي وابن رشد ظهر المذهب الذي اعتنقه توما الاكويني وبشر به فى اوروبا طول حياته .

ومن الثابت تاريخيا ان الرجوع فى الدراسات الى الاصول انما يكون فى عصر الازدهار الفكري .. فهذا عصر الموحدين وهو ازهر العصور المغربية من حيث التقدم الفكري . كان لعلم الحديث فيه ظهور وانتشار بحيث افضى الامر الى ان اصبح هو مذهب الدولة ونحى فقه مالك جانبا بل اعلن الحرب عليه حتى كانت كتبه ومدوناته تحرق فى الساحات العمومية بامر الدولة امعانا فى الاخذ بمذهب اهل الحديث والعمل به .

ومما روى فى ذلك عن الخليفة يوسف بن عبد المومن ان الحافظ ابا بكر بن الجد دخل عليه وهو ينظر فى كتاب ابي يونس فقال له : يا ابا بكر انا انظر فى هذه الاراء المتشعبة التي احدثت فى دين الله المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر فمن اي هذه الاقوال هو الحق وبايها يجب ان ياخذ المقلد . قال فاخذت ابين له ما اشكل عليه فقال : وقطع كلامي يا ابا بكر ليس الا هذا واشار الى المصحف وكان بين يديه او هذا واشار الى سنن ابن داود وكان عن يمينه او السيف .

والعلة فى هذه الظاهرة بينة وهي ان تقدم الافكار يقتضي من اصحابه مراجعة الاصول والتثبت من صحة الاستنباط الذي كان لمن قبلهم ولهذا لما كثرت التفريعات مرة اخرى وتشعبت مسائل الفقه اراد جدكم الاعلى المولى محمد بن عبد الله وكان عالما مصلحا ان يرجع بالامة الى الاصول والسنن سواء فى الفقه والعقيدة ودعا ولكن بلطف الى اعتناق مذهب السلف ونبذ المذهب الاشعري والى دراسة الحديث واعتماده فى اخذ الاحكام الشرعية .

واعتنى كثيرا بنشر كتب الحديث واصوله المعتمدة وكانت قليلة الوجود فاستنسخها وروجها بين الناس والف مجموعات حديثية منتخبة من مسانيد الائمة ورغب الطلبة فى حفظها وتعليمها .

ولكن العصر كان دون هذه الروح العالية وعلماء الوقت كان اكثرهم من المقلدة الممعنين فى التمسك بكتب الفروع

واذا فلقد جاء امركم يا مولاي بانشاء دار الحديث فى ابانه اعني فى فجر نهضة المغرب العلمية التي تزدهر فيها الافكار وتنبعث الارادات للاحياء والتجديد كما جاء محققا لرغبة جدكم الاعلى المولى محمد بن عبد الله فى نشر السنة النبوية واعطاء الدراسات الحديثية ما تستحقه من عناية واهتمام .

واننا لنؤمل ان يكون هذا المركز العلمي الجديد عاملا من عوامل التقدم العلمي فى بلادنا ومنارا يهتدي به المسلمون فى كافة انحاء القارة لا بالنسبة لعلوم الدين فقط بل وعلوم الدنيا ايضا . فقد جرى الناس على ان ينظروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتا وهم لذلك يقصونه من الحساب اذا ذكروا العوامل التي ادت الى نهضة العالم الاسلامي تلك النهضة التي آتت اكلها الشهي منذ الجيل الاول الذي تلا ظهور الاسلام وما زالت تنمو وتعظم الى ان بلغت أوجها فى القرنين الرابع والخامس ولكنهم مخطئون فى هذا النظر . ولو شاءوا ان يعرفوا الحقيقة من غير ان يكلفوا انفسهم عناء البحث فى هذا الموضوع لاقتصروا على التفكير فى ان الرسول صلوات الله عليه لبث فى قومه بعد الرسالة ثلاثا وعشرين سنة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقومه هم العرب الذين يعرف الناس جميعا انهم ليسوا بشعب غبي ولا بدائي . وهم فى الوقت نفسه كانوا مكتنفين بشعوب حية من يهود ونصارى لا يفتأون يعارضون دعوته ويوردون عليها مختلف الايرادات . فهو لم يقصر دعوته على مسائل الدين فقط ولم يكن يعلم المسلمين مسائل العبادات فحسب بل كان يعلمهم اداب السلوك واحكام المعاملة من البيع والشراء والصرف والحوالة والسلف والرهن وما الى ذلك ويلقنهم اساليب الحرب وطرق الحكم ويرشدهم الى السياسات المختلفة

فى علاقاتهم مع الدول الموالية والمعادية ويتولى قسم الاموال بينهم وتوزيع الاراضي المغلة عليهم ويعقد المجالس الاستشارية كلما حزبه امر ليقبح لهم الاستبداد ويفقههم على اسباب حياة الامة وهلاكها ليعرفوا كيف يحافظون على كيانهم اذا صار الامر اليهم من بعد . وهكذا لم يدع شاذة ولا فاذة مما به قوام الحياة ونظام الدنيا الا علمهم اياها . الم يقل المشركون لعثمان (ض) لقد علمكم نبيكم كل شيء بل انه (ص) فى تنزلاته معهم كان يخاطبهم بدقائق العلوم ويجيب على اسئلتهم الطبية والطبيعية بما لم ينقضه العلم حتى الان ويصحح لهم اغلاط الاخباريين من اهل الكتاب واغلاط عرفائهم فى تفسير الظواهر الجوية ونحوها حتى لقد دعا ذلك اليهود الى ان يسالوه عن الروح ((ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي))

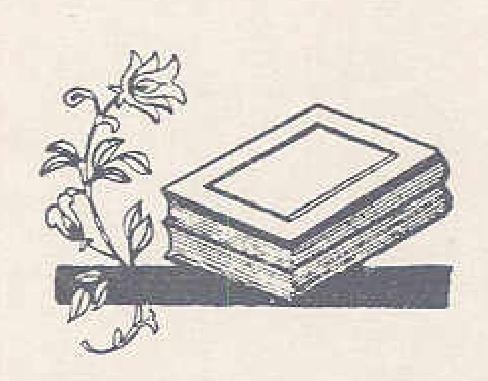
ان مجرد استعراض سريع على هذا النمط لسيرته عليه السلام كاف ليعرف من لم يكن يعرف ان علم الحديث هو جماع المعارف الاسلامية سواء منها الدينية والدنيوية . واذا كان هذا فى عهد الرسول (ص) فما ظنكم بهذا العلم وقد تناولته القرائح الخصبة والافكار الناضجة وكتب العلماء فيه من الابحاث القيمة والدراسات الرائعة ما لا يعرف قدره الا من وقف عليه

فدار الحديث التي تدشنها جلالتكم اليوم هي جامعة علمية فى مظهر معهد عال . وهي عمل يدخل فى قوله (ص) من احيى سنة من سنتي قد اميتت احيى الله قلبه يوم تموت القلوب وقوله من حفظ امتي اربعين حديثا من امر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء وفي رواية وكنت له شافعا وشهيدا .

والطلبة الذين سوف يلتحقون بها هم بدورهم سيدخلون فى قوله عليه السلام ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع . وقوله ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة .

فهنيئا لكم يا صاحب الجلالة بما تصطنعون من بر وتدخرون من اجر وتجددون من عهد وتؤثلون من مجد . واننا باسم رابطة العلماء والامة جمعاء نرفع اليكم اجمل عبارات الشكر والامتنان على هذه الاعمال الخالدة والمساعي الجليلة داعين الله تعالى ان يبقيكم ذخرا للبلاد وملاذا للعباد وان يمطر شآبيب الرحمة والرضوان على ضريح والدكم المقدس امامنا الراحل محمد الخامس وان يحفظ هذا الامر فيكم وفى ذريتكم الى يوم الدين .

رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد .



الإسلام والاستعمار

للأستاذ: الرحالي الفاروقي

ليس من شك ان الرابطة الاولى التي تجمع بين قلوب اهل الاسلام ، وتجعل من شعوبه شعبا متواطئا ومتآخذا في الباساء والضراء ، وفي العزاء والتكراء ، هي رابطة العقيدة ، والشريعة الاسلامية التي ينبغي ان نتخذها اصلا اصيلا لكل سبب ينبعث من قادتنا وحكوماتنا ، ونعتمدها كأساس متين للحقوق المشتركة، والعقود المبرمة ، والانظمة القائمة ، وتنمي اصولها وفروعها كلما طرات الحياة ، وهجمت الاحداث ، ونحمي جذور قوتها ، ونجدد مأثور دعوتها في مواطن افريقيا وآسيا ، وفي سائر بلدان العالم التي يوجد بها جماعات تبشيرية ، ومراكز اسلامية .

ولا خفاء ان رابطة كهذه من شأنها ان تشكل قوة جبارة هائلة ، تطوح بكل شر وعناد ، وتلقح مجموع الاطر الضرورية والمشاريع المادية التي يطمح اليها المجتمع الناهض المتجدد ، وتقوم وجوده وحياته من اقتصاد وثقافة ، ومن دفاع وسياسة ، لان الاسلام الذي تستند اليه هذه الجامعة ، وتسير على صوبه واوبه دين الحياة على الاطلاق ، ودين العزة والنصرة والوفاق .

وقد يطرا على مجتمعه ما يؤثر من سوء الفهم ، وسوء التفاهم ، وقد تنوبه عوامل اخرى فتصدع وحدته ، وتهدم بنايته ، وهو امر طبيعي يمر بالانسان عبر مراحل التاريخ .

الا ان المرجع الحاسم فيما اذا عرضت مثل هذه النوائب هو كتاب المسلمين ، ووحي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففيهما العلاج لكل مخيل ومشكل والنجاء من كل مطبق ومعضل ، وفيهما انارة السبيل وهداية العقل .

على ان العناية بجامعة الاسلام يراد منها العناية باسباب وحدتها ، وسلامة كيانها ، والمطابقة لمقتضى الحياة في كل ناحية من نواحيها ، وفي كل مطلب من مطالبها ليستوي هذا المحيط الوسط على كرسي النباهة والمناعة ، وليسا هم مع الآخرين في اسرار السياسة العامة التي يموج بعضها في بعض ، ويروج حكمها في واقع العالم الضعيف ـ يساهم من اجل طاقة عتيدة لها وحدة متكاملة ، وسياسة متواصلة تتوفر على امكانيات ضخمة ، واختصاصات واسعة .

والاسلام الذي هو مصدر حياة المسلمين ، وتطورهم العام ، قائم في كل عصر ، وعامل في كل ميدان ، لا يجمد مع الجامدين ، ولا يجحد مع الجاحدين ، ولكنه يلاقي الاسباب والمصالح بصدر رحب ، ويقيم اللوازم والاحكام التي تلائم العادة والحاجة طبق الاطار الصحيح ، والنظام السليم .

واما عدالته فتفشى المجتمع كله ، وتستكمل القيم المعنوية والقيم المادية ، على كثرة صورها وتعدد مجالها ، وبذلك فلا خلاء ولا شذوذ ، وهيهات ان ينال من هيبته الساقطون والحاسدون ، وان بذلوا ما في جهودهم ، ونزعوا الى شر عروقهم .

وايم الله لقد تهيأ في هذه العوالم ما لم يتهيأ لغيرهم من شرائع الامور ، وقواعد العلوم ، وآيات الفضل ، وطاقات الفكر ، مما لو وقفوا الى خدمته والتصرف فيه بعقل حكيم ، واستمدوا الحياة من اصله بقلب سليم ، لكانوا مشفين على غيرهم ، وسابقين في وسائل التقدم ، واسباب الرفاهية ولاخذوا بزمام النفوذ ، ومفاتيح الحياة ، وذلك ما يحقق مفهومها ، ويتمم منطوقها ، ويطبعها بطابع

الجدة والرفاهية ، ولكان العالم يغبطهم على حياتهم ، ويستتبعوه من ورائهم ، ولكن امر الله واقع وغالب ، وقدره سابق ونافذ « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » .

واذا كانت شعوب الاسلام تتداعى فى الحرب ، وتتهادى فى السلم ، فلان روابط الدين ، وعهود الاسلام ــ قاضية بمثل هذا التعامل ، ولان التقارب فى الانساب يوجب التقارب فى الاسباب ، الا انه فى مثل هذه الفترة الغامضة التي تسفر عن حرب ، ولا عن سلم ــ يتحتم على ائمة المسلمين وقادتهم وزعمائهم ان يتسلحوا بسلاح الجد والعمل ، ويترادفوا على اسباب القوة والعدة ، ويتقلدوا الامر والسيف ، متعصبين مخشوشنين ، حتى يتهيأوا لمعاركة العداء ، ويتجنبوا سياسة المكر التي ضجت منها كائنات الارض .

ولا مراء ان الله ندب عباده المومنين ان ياخذوا بمبدأ العزة والكرامة فى حياتهم اعلاء لكلمة الحق ، ودفاعا عن حرمة الانسان « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

فامرنا بمقاتلة من قاتلنا فى ديننا وعقيدتنا ، وبمهاجمة من هاجمنا فى بلادنا ومصالحنا ، ونهانا عن مصافاته فى الداخل والخارج ، وفى الظاهر والباطن ، وذلك ما نسميه فى هذا العصر : بكفر الاستعمار ، وهو الكفر الذي اراد الاسلام ان يحاربه المسلمون كافة ، ويقاطعوه عامة ، سواء علينا اتراءى هذا الشبح المخيف من الضفة الشرقية ، ام من الضفة الغربية ، ففي كل منهما فتنة وفساد كبير ، وصدق قول الله العظيم فى توجيه المسلمين الى التناصر « الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

ولا سبيل الى مدافعته ، الا اذا وضعنا الصف فى الميزان ، ووقفنا جميعا فى المعمعان ، وحملنا سلاحا كسلاحه ، واخذنا نظاما كنظامه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ولكم فى القصاص حياة ياولي الالباب » .

والاسلام اذ يوجب على المسلمين عبادة الله ، ومعرفة ما يعبد به لالوهيته وربوبيته يوجب عليهم فى ذات الوقت ان يشتغلوا بسائر المهن والفنون التي تفيد مصالحهم ، وتصون امنهم ، وتمد اقتصادهم فالدفاع عن اراضي المسلمين ، وعن حياتهم واستقلالهم امر واجب لا هوادة فيه ، وما يتوقف عليه هذا الواجب من استخراج المواد الاولية ، واستعمال الادوات اللازمة ، واقامة المصانع الميكانيكية ، والمدارس التطبيقية ، واجب كذلك وجوبا اوليا ، وقد تكون له الاهمية والاسبقية على كل شيء ، اذا استفحل الامر واعصوصب الشر .

ومن قواعد التشريع الاسلامي ان الوسائل لها حكم المقاصد ، فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، واما اساليب الصراع فمنوطة بظروف الزمان والمكان التابعة للاحداث المحيطة بالانسان ، ومن المعقول ان القوة لا ترد الا بمثلها ، ولا تدفع الا بجنسها ، ويقول المثل العربي : ان الحديد بالحديد يفلح .

واما الكفر الهادىء المسالم الذي لا يحاربنا ، ولا يناوئنا ، فقد امرنا بحسن معاملته وبره واقساطه، وهذا ما يدعونه اليوم بالتعايش السلمي ، فهو مذهب الاسلام من قبل ، وهو شعار المسلمين من بعد ، فهم حرصاء على الدخول فى الاسلام والوئام « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم» « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

والمسلمون سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم ، وهذه هي سياسة الحياد الايجابي التي تسلكها الدول المحبة للسلام ، وتتحالف من اجلها لتستطيع ان تتجنب اهواء السياسة المتناكرة ، وتتباعد عن اهواء القوة المتعارضة .

بيد ان هذا الاستعمار الذي تشابهت مناكبه في المرض ، وتضامنت شياطنه فى الارض ، بعد ما احس بما يحيط به من خطر موجة التحرير المباركة ، اخذ يبحث عن ظل جديد ، ولقب جديد لتركيز وجوده ، وتثبيت قواعده ، وذلك بالبراعة فى صوغ الاساليب الشيطانية ، والمناورات العدوانية ، وعرض الثقافة المغشوشة بالكفر والالحاد ، والحضارة الملوثة بانواع الفساد ، ومنه من لا يزال يتمرغ فى مراغات الارض ، ويتجول فى مناطق خيرها ، ويوقع العداوة والبغضاء بين اهلها ، بمعونة من ذوي رحمه ، وبنصرة من الخلطاء والشركاء الموجودين فى صفوف المنتظم الدولي ، ذلك المنتظم الذي اجمع بمقتضى قانونه

على استنكار وجود الاستعمار وتصرفاته المخزية ، ولكنه بكل اسف كان ذلك بمجرد القول واللفظ ، ولذلك نرى الآراء تتضارب ، والشياطين تتلاعب ضاربين بتوصية الامم المتحدة عرض الحائط ، ومتحدين قرارها وقانونها ، وهذه ملكة سبا عبرت من قديم عن مخاطر الاستعمار ، كما اخبر الله عنها في الكتاب العزيز : « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون » فما دخل الاستعمار بلدة من بلاد الله الا ومسخ قلوبها ، وزلزل عقولها بما يروج فيها من موازين وقيم مصنوعة ، واخلاق وافكار مشبوهة تباعد ما بين الاسلام والمسلم، وتفسخ اخلاقه ، وتهدد عقائده ، وتضلل افكاره ، بينما البلاد التي حماها الله من عره وشره ما زالت تنعم بايمانها ، وتتمتع باخلاقها ، وتتقيد باحكامها ، فلا عداء يظهر ، ولا منكر يجهر ، ولا نعار يتعر ، والفضل في ذلك يعود الى تحكيم الاسلام الظاهر في حياة المسلمين ، واقامة حدوده واحكامه بينهم من دون افتيات على امورهم ، فلا يوضع الخصم موضع السيطرة والتنفيذ ، ولا يمكن من اثبات سلطته ونفوذه على الناس ، كما هو الواقع والجاري عند بعض الشعوب الاسلامية التي استقلت ، واحتفظت بنظام (الفنيين والمستشارين) فاصبحت البلاد بحكم ذلك عرضة للخطر ، وقربة للشرور .

ولا يعقل ان يحكم الاسلام عدوا في مصالحه ، ويعتمده كمستشار في اموره ، ولا يمكن ان يقر ذلك بوجه من الوجوه في حكم من الاحكام الا في ضرورة خاصة ، وحالة شاذة على انهم كانوا في اول الاسلام يتحرون في ولاية المسلمين ، فلا يولون الا من يوثق به من الصحابة رضوان الله عليهم ، فكيف يتأتى ان يولوا غيرهم عليهم ، وان كانت هناك واسطة « ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا » .

كتب ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان نصرانيا بالبصرة لا يحسن ضبط خراجها الا هو ، وقصد ولايته على جباية الخراج لضرورة تعذر غيره فكتب اليه عمر رضي الله عنه ينهاه عن ذلك ، وقال له في الكتاب مات النصراني والسلام اي افرضه مات ، ما ذا كنت تصنع حينئذ فاصنعه الآن .

ومما وقع لابي بكر الطرطوشي رحمه الله انه لما اتى الخليفة بمصر وجده في حالة غضب ، ووجد عنده نصرانيا قد سلم اليه قياده ، واخذ يسمع رأيه ؛ وينفذ كلامه في المسلمين انشده :

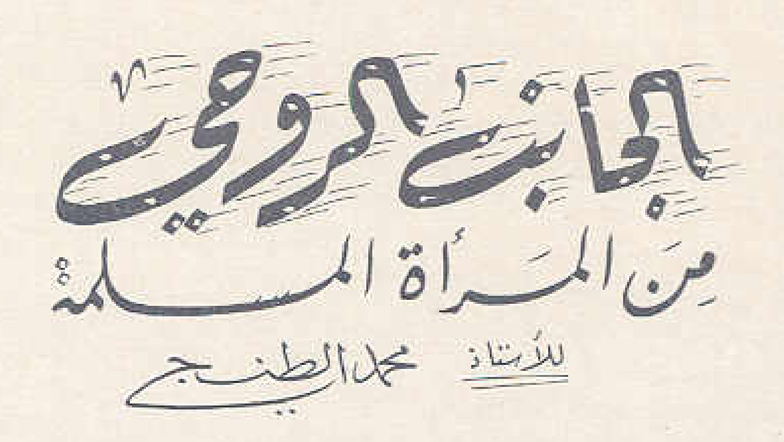
يا ايها الملك الذي جوده
يطلبه القاصد والراغب
ان الذي شرفت من اجله
يزعم هذا انه كاذب

فغضب الخليفة وامر بالنصراني فسحبه ، واقبل على الشيخ فاكرمه وعظمه .

وما يقال عن القاضي اسماعيل العراقي في وزير المعتضد عبدون بن صاعد النصراني فهو من باب مداراة الناس ، ومجاراة السياسة ـ نسأل الله ان يوفق المسلمين لاتيان ما فيه خيرهم ، وتجنب ما فيه ضررهم والله قدير .

الرحالي الفاروقي





ان النساء شقائق الرجال فى الاحكام كما يقول العلماء الا فيما يختص به احد الطرفين مما لا نريد ان نعرض له اليوم ، اما بقية شؤون الاسلام فالرجال والنساء فيها سواء ، مثل الانقياد لامر الله والايمان بما يرد عن شريعة الله ، واعتقاد توحيده ، والعمل خالصا له ، والقنوت لله سبحانه والصدق فى القول والعمل ، والنصح ، والصبر ، والاحتمال فى ذات الله الذي هو من لوازم الايمان ، كما وقع لكثير من الصحابيات والخشوع لله واستشعار جلاله فى مختلف الاحوال ، والتواضع له فى حالة العسر واليسر ، والشدة والرخاء ، والتصدق اي بذل الاموال فى سبيل الله فى واجبات الاسعاف او نوافله ، والصوم اي الامتناع عن شهوات البطون والفروج من الفجر الى غروب الشمس سواء الصوم الواجب منه فى رمضان او المندوب اليه فى غيره تطوعا لله ، والعفة المتمثلة فى حفظ الفروج عن الزنى ، وفى كل ما يدعو الى تطهير النفوس بذكر الله كثيرا ، فهذه الامور المهمة كلها قد حض الله الرجال والنساء على التحلي بها على سبيل السواء فى آية كريمة ينبغي ان تكون شعارا لكل رجل مسلم وامراة مسلمة ، قال الله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » . وهذا التوجيه الرباني ينتج تربية روحية عملية تؤثر فى السلوك العام للاشخاص ، وتغذي النفوس بالفضائل ، وتقوي فيها الايمان بالمبادىء الصالحة ، لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء لان دعوة الاسلام عامة للجميع ، وهدايته وتشريعاته يجب ان يعمل بها الجميع فى البيت والشارع وفى المعمل والمزرعة وفى المحلات التجارية، لان الاسلام قانون عام للحياة البشرية باسرها فى كل مكان .

وقد اجاب الرسول الاكرم رغبة النساء فى تعليمهن امور دينهن : ففي صحيح البخاري عن ابي سعيد (جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما ناتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال اجتمعن فى يوم كذا وكذا فى مكان كذا وكذا فاجتمعن فاتاهن رسول الله فعلمهن مما علمه الله) الحديث . وكان النساء يحضرن مع الرسول فى مصلى الاعياد وفى الصلوات الخمس ، ويدل على مشروعية حضورهن الصلوات وان لم يكن هذا الحضور على طريق الوجوب قول الرسول كما فى البخاري عن ابن عمر « اذا استاذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فاذنوا لهن » وخص الحديث الليل بالذكر لان الغالب الخوف على النساء فيه من الفساق .

ويدل على تطبيق حضورهن بالفعل ما فى البخاري عن ام عطية : كنا نومر ان نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها وحتى تخرج الحيض (جمع حائض) فيكن خلف الناس يكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته ، وفى بعض الروايات ويعتزلن الحيض المصلى .

وروى مالك فى الموطا عن عائشة زوج النبي(ص) قالت ان كان رسول الله ليصلي الصبح فينصرفن النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس (والتلفع ان يلقي الثوب على راسه ثم يلتحف به) .

اما محل جلوسهن في مسجد الرسول فهو مؤخر المسجد ، فروى البخاري عن هند بنت عتبة ان ام سلمة زوج النبي (ص) اخبرتها ان النساء في عهد رسول الله (ص) كن اذا سلمن من المكتوبة قمن وثبت رسول الله ومن معه من الرجال ما شاء الله ، فاذا قام رسول الله (ص) قام الرجال) وفي بعض الروايات ان النساء كن يصلين خلف الرجال في مؤخر المسجد .

فالآية التي سقناها مع الاحاديث الكريمة التي تشير الى الامر بحضور النساء والاذن لهن ولو بالليل وحضورهن بالفعل وذكر المحل المخصص لهن كل ذلك يعطينا صورة واضحة عن مشاركة النساء للرجال في اهم عبادة ، وهي الصلاة في عهد رسول الله الذي هو خير العهود ، ولكن بعد وفاة النبي واختلاط العرب بغيرهم ظهر ما خالف الحالة السابقة حيث كثرت الامور المبتدعات حتى قالت عائشة رأيا من عندها هو قولها : (لو ادرك النبي ما احدث النساء لمنعهن المساجد كما منع نساء بني اسرائيل) وقد كان لقول عائشة وشبيهه صدى مدو في مختلف القرون والاجيال ، حتى انني وقفت على وصية للعلامة ابن زكري يقول فيها : (واوصي ان لا تخرج امراة الى قبري) فقد قال ابن العربي في سراج المريدين (اسم كتاب لابن العربي) : انه ليجب اليوم وقبل اليوم منعهن من المساجد فكيف من القبور انتهى . فانت ترى ابن العربي على جلالة قدره في العلم يقول بمنعهن من المساجد ان صح عنه هذا النقل فيخالف ما قرره هو غير ما مرة من منع التقدم بين يدي الله ورسوله ، ولكن قد اجاب الحافظ ابن حجر عن قول عائشة وتقديرها بقوله : لم يدرك ولم يمنع فاستمر الحكم ، جوابا عن قولها لو ادرك النبي ما احدث النساء لمنعهن المساجد ، وقال ايضا فقد علم الله ما سيحدث فما اوحى الى نبيه بمنعهن) وفي نظري ان النظريات التي احدثها الفقهاء يجب اعادة النظر فيها حتى يزال ويبطل كل نظر اثبت الزمان خلوه عن المصلحة مثل نظر عدم مشاركة النساء في حضور المساجد بكثرة لان المراة المسلمة لابد ان تغشى الاسواق وتسير في الطرقات وهذه الامكنة هي مظنة التعرف على الاشرار ومخالطتهم التي لا تؤدي الى خير ، والمساجد بما تعمر به من مواعظ وعلوم وذكر وصلاة هي خير المجالس كما صح عن الرسول شر المجالس الاسواق والطرق وخير المجالس المساجد فان لم تجلس في المسجد فالزم بيتك) فاذا قلنا بنظرية الفقهاء القائلة بمنع النساء من المساجد مخالفين بذلك قول الرسول نكون قد منعناهن من خير المجالس ولا نستطيع باي حال منعهن من شر المجالس التي هي الاسواق والطرق ، فتبقى طرق الشر مفتوحة امامهن وطرق الخير مسدودة في وجههن ، ويزيد الخطر ويعظم الشر بما استحدث في العهود الاخيرة من روايات الخلاعة ، والاحتفالات الشعبية التي اخذت تشارك فيها المراة باندفاع من غير تفكير في العواقب ، بينما نسيت الجانب الروحي منها ، ذلك الجانب الذي هو الاساس الثابت الصالح لكل نهوض وتقدم وقوة في الامم ، وفي هذا الجانب نجد فراغا عظيما في المجتمع النسوي المغربي فتوجد في المغرب استاذات ومديرات لبعض المدارس ولكن هؤلاء لم يجتمع لهن شمل في جمعيات ارشادية علمية تربوية تتعهدن فيها بالقاء ما لديهن من معلومات وتوجيهات في مختلف الاوساط النسوية ويشاركن في حضور المساجد بكيفية تلفت الانظار ، وتستوجب الاكبار والاجلال ، اننا ايتها السيدات الفضليات ندرك كما تدركن ان صلاح الامة يبتدىء من صلاح الاسر ، فاذا كانت الاسرة متقدمة تقدما ماديا صرفا لا تربية عالية موجودة فيها فهي الى خراب وبوار ، فاحرى اذا اضيف الى التربية المادية الصرفة غلبة الشهوات والملذات الجنسية والجسمية فهناك الطامة الكبرى ، وكل امة تتكون من هذه الاسر المتعفنة فهي خالية من القوة المعنوية التي تسندها في الوجود، لهذا ينبغي للنساء عموما وللمتعلمات ـ منهن خصوصا ان يعملن على تغذية العواطف والروح بما يضمن رفع مستواهما ، ويكفل تقدم الامة تقدما جامعا بين القوة المادية والمعنوية ، حتى تكون امتنا كسابق عهدها في الكمال الانساني بفضل اخلاق هذا الدين الاسلامي وآدابه ، قال الله : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » .

الرباط : محمد الطنجي

الشريعة الإسلامية والاجتهاد

للأستاذ : عيسى الماغوط

اذا كان للدين – اي دين – عند علماء الغرب يعني « الطريقة التي يحقق بها الانسان صلاته مع قوى الغيب » او « هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم » وهذان التعريفان قد اعتبرتهما الموسوعة الفرنسية الكبرى للعلوم والآداب والصناعات من افضل التعاريف التي وردت في تعريف الدين ، فان الاسلام له مدلول آخر يختلف عن المفهوم السابق كل الاختلاف .

ان الاسلام قد تخطى ذلك المفهوم الضيق للدين ، وجعله يتجاوز صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية الى صلات الانسان بالانسان .. ويتطرق الى جزئيات هامة في علاقات الافراد والمجتمع . .

لقد قام الاسلام دعوة الى الحياة ، ودعوة الى اصلاح المجتمع اصلاحا جذريا وشاملا سواء في معتقداته او في معاملاته .. لذلك فان من يتمعن في اسلوب القرآن الكريم يرى في السورة الواحدة تحميلا وتزيينا للحياة والخير ، تنديدا بما يسيء الى الحياة ، وبالشر .. فسرد القصة في القرآن واستهلالها بحمل القسم وختامها بالتهديد والوعيد ليس له الا مغزى كبير جدا هو « مصالح البشر » .

لم يرد في القرآن حرف الا وفيه خير الانسان وفيه المصلحة ، المصلحة الحقيقية .. المصلحة الموضوعية التي تحمي حقا اساسيا وخالدا .

ونظرا لاتساع الاغراض والاهداف التي قصد الاسلام ايرادها في القرآن فقد جاءت معظم الآيات محملة كلية ، ذات صيغة عامة مرنة للتطور من حيث التطبيق مع الابقاء على المفهوم فقد كانت المرونة في الصياغة التشريعية في القرآن منبعا ثرا خصبا اغنى الفقه والحقوق الاسلامية ايما اغناء .

ان المرونة في الصياغة التشريعية تنطلق من ان مصالح البشر لا تبقى واحدة وانما هي عرضة للتبدل تبعا لتغير الزمن فاذا كان النص جامدا امتنع عليه مسايرة الظروف التي قد تطرأ واعتبر بالتالي ناقصا او غامضا وكلاهما سيء .

لذلك كان المنطلق الاساسي في الاسلام :

اولا : التأكيد على بعض المبادىء الاساسية في الدين وهو ما يتعلق بالعقيدة ، والنص على عدم قابليتها للتحوير او التغيير او التبديل ، كالوحدانية ، وحب العدل ، وحب الخير .

ثانيا : صياغة العديد من النصوص الحقوقية المتعلقة بعلاقات البشر فيما بينهم صيغة مرنة تتحمل التأويل والقياس حسب مقتضيات الازمنة والعصور .

لذلك فان ادعاء بعض العلماء في الغرب بان الحقوق الاسلامية – كحقوق دينية – غير قابلة للتطور ، حتى اتهموها بالجمود والعقم ، ان هذا النظر لا يستقيم عندما نعرف ان الاسلام ليس دينا فحسب انه دين ودنيا ، وفيه صالح العباد في المعاش والمعاد ، وفيه خير الدنيا وخير الآخرة .. وان الدنيا دار ممر .. وهذا الممر يذهب بنا الى الآخرة وهي المقر لذلك فقد عنى الاسلام بالدارين معا .

ولما كانت امور الدنيا كثيرة ومتشابكة ، ومعقدة ، وهي تتعلق بعلاقات البشر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لذلك فقد اقتصر القرآن على وضع الكليات والمفاهيم تاركا للسنة ولمن ترتضيه السنة ، ان يبحث عن هذه الكليات ، ويلحق بهذه المفاهيم .. لقد نص القرآن على الحصص الارثية ، وقضت السنة بتوريث الجدة لام ، وقضى اجتهاد الصحابة بتوريث الجدة لاب قياسا على توريث الجدة لام .

وفي الزكاة طالب القرآن بالزكاة .. وتكفلت السنة والاجتهاد ببيان مقادير الزكاة وانصبتها والحد الادنى الذي لا تجوز الزكاة فيما دونه .

ولا يسير القياس والاجتهاد على الهوى وانما وضع له العلماء قواعد واصولا يقضي بان يسلك الباحث اولا سبيل فهم معنى النص ، والقياس عليه ثانيا ، ثم البحث في علة وجود النص ثالثا .

وقد كان المسلك الثالث المتعلق بمنح الاسلام لرجال القانون حرية الرأي الذي لا يعتمد على نص خاص وانما على روح الشريعة المهيمنة على جميع النصوص والمعلقة (ان غاية الشرع انما هي المصلحة وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله) وان (ما رآه المسلمون حسنا ، فهو عند الله حسن) هو ماء الحياة بالنسبة للشريعة .

واعتماد على فكرة المصلحة فقد امتنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن توزيع اراضي العراق بين الفاتحين ، واصر على ضرورة ابقائها بيد اهلها على ان يأخذ منهم الخراج .

فقد جاءه الفاتحون وطلبوا منه ان يخرج لمن ذكر في الآية الكريمة ، (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه، وللرسول ، ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وان يقسم لهم الباقي فقال عمر : فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الارض بعلوجها قد اقتسمت، وورثت عن الاباء وحيزت؟ ما هذا الرأي ؟

ثم اخذ الفاتحون يناقشونه فيما قال ، ولكنه اصر ، فطلبوا منه ان يستشير ، فاستشار من المهاجرين والانصار ، فاجمعوا على موافقته فولى عثمان بن حنيف مساحة ارض السواد .

ولقد اورد هذا الخبر ابو يوسف صاحب ابي حنيفة ، في كتاب الخراج وايده تأييدا شديدا في تعليق له عليه .

وبناء على المصلحة ايضا فقد قضى عمر بضبط بعض المراعي وحبسها على خيل الجيش ، مما اثار المالكين ، ولكنه اصر على موقفه وهو يقول : (المال مال الله ، والعباد عباد الله والله لولا ما احمل عليه في سبيل الله ما حميت من الارض شبرا في شبر) .

وبناء على المصلحة ايضا فقد قضى عمر على محمد بن مسلمة بالسماح لجاره بان يسوق نهرا في ارضه لان النهر ينفع جاره ولا يضر محمدا ، وقد قضى عمر هذا القضاء رغم معارضة المالك الشديدة لامرار النهر ، ولكن عمر اصر على رأيه قائلا لمحمد : (والله ليمرن ولو على بطنك) . ان في

الاجتهادات السابقة التي افتى بها عمر بجرأة .. وحكمة .. وعقل ، لخلاصة لاكبر نظرية عرفت في الحقوق الحديثة الا وهي نظرية التعسف في استعمال الحق .

ان نظرية التعسف التي يتبجح علماء الغرب بانهم هم الذين اخترعوها وعدوا البشرية لها انما نجد لها تطبيقا واسعا منذ الف وثلاثمائة عام ونيف على يد رجال القضاء في الاسلام ولم يقتصر الاخذ بفكرة المصلحة على عهد الصحابة ، وانما استمر الاخذ بها ولكن على نطاق اوسع فيما تلا عهد الصحابة من عهود ، واننا نجد عامة العلماء متفقين على اضفاء المرونة على النصوص والاجتهادات لتتسع الى اكبر عدد ممكن من الفتاوى والاراء التي فيها مصالح الناس .

ولم يشذ عن هذا الاجماع سوى رجال المذهب الشافعي الذين نظروا الى النصوص كاحكام ثابتة لا يأتيها التحوير والتبديل ، ولذلك لم يحكموا بامر الا قياسا على امر منصوص عليه في الكتاب او السنة والا فلا ، ولذلك لم يأخذوا بالمصلحة وبالمرونة التي تطلبها في النصوص .. وهم يقتربون في آرائهم جدا من آراء اصحاب النظرية التقليدية التي بقيت مسيطرة على الفكر الحقوقي في اوربة حتى اوائل هذا القرن العشرين .

لا اننا نرى في كتاب المستصفى للامام الغزالي رحمه الله وهو شافعي ما يوضح انه يأخذ بفكرة المصلحة ولكنه يقيدها ببعض الاوصاف حتى يمكن الاخذ بها ، فهو يقول : (اما المصلحة فهي عبارة في الاصل عن طلب منفعة او رفع مضرة ، ولسنا نعني ذلك ، ولكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع .

ومقصود الشرع من الخلق خمسة ، وهو ان يحفظ عليهم دينهم ، ونفسهم وعقلهم ونسبهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الاحوال الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة ، وهذه الاصول الخمسة حفظها واقع في شبه الضرورات ، فهي اقوى المراتب في المصالح ، وتحريم تفويت هذه الاصول الخمسة والزجر عنها يستحيل ان لا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التي اريد بها اصلاح الخلق .)

اما المالكية والحنابلة فانهم لم يقيدوا انفسهم بالقياس كما فعل الشافعية ، ولا بالاوصاف كما فعل الغزالي ، بل اعتبروا ان كل عمل فيه مصلحة بلا ضرر ، او كان النفع فيها اكثر من الضرر فهو مطلوب .

والمالكية يرون انه ليس على المجتهد متابعة القياس فيما اذا ادى اطراده الى جلب ضرر او الى حرج ، ويرون مستندهم في هذا قوله تعالى : (ما جعل عليكم في الدين من

حرج) ، وقوله ايضا (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله عليه السلام (لا ضرر ولا ضرار) .

على ان المالكية يشترطون في المصلحة ان لا تعارض اصلا من اصول الشريعة ، وان تكون مصلحة يتلقاها بالقبول ، وان تكون هناك حاجة تستدعيها .

والاحناف ايضا اجازوا الخروج على القياس لضرورة المصلحة .

اما الشيعة الامامية فقد اخذوا بالمصلحة على اوسع نطاق ، واضفوا على النصوص مرونة تجعلها تتقبل كل ما يستجد من احداث .. ولا يعصم اتجاه الشيعة من الزلل في هذا التطرف الا وجود القضاء والفتيا بين ايد عالمة وصالحة في آن واحد .

اما تمسك الشافعية بالنصوص وما يحمل على النصوص عن طريق القياس فاني واجد فيه عصمة وقصورا في آن واحد . فيه عصمة لانه اضفى على النصوص لونا من القدسية وحصر مصادر التشريع في الكتاب والسنة ، معتبرا ان القانون هو المصدر الوحيد للحقوق ، وعلى هذا سارت النظرية التقليدية في اوربا فيما بعد ، والتي تقول : (ان التشريع الرسمي يكفينا وحده للكشف عن جميع الاحكام الحقوقية الضرورية لحاجات الحياة الاجتماعية) ويقول الاستاذ بلوندو Blondeau ان المصدر الوحيد في الوقت الحاضر للاحكام الحقوقية انما هو القانون .

ويستند الشافعي في حصره لاصول الشريعة بالكتاب والسنة بقوله تعالى : (واطيعوا الله والرسول) وقوله تعالى: (اتبع ما يوحى اليك من ربك) ويقول الامام الشافعي : (الكتاب والسنة هما الاصلان اللذان افترض الله وهما عيان) ثم قال (اذا اجتهد المجتهد فالاجتهاد ليس بعين قائمة انما هو شيء يحدثه من قبل نفسه ولم يؤمر باتباع نفسه ، وانما باتباع غيره ، فاحداثه على الاصلين اللذين افترض الله عليه اولى به من احداثه على غير اصل امر باتباعه، وهو رأي نفسه ولم يؤمر باتباعه ، فاذا كان الاصل انه لا يجوز ان يقع غيره والاجتهاد شيء يحدثه من عند نفسه) .

اما القصور الذي يلاحظه المحققون على الشافعية في هذا الموضوع فهو عدم تمكنه من ايجاد الحلول لقضية بشأنها نص في كتاب او سنة ، ولم يمكن القياس عليها مما يضطر القاضي الى طرح القضية جانبا ، وهذا ما لا تقبله النظريات الحقوقية الحديثة ولا التعامل القضائي ، ويعتبرون في فعل القاضي هذا (امتناع عن احقاق الحق) . مما يوجب مسؤولية القاضي .

هذا بالاضافة الى ان الاجتهاد يعتبر مصدرا رابعا من مصادر الشريعة الاسلامية ، واليه يرجع الفضل في تطور الشريعة وجعلها تتلاءم مع مقتضيات العصر ، وفي كل عصر ان آلاف القضايا قد تكفل الاجتهاد بحلها ولم يمتنع عن الحكم بها لعدم النص عليها بل ان روح الشريعة المهيمنة على ضمير المجتهد تخلق له ذوقا حقوقيا فذا .. وبالاجتهاد افتى عمر بابقاء ارض العراق المفتوحة بيد اهلها وحبس المراعي على خيل الجيش .. وامر الضحاك بن قيس بان يمر بنهره في ارض محمد بن سلمة .. — كما بينا اعلاه — وكذلك افتى العلماء بجواز كشف العورة امام الاطباء ولغاية المعالجة ، لان التداوي طريق للمحافظة على الحياة وهذه تنزل منزلة الضرورة ونفعها اقل من الضرر الناتج عنها ، وكذلك افتوا بحل الخمر لغاية المعالجة او الغصة او الظمأ الشديد عند عدم الماء والميتة وغيرها اذا لم يوجد غيرها وعند الضرورة القصوى .

واذا زال المانع عاد الممنوع ، ومعنى ذلك انه اذا وجد غير الخمر ، ما يسد مسده عادت اليه حرمته ، وكذلك في الدم ، والميتة . الا ان هناك ما لا يجوز اطلاقا وفي اية حال ويبقى شرا محضا وحراما محضا مثل : الكفر بالله ، ومثل الزنا ، والقتل بغير حق .

وبصورة عامة فطالما ان علاقات البشر في تطور مستمر، وفي تجدد مستمر ، فان اي تشريع في العالم يقف بعد مدة من الزمن قاصرا في بعض نصوصه او غامضا ، او مبهما عندما يتعرض لقضية جديدة فليس على القاضي الا ان يحكم بحسب روح القانون ، ومستندا الى المثل والافكار الكبرى والرئيسة التي يستهدفها القانون كالعدل ، والمساواة ، واحقاق الحق .

وعلى هذا فان القول بعجز التشريع الاسلامي عن تلبية حاجات العصر نظرا لبعد الزمن بين صدوره وبين العصر الحاضر يمكن ان يوجه الى اي تشريع آخر سواء كان دينيا او علمانيا فيما اذا اخذنا بحرفية النص ، وعدم فتح باب الرأي والاجتهاد .

وطالما ان الاجتهاد بالرأي امر اقره الاسلام في اصوله الاولى فاتهام الاسلام بالعجز عن مسايرة التطور مردود وباطل نظرا لتمكن الاجتهاد من استيعاب حاجات العصور المختلفة والامكنة المختلفة والامثلة التي اشرنا اليها اعلاه هي خير برهان بالاضافة الى انها غيض من فيض .

دمشق : عيسى الماغوط



لسان الدين ابن الخطيب في المغرب

للأستاذ: عبد القادر زمامة

لعل الباحثين القدامى والمعاصرين لم يغادروا من متردم في شان لسان الدين ابن الخطيب .. سيرته وشعره ونثره ومؤلفاته واخباره .. ولعل حياته الحافلة التي حشيت براجفة من الكيد والنفي والمصادرة . ورادفة من الاتهام والاغتيال والاحراق هي السبب المباشر في هذا الاهتمام الذي حظي به نابغة غرناطة وشهيد فاس .. في اقلام ومؤلفات ابن خلدون . والسخاوي والمقري ومن تلاهم الى يوم الناس هذا ..

لذلك لا مجال هنا للحديث عن جمع ما فرقوا .. او تفريق ما جمعوا . وانما هو حديث عن ناحية خاصة جدير بالباحث في تاريخ المغرب ان يهتم بها اهتماما يلقي بعض الاضواء على احدى الزوايا المفتقرة الى مزيد من البحث والتنقيب وكشف الاسرار ..

فابن الخطيب لم يزر المغرب كسفير سياسي او كرحالة باحث ، او كلاجيء منطو على نفسه .. بل انه كان اكبر واكثر من ذلك كله .. فقد كان سفيرا ومؤرخا ورحالة وسياسيا وكان الى ذلك من اقطاب الفكر والعلم والادب بالمعنى المعروف في عصره ..

وشخصية بهذه المثابة مع ما عرف عنها من طموح ودهاء وجاذبية لابد وان تفرض وجودها في الوسط الفكري والسياسي وان تكون حولها هالة من التقدير والاعجاب وان يتهافت عليها الناس على اختلاف مشاربهم واهوائهم ، وان تاخذ حظها من خيرهم وشرهم ومدحهم وذمهم .. وكذلك كان ابن الخطيب في فاس . وسلا . ومكناس . ومراكش واغمات وانفا . وآسفي . وغيرها من المدن المغربية .

وقبل ان نرافق شريط الاحداث في حياة لسان الدين في المغرب يجدر بنا ان نلقي هذا السؤال الجدير بالالقاء عند الحديث في هذا الموضوع .. وهو :

(هل عرف ابن الخطيب المغرب قبل ان يزوره سفيرا ؟)

وقد القيت على نفسي هذا السؤال مرارا وانا ادرس حياة ابن الخطيب وآثاره الباقية .. ولكنني بعد البحث الشديد المستمر لم اجد نصا في الموضوع يشفي الغليل ويقطع الشكوك والظنون .. الامر الذي جعلني لا اثبت ولا انفي ولكنني اطلب مزيدا من البحث عل الايام تجود علينا بما بخلت به الان باكتشاف مخطوط ما زال محكوما عليه بالسجن المؤبد ..

والشيء الذي يجعلنا لا نحكم حكما قاطعا في الموضوع هو ان نشأة ابن الخطيب الاولى ودراسته ما زالتا من النقط الغامضة في حياته ، وقائمة شيوخه الذين تحدث عنهم في بعض مؤلفاته ولاسيما في تراجم « الاحاطة » فيهم الاندلسي والمغربي .. والاندلسي الذي اقام بالمغرب .. والمغربي الذي اقام بالاندلس .. والرحالة الذي عاش هنا وهناك .. فلا ندري اين اخذ عنهم ؟.. ومتى .. ؟ وهذا جانب من المشكل .. وجانب آخر يرجع الى ان ابن الخطيب كتب مرارا ترجمة حياته . ولكن هذه الترجمة نفسها قد تعرت وتعرضت لزيادته ونقصه وحذفه واستدراكه حسب ظروفه التي كانت توحي اليه احيانا بالفكرة والرأي .. ثم توحي اليه بعد ذلك بعكسهما وضدهما فيكتب متأثرا بحالته النفسية فيمدح ويذم اليوم ثم ينسخ ذلك غدا لان حوادث السياسة المتقلبة تأبى الا ان تخرج خبايا النفوس فيشمت الخصم . ويتنكر الصديق وتتلاعب المطامع والاغراض بالمودات والعداوات .. والامثلة على ذلك كثيرة في قصة ابن الخطيب مع القاضي النباهي والوزير ابن زمرك وغيرهما ..

ولا يخفى بعد هذا ان اهتمامنا بحياة ابن الخطيب في المغرب يرجع اولا وقبل كل شيء الى اننا مدينون له في تسجيل جزء من الحياة السياسية والعلمية والادبية بالمغرب على عهد بني مرين وما زالت كتبه المخطوطة والمطبوعة من مصادرنا الاساسية في تاريخ هذه الحقبة ..

ابن الخطيب السفير

زار ابن الخطيب المغرب في سفارته الاولى عن سلطانه ابي الحجاج الى السلطان ابي عنان سنة 749 هـ معزيا في الملك العظيم ابي الحسن ، ورابطا علاقات الود مع البلاط المريني بعد المآسي العظمى التي مرت بها الدولة في طول البلاد وعرضها ، والنكبات التي اصيبت بها القوات المرينية في الاندلس من جراء تخاذل امراء غرناطة وتلاعبهم حينا وتآمرهم مع الغزاة الاسبان حينا آخر .. وقد كان جرح مأساة — طريف — ما زال لم يندمل .. تلك المأساة التي استشهد فيها كل من والد لسان الدين واخيه الاكبر .. والتي تركت في نفوس المغاربة اعمق الاثر ولاسيما رجال الدولة منهم ..

ولا نستطيع ان نجد لابن الخطيب آثارا مهمة في هذه الرحلة سوى انه ادى واجب السفارة وحاول محو تلك الغيوم التي تلبدت في الجو السياسي بين غرناطة وفاس .. ورجع الى بلاده متفائلا مستبشرا ..

وزار ابن الخطيب المغرب في سفارته الثانية عن سلطانه محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله سنة 755هـ الى السلطان ابي عنان . وقد كان السفير هذه المرة في اوج نفوذه السياسي وشهرته العلمية والادبية .. كما ان ابا عنان كان في اوج عظمته وكان بلاطه يعج باعلام الفكر والسياسة والادب الذين تهافتوا عليه من تونس وتلمسان وسبتة والاندلس ، وفيهم المؤرخ والسياسي والشاعر والفقيه والرحالة والمهندس والطبيب .. ولا حاجة بنا هنا الى ذكرهم . وقد ترجم لبعضهم لسان الدين في الاحاطة كما احتفظت بتراجم بعضهم مصادر اخرى ..

ولاشك ان السفير قد اغتنم فرصة وجوده في هذا الجو الحي فربط عدة صلات كان لها اعمق الاثر في حياته العلمية والادبية والسياسية .. فعرف ابن خلدون . وابن مرزوق . وابن جزي . والمقري الجد وغيرهم .. واطلع على كثير من الكتب الموجودة بخزائن فاس وعرف كثيرا من الاخبار والاثار والاسرار ..

وقد تحدث عن هذه الرحلة بالخصوص في الاحاطة (★) باعجاب كبير حيث نوه بابي عنان وعظمته وحسن استقباله ووصف حضوره في حفلة مصارعة الثور والاسد الى جانب رجال الدولة المرينية في مهرجان عظيم ثم انشد في نهاية المهرجان مقطعة شعرية يصف فيها الاسد الصريع امام جبروت الثور :

انعام ارضك تقهر الاسادا
طبعا كسا الارواح والاجسادا

وخصائص للمجد قلت فروضها
في الخلق ساد لاجلها من سادا

ولعل هذا النص في وصف مصارعة الثور والاسد ايام ابي عنان عظيم الاهمية بالنسبة للتاريخ الاجتماعي على عهد بني مرين .. فهذه العادة لا نكاد نجد لها ذكرا في مؤلفات اخرى ..

اما موضوع السفارة فكان تجديد العادة الاندلسية في الاستنجاد بالمغرب وملك المغرب لمجابهة الاطماع الصليبية التي تدفقت على غرناطة من الشمال والشرق والغرب .

وقد علق ابن الخطيب على سفارته هاته بقوله (★) :

« وقد نجح السعي ، واثمر الجهد ، وصدقت المخيلة »

كما انه ذكر لنا تاريخ ابتدائها ونهايتها حيث قال :

« وكان دخولي عليه (ابي عنان) في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة عام خمسة وخمسين (وسبعمائة) » « وكان الوصول (الى غرناطة) في وسط محرم عام ستة وخمسين وسبعمائة »

فقد مكث في المغرب نحو شهر في ضيافة ابي عنان ورجال بلاطه .. وهذه المدة كافية لاغراء صاحبنا بتخطيط عدة مشروعات لمؤلفاته، فهو يحدثنا بالخصوص عن هذه الرحلة انه دونها كما دون سابقتها في جزء خاص من مؤلفاته فيقول (★) :

« وقد تضمن رحلته لوجهته والاخرى قبلها جزء والحمد لله الذي له الحمد في الاولى والاخرة »..

اما عن تأثير السفارة في نفس ابي عنان ورجال دولته فيكفي انها تركت طنينا ورنينا ظل مضرب الامثال مدة طويلة

يقول ابن خلدون :

« قال شيخنا ابو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد ، لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا »

★ انظر ج 2 ص 6 ط القاهرة سنة 1318 .
★ المصدر السابق .
★ المصدر السابق .

وشهادة ابي القاسم الشريف السبتي لها قيمتها في هـذا المقام . فهو اولا وقبل كل شيء قاضي الجماعة بغرناطة وهو الى جانب ذلك شهير بفضله وعقله ومعرفته وذلك ما جعل ابـن الاحمر يعينه في وفد ابن الخطيب الذي يطلب النجدة من ابي عـنان .. وقد كان منصب قضاء الجماعة من المناصب الخطيرة في الاندلس التي لها وزنهـا في المواقف السياسية . ولاسيما في الازمات والشدائـد . .

وشهادة ابي القاسم تعني ان ابن الخطيب حينما دخـل على ابي عـنـان ، وانشده قصيدته :

خليفـة اللـه ســاعـد القـدر
عـلاك مـا لاح فـي الدجـا قمـر
ودافعـت عنـك كـف قدرتـه
مـا ليـس يستطيـع دفعـه البشـر

تهلل وجه ابي عنان واهتز لها واذن فـي الجلـوس وقال لـه :

— ما ترجع اليهم الا بجميـع طلباتهم ✶

وهكذا بلغ نابغة غرناطة مآربه في لحظات الامر الـذي اثار الاعجاب بهذه الشخصية الجذابة ووزع لها فـي قلـوب اعدائهـا واصدقائهـا مزيدا من الغبطة حينـا والحسـد احيانـا .. !

ولا تودع صاحبنا في هذه الرحلة دون ان نشير الى ان اخبار وصوله الى فاس سبقته الى عاصمة الدولة فارسل اليـه الخطيب ابن مرزوق قصيدة شعرية قرأها لسان الدين وهو على مرحلة من فاس .. ومعها مطية لركوبه بسرجها ولجامها (✶) واجابه عنها بقصيدة اخـرى ..

ومطلـع قصيدة ابن مرزوق :

يا قادمـا وافـى بكـل نجـاح
ابشـر بمـا تلقاه مـن افـراح

اما قصيدة لسان الدين ابن الخطيب فهي :

راحت تذكرني كـؤوس الـراح
والقـرب يخفض للجنـوح جنـاح
وسرت تدل على القبـول كأنمـا
دل النسيم على انبلاج صبـاح
حسناء قـد غنيت بحسـن صفاتهـا
عـن دملـج وقـلادة ووشــاح
امست تحض على اللياذ بمـن جرت
بسعوده الاقـلام فـي الالـواح
بخليفـة اللـه المؤيـد فـارس
شمس المعالـي الازهـر الوضـاح

وانتهت الرحلة ورجع ابن الخطيب الى غرناطة وهـو يحمل لسلطانه كسبـا سياسيا عظيما فتح امام غرناطة آفاق الامل والثقة بالمستقبل .

ولكن فاسا وغرناطة كانتا على موعد مـع الفواجـع والانقلابات .. فقد مات او اغتيل ابو عنـان فـي شهـر ذي الحجة من سنة 759هـ كما ان انقلابا خطيـرا اودى بعـرش غرناطة في شخص السلطان محمد بن يوسف الغني باللـه .. وبوزاراتها في شخص لسان الدين ابن الخطيب في 28 رمضـان سنة 760هـ وبذلك كان الملك ووزيره على موعـد مع النفـي السياسي في المغرب .. حيث عاشا ثلاث سنوات كانت مـن اخصب حياة ابـن الخطيب بالانتـاج العلمـي والادبـي .. وسنلتقي به هنـاك في حديث آخـر ..

فاس : عبد القادر زمامة

✶ الاستقصـا ص 195 ج 3 .
✶ المصـدر السـابـق .

الأقواء في الشعر العربي القديم

للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

الشعر هو الصورة المعبرة عن عواطف الانسان واحساساته بالفاظ رشيقة معتمدة على نغمات والحان تثير عواطف السامعين المرهفين وتدفعهم الى التاثر بما يسمعون .

واهم ما في الشعر العربي قافيته التي تبعث فيه ذلك الايقاع الموسيقي المهيمن على اوزانه العامة ، والتي تخلق فيه ذلك الجرس المتوازي النغمات ، انها الطابع الاصيل الذي يبرز الشعر العربي مرتبطا بالغناء متصلا بالموسيقى ، غير ناشز عن الذوق الجميل واللحن المتزن .

ولقد عرف العرب اهمية القافية في الشعر فاطلقوها مجازا عليه من اطلاق الجزء وارادة الكل ، قال شاعرهم :

اعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

وان ارتباط الشعر بقافيته ، دفع علماء الادب الى الاهتمام بعلمين اساسيين في دراسة الشعر العربي : اما احدهما فعلم العروض وهو يهتم بدراسة الانغام الشعرية العامة التي استعملها العرب وبحصر اوزانها في ابحر محدودة اظهر الخليل بن احمد اشكالها ليتيسر لمن كان لهم استعداد فطري ان ينهجوا نهج العرب في انشاء الشعر وصياغته .

واما العلم الثاني فقد خصص لدراسة القافية وابراز محاسنها وعيوبها حتى اذا ما اطلع الشعراء على ذلك اهتموا بشعرهم ، وعنوا به كثيرا فصاغوه بعيدا عن البذاذة والغموض والتعقيد والتكلف والسذاجة ، وابعدوه عن الاضطراب في توازن حركاته وانسجام مجراه .

ولقد ذكر العلماء ان للقافية عيوبا مختلفة والزموا الشعراء باجتنابها ليكون شعرهم جذابا خاليا من الاضطراب في لفظه او معناه .

ومن هاته العيوب أن ياتي الشاعر في قصيدته ببيت شعري لاينسجم في حركة رويه مع باقي الابيات، الا انهم ذكروا ان الاختلاف اذا وقع برفع بيت وجر آخر سمي اقواء ، واذا وقع الاختلاف من الفتح الى الكسر او الضم سمي اصرافا (*) .

والاقواء في اللغة من قولهم اقوى الحبل ، اذا جعل بعضه اغلظ من بعض ، لعدم احكام فتله وكذلك الشان بالنسبة الى القصيدة حين تفقد انسجام سبكها وتختلف حركة رويها لانها لاتسير على نسق واحد ولا تمتاز بجودة التاليف اللفظي .

ومثال ذلك قول حسان بن ثابت يهجو الحارث بن كعب المجاشعي :

لا باس بالقوم من طول ومن قصر
جسم البغال واحلام العصافير

(*) هذا التفصيل لا يوجد في الكتب الحديثة التي تتحدث عن علم القافية وانما تمسي جميع انواع الاختلاف بالاقواء ، واذا اردت امثلة للاصراف فارجع الى متن الكافي في علمي العروض والقوافي لابي العباس احمد بن شعيب القنائي .

كانهـم قصـب جـوف اسافلـه
متقـب نفخـت فيـه الاعـاصيـر

وكقول الحارث بن حلزم فى معلقته :

ليس ينجـى الـذي يـوائـل عنـا
راس طـود او حـرة رجـلاء
فملكنـا بـذلـك الناس حتـى
ملـك المنـذر بـن مـاء السمـاء

وليس يخاف ان هذا الانتقال المفاجيء من حركات متوالية الى حركات اخرى بعيدة عنها فى المخرج يثير قلقا فى السمع ونشوزا فى النغمة الشعرية التي ترتكز عليها القصيدة مما دعا كثيرا من الشعراء الاسلاميين الى ان يفتخروا بتهذيب شعرهم وابعاده عن هذا الانزلاق بالقافية الى مظهر ينبو عنه الذوق السليم :

قـال ذو الرمـة :

وشعـر قـد ارقـت لـه طـريـف
اجنبـه المسانـد والمحـالا (*)

وما افتخر ذو الرمة بتقديم شعره سليما من عيوب القافية خاليا من الخلل فى توازن حركاته الا لكونه كان يعرف ما يوجهه النقاد من اللائمة على الذين لم يسايروا هاته الطريقة الجديدة ورضوا بالتقليد المطلق للشعراء الجاهليين فى استعمال الاقواء فى شعرهم .

ولقد لام المعري فى رسالة الغفران شاعرا اسلاميا لانه استعمل الاقواء فى شعره (*) وهذا يدل على ان النقاد لم يكونوا يستسيغونه فى الاسلام ، ولكن كيف امكن للجاهليين ان يستعملوه فى شعرهم وان يستسيغوه دون ان يروا فى ذلك عيبا ، فهل كانت اذواقهم ضعيفة او كانت صناعتهم للشعر غير ناضجة او كانوا يستعملونه عمدا لغاية من غايات البيان والاعجاز ؟

يظهر من الدراسات النقدية فى الادب ، ان الشعراء الجاهليين لم تكن اذواقهم تستهجن استعماله والدليل على ذلك ان كثيرا من فحول الشعراء قد استعملوه فى شعرهم ، فقد استعمله امرؤ القيس والحارث بن حلزة وحسان بن ثابت والنابغة الذبياني .

ومن المعروف عند الادباء ان النابغة كانت تقام له خيمة عظيمة فى سوق عكاظ ، فيفد عليه الشعراء ينشدونه اشعارهم ويتفاضلون امامه ليحكم بينهم .

وليس من الظاهر ان يكون الحكم بين الادباء جاهلا بقواعد الشعر غير عالم بفنونه ولا مطلع على ما يستهجنه الناس ويستحسنونه ، اذ لو كان يرى فى الاقواء عيبا لتجنبه وجنبه الناس .

ولقد عسر على بعض الرُّوَاة ان يروا النقاد الاسلاميين يستنكرون استعمال الاقواء ثم لايجدون فى الجاهليين من يستنكره ، لذلك رووا ان النابغة كان اذا اقوى لم يتجاسر احد عليه لينبهه حتى اذا اقبل يوما الى مدينة يثرب وانشد جماعة منها قصيدته التي وصف فيها المتجردة احتالوا عليه فاتوه بجارية فغنته من هاته القصيدة قوله :

سقـط النصيف ولم تـرد اسقـاطـه
فتنـاولتـه واتقتنـا باليـد
بمخضـب رخـص كـأن بنانـه
عنـم يكـاد مـن اللطافـة يعقـد

وتعمدت الجارية اشباع كسرة اليد حتى صارت ياء كما تعمدت اشباع ضمة يعقد حتى اصبحت واوا فتنبه النابغة آنذاك الى الاثر السيء الذي يحدثه الاقواء فى الشعر وتجنبه وتزيد الرواية انه قال : (دخلت يثرب وفى شعري بعض العاهة فخرجت منها وانا اشعر الناس) .

واذا كانت هاته الرواية صحيحة فاننا نعتبرها خاطرا جديدا طرا على الاذواق فى الجاهلية فى اخريات هذا العصر ، لاننا لانجد من الشعراء قبل ذلك من انكر استعمال الاقواء ، **بل انني ارى الاقواء كان يستعمل قصدا لتاكيد الكلام وتقريره وتنبيه السامعين الى نقطة معينة يريد الشاعر ان يوجههم اليها ، وهذا هو السر فى ان كثيرا من الشعراء كانوا يستعملونه فى القصائد التي يقدمونها فى المنازعات والمرافعات .**

---

* السناد فى علم القافية اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ولكن المراد فى بيت ذي الرمة كل عيب يلحق القافية .
* رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطيء سلسلة ذخائر العرب صفحة 135 .

فقد اشتهر في الادب العربي ان امرا القيس والاعشى تساجلا ، فقدم كل منهما قصيدة الى أم جنذب زوجة امريء القيس لتحكم بينهما وتختبر شاعريتهما فتفضل احدهما على الآخر :

كان مطلع قصيدة امريء القيس :

خليلي مرا بي على ام جنذب
نقض لبانات الفؤاد المعذب

وكان مطلع قصيدة الاعشى :

ذهبت من الهجران في كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

ولا شك ان القصيدة التي يريد الشاعر ان يبرز بها خصمه يتعمد في صناعتها ويوجه عنايته الى معانيها والفاظها ، ولقد كان امرؤ القيس من اشهر الشعراء الذين امتازوا بحسن الصنعة وجمال الاسلوب والتنوع في التعبير ، ومع ذلك فقد استعمل الاقواء في هاته القصيدة التي حاول ان يبدع فيها وان يتغلب على خصمه ، فلو راى في استعماله ما يفسد عليه خطته لتجنبه ولآثر الابتعاد عنه بل انه كان يرى فيه مظهرا من مظاهر الصنعة،ووسيلة من وسائل التنبيه والاغراء.

قال امرؤ القيس في هاته القصيدة :

فقلنا الى بيت بعلياء مردح
سماوته من اتحمي معصب
وقلنا لفتيان كرام الا انزلوا
فعالوا علينا فضل ثوب مطنب
فلما دخلناه اضفنا ظهورنا
الى كل حاري جديد مشطب
فظل لنا يوم لذيذ بنعمة
فقل في مقيل نحسه متغيب

فهو قد خص الاقواء بهذا البيت لانه صور فيه يوما من ايام ذكرياته كان قد انعم فيه واستراح وخشي ان تمر به دون ان تحس بما يحس وان لا تشعر بما يشعر به ولذلك استعمل الالتفات ايضا .

وكذلك كان الامر بالنسبة الى الحارث بن حلزة وعمر بن كلثوم .

فقد وقع الخلاف بين البكريين والتغلبيين وكاد ان يدفعهم الى حرب طاحنة لكنهم التجأوا الى المحاكمة امام عمرو بن هند ملك الحيرة وترأس التغلبيين عمرو بن كلثوم فالقى جزءا من معلقته الشهيرة التي ابدع فيها ، فكانت تنبعث منها العواطف صاخبة مدوية ترفع قبيلة تغلب على كل القبائل وفي هاته القصيدة يقول :

متى ننقل الى قوم رحانا
يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرقي نجد
ولهوتها قضاعة اجمعينا

وكانت الضرورة تدعو شاعر البكريين الحارث بن حلزة ان يرد مزاعم التغلبيين وان يصامد شاعرهم ويقاومه بالحجة والدليل فقام امام الملك والقى قصيدته الشهيرة :

آذنتنا ببينها اسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

وغير خاف ان القصيدة التي القاها الحارث بن حلزة كانت عصارة فكره وعاطفته اجهد فيها نفسه ليقدمها صورة رائعة تجمع بين حسن البيان وقوة المعاني وبين سحر الالفاظ وجلال الافكار ، اعتمد في صياغتها على التجربة والممارسة للحياة ؛ لقد كان مثالا للذكاء والدهاء لا ينطق الا بالحجة ولا يتحدث الا بالبرهان ولا يستعمل من الاساليب البيانية الا ما كان قويا وجليلا ، ولهذا نعتبر استعمال الاقواء في قصيدته يرمز الى التوكيد والتقرير وتنبيه السامعين فهو قد انتقل في قصيدته من مدح قبيلته الى مدح والد الملك المتحاكم عنده ليستميله وليذكره بان التغلبيين كانوا قد خذلوا اباه قال :

ليس ينجي الذي يوائل عنا
راس طود او حرة رجلاء
فملكنا بذلك الناس حتى
ملك المنذر بن ماء السماء
ملك اضرع البرية لا يو
جد فيها لما لديه كفاء

ان الاقــواء في هذا البيت كـان مقصــودا ، لان الشاعر حينما اراد ان ينتقل الى مدح والد الملك خشي ان يكون الملك لاهيا عنه ، فاحدث في القافية هذا التغيير المفاجيء ليجذبه اليه من جديد وليتبهه الى ما يكنه من اجـلال للـوك الحيـرة .

وان تحوير مجرى القافية يبعث في الـسامع انتباعا غير منتظر قد يدفعه الى ترديد البيت المقصود الـذي يسعى الشاعـر في تقريـر معنـاه .

ولم يكن العرب يستعملون اسلوب التوكيد بتحوير مجرى الحركة في الشعر فقط ، وانما كانوا يستعملونه في النثر ايضا والقرآن وهو الكتاب الذي انـزل بلسان عربي مبين قد خاطب العرب وفـق الاساليب التـي يفهمونها ويستعملونها ، فاكد بتحوير مجرى الاعـراب ايضا ، قال تعالى (*) : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمـن بالله واليـوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة **والموفون** بعدهـم اذا عاهدوا ، **والصابريـن** في البأساء والضـراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

فان سياق الكلام يقتضي رفع الصابرين ، ولكن الله تعالى حينما اراد ان يظهر فضل الصبر في الشدائد، وان يوجه اليه عناية المسلمين غير مجرى كلامه حتـى نتدبر ذلك ونتسلح بالصبر عند النوائب .

وهكذا راينا ان تحوير الكـلام العادي يشعـر بالتاكيد وهذه هي العلة التي كانت تدفع شعراء الجاهلية الى استعمال الاقواء في شعرهم قبل ان تمجه الاذواق وتعده عيبا من عيوب القافيـة .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(*) مـن سورة البقـرة آيـة 177 .



أدب الطير عند الجاحظ

للدكتور : زكي المحاسني

لم احمل شيئا معي من كتب ابي عثمان الجاحظ الى اوربا حين زرتها صيف سنة 1961 ، لكني وجدته لي رفيقا حيثما كنت احل . فلقد عاش سائحا ، لكن في مكانه ،على نحو ما ساح الكاتب الفرنسي «ستاندال» في كتابه (سياحة حول غرفتي) . وعرف الجاحظ من عالمه الشيء الكثير ، حتى وصل في معرفته الى حدود الاعجاز . ونحن على حضارة عصرنا العشرين ، لا نجد فينا محيطا بالعلم من الافذاذ احدا ، كما احاط الجاحظ .

لقد ذكرته في صحن المعبد الكبير يحدق به البحر في مدينة فينيسيا ، فقلت بالله ، أيمضي معي شيخ ادباء العرب في القرن الثاني والثالث للهجرة وفي سائر القرون ، الى مدينة الانهار البحرية ، ويركب الفوندول ، ويسمع القيثار من المغني ، الذي كان ينساب بنا في مركب أرق من « سميريات » بغداد ، على عهد الرشيد ، حين كانت تنساب بدجلة تحت ليالي القمر .

لقد اخذت اخاطب ابا عثمان في سري ، واقول له :

ما جاء بك الى هنا ؟ .

لكن بعد الشقة حملني على الخروج من الغندول الصغير الى سفينة كبيرة متواترة المسير ورفيقاتها تنقل القوم كما تصنع في بلادنا حافلات الترامواي . فركب معي خيال ابي عثمان وابى الرجعة الى بغداد وما كنت اعلم مراده ، حتى حللت به ساحة معبد سان ماركوس ذي الاعمدة الشاهقة الذي يعلو الجبهة العليا على بابه جودان مطهمان من خالص النحاس يردهما عتق القرون الى الرومان ، فاخذت هنالك اقتعد حافة من حفافي عمود ضخم توسط صحن المعبد ، وقد علا تاجه القورنثي طيور كادت تغطيه ، وازدحمت علينا في الصحن طيور لا يحصى لها عديد ، فاخذت انادم الجاحظ وانا اداري هذه الطيور ، وانثر لها حبا اشتريته من صغير يبيعه للسائحين ، فجعلت تلتقطه بمناقيرها ، وهي تركب منكبي وراسي ، وتقف على كتفي وساعدي ، مؤنسة هادئة ، تمنيت ان اعكف على مناقيرها ، لو استطعت ، بالتقبيل .

وكان الجاحظ قد زرع في نفسي الشوق اليها من طول ما مارست كلامه عليها ، في كتابه الذي سماه « كتاب الحيوان » وقد وجدته يؤثر الطير ويحبه اكثر من كل حيوان ذكره في كتابه ، ولو اني اصطفيت كلامه عليه ، لاستخرجت منه علما جديدا في تاريخ علوم البشر في عصرنا ، وهو (علم نفس الطير) ، فلقد حلل حركات الطير ووصف شبابه والوانه واحواله ، وصور لنا صفته ، ورهافة حسه ، ودقة شمه ، وانسيابه وراء قوته نحو الآفاق البعيدة ، ومعرفته الدقيقة بالجهات التي يمر بها فيعود منها . وكيف كان رسولا امينا في سوالف العصور وفي عصره ، يحمل بأيديه وتحت اجنحته الرسالات الدقاق الى اقاصي الارض .

وقد ادهشني زمنا وانا اعاين في سطوره حركات الطير ، وشوق الحمام وحبه لانثاه ، وعزله ، والتماسه التقرب منها ، بعفة وصدق .

كل هذا مع ايراد النوادر والاحاديث الشيقة ، والقريب من حكايات واخبار تتعلق بالحمام والطير .

وقد كنت في دمشق اضيق بجانب داري برجل يكش الحمام فوق سطح بيته العالي ، فيتخذ عصـا طويلة على راسها نتف من القماش ، يرفعها بكلتا يديه، ويلوح بها في الجو ، لسرب من الحمـام كان يطيـر في الغدوات والعشايا ، وكنت اعاين بملل وتضجر صنيعه حتى قرات الجاحظ واعجبت بكلامه الرائع على الطيور والحمائم ، فصار شاغلي في راحتي وخلوتي أن أشاهد كشاش الحمام في جوارنا ، واعد طيوره ، واری کیـف تحط وكيف تقوم ، وكم كان يشوقني حتى الآن منهـا الطيور البيض ، فاتمنى لو مسحت طويلا براحة يدي، على اجنحتها البضة النقية .

كل هذا مر بخاطري وخيال الجاحظ حيالـي في ساحة كنيسـة سان مارك بفينيسيا .

كان الجاحظ يقول في كتابه الحيوان (ولا نعرف شيئا من الحيوان اشرف من الخيل والطير) . وكانت طريقة الجاحظ في دعم شواهده واخباره في كثير من منهجه في التأليف استعمال الشعر والقول المأثور يدل به على وجهات قوله ومرام افكاره ، او يجد ابعد دعما لموضوعه في آيات القرآن الكريم . ولما أخذ يمعن في البحث من أجل الحمام والطيور اورد آيات في الطير تتعلق بابداعه وخلقه ، حتى بلغ حكاية اصحاب الفيل، فذكر قول القرآن الكريم « فارسل عليهم طيرا ابابيل » ثم ذكر الآية : « وورث سليمان داود » وقال « يا ايها الناس علمنا منطق الطير » ثم استمر ابو عثمان حتى اورد في أمر سليمان الآية « وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين » وقوله « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » ويتعلق ابو عمثان بكلمة (منطق الطير) فيسرح خاطره في شرحها على أوجـه من ظواهر الدلالة اللفظية والمجازات .

ثم يمضي الى مطعم الطير ومحشـره فيعـدد الآيـات :

« ولحم طير مما يشتهون » « والطير محشورة كل له أواب » .

وقد وقفت طويلا عند الآية الاخيرة ،لارى محشر الطير في مكان آخر ، احفل بالناس من كل نوع وذلك في ميدان الطرف الاغر بلندن ، حيث يجلس الناس على مدارج الحجارة ، ينظرون الى مطفرة الميدان ، وقـد علا رزازها وقفزت في عمود مائي الى الجو ، ثم جعلت ترتد الى البركة الواسعة ذات التماثيـل . والطيـور دواكن الالوان تملأ السـاحة ، ويحار المارة والقاعدون، اذ يمشـون ، واين يجلسون ، من ازدحامهـا عليهـم ، وهي تطلب كرمهم المنساب حبا متناثرا من أيديهـم ، وقد فكرت آنذاك بالخيال العربي الذي مدح به الشعراء كرماء هم بمثل اقوالهم « تمطر يده ، وتسيل كفـه » واكثر اولئك السـائحين ، كانوا يتزاحمون في الميدان الوسيع ، امام كنيسـة القديس بطرس بروما ، حيـث الطير يؤلف اسرابا .

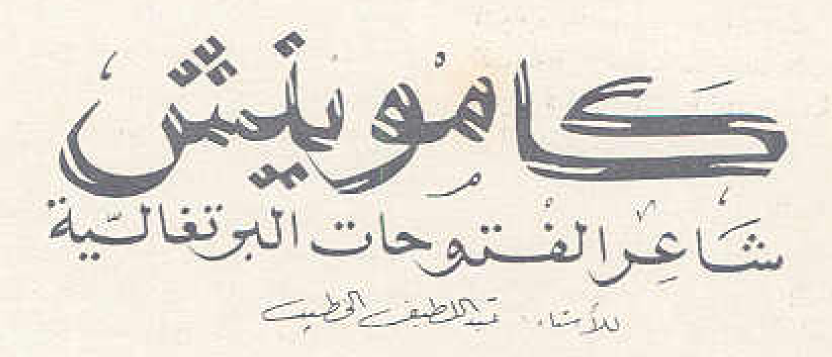
ولم أخل الخاطر في طيور المعابد ، من بـلادي : فان في مسجدنا الاعظم بدمشق ، مسجد بني أميـة طيرا تعلو شرفاته وقبابه ، لكنها قليلة مجفلـة ، لـم يعودها احد من الناس الايناس ، فيرمي لها الحـب تلقطه ، فهي ابدا نافرة معتزلة . وفي مساجدنا من ديار العرب طيور كثيرة ، وقد دلنا الادب العربي القديم على وجودها في البيت الحرام بمكـة حين قال الشاعـر مشبها الغيد الرعابيب بالحمائم المكية المحرم صيدها اذ يقول : « كحمام مكة صيدهن حرام » .

لقد لزمت ابا عثمان هذه الايام ، ولي اليه عـود كلما تركته ، وكان سبب عودتي اليه الآن اطلالة اطللت بها على حديقة جاري المباحة لنظري ، والتـي ترتمي عليها شرفتي الكبيرة ، وعنده ستة طيور بيض ، أسمع هديلها كموسيقى الاهية ملهمة ، اطرب لها ، واذكـر كيف كان « وبول كلوديل » و « بيبرينوا » مولعيـن بالطيور البيض ، لكل واحد منهما طير كان يمسك به ويناغيـه .

دمشق في اول شباط 1964

الدكتور زكي المحاسني

كلام الجاحظ على الطير في « كتاب الحيـوان » طبعة البابي الحلبي بالقاهرة ج 7 صفحة 048 بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون وشرحه .



نشرنا في العدد الفائت بحثا بعنوان ((تاريخ حملة البرتغال على المغرب في المصادر البرتغالية)) . ونظرا لما كان بين هذه البلاد ووطننا من الاتصال الوثيق خلال قرون متعددة واحاطة شاعرها الفذ بهذا التاريخ فقد رأينا من الفائدة التاريخية والادبية من جميع جوانبها . ولعله يكفي ان يكون الشاعر الفحل قد حارب بلادنا حتى فقئت عينه اليمنى ضمن الحامية البرتغالية بسبتة وذاع اسمه في مختلف أطراف الارض لينال حظا موفورا من اهتمامنا التاريخي والادبي معا .

مرت اربعة قرون على قيام مملكة البرتغال عندما شرعت في النصف الاول من القرن السادس عشر تسير بخطوات واسعات نحو السيطرة على العالم بفضل كشوفها وفتوحاتها . فلقد أخذت هذه الدولة التي لم يكن مجموع سكانها يزيد على مليون ونصف تبسط سيطرتها على اقطار متباعدة في آسيا وافريقيا وامريكا على السواء فاصبحت في حاجة الى أديب يشيد بمفاخرها ويخلد امجادها كما كانت القبائل العربية تحرص من قبل على ان يكون لها خطيب وشاعر ينشران اعمالها في الناس . وفي هذه الاثناء ظهر ((لويس دي كاموينش Luis de Camoens)) فكتب قصيدة مطولة خالدة في تاريخ الاداب العالمية واقترن اسمه بتاريخ وطنه ولغته معا .

ونحن لا نشك في ان مكانة (دانتي) و (شيكسبير) و (ثيرفانطيس) عظيمة للغاية في الآداب الايطالية والانجليزية والاسبانية ، ومع ذلك فنحن لا نشك ايضا في انه لم يكتب لاحد من هؤلاء العمالقة الثلاثة ان ارتقى الى مكانة الشاعر ((كاموينش)) في البرتغال . ذلك انه كان شاعرا قوميا وقف قصيدته كلها على تمجيد وطنه وزوده بلغة حديثة حية وادب حماسي اخاذ رائع فضمن لنفسه الخلود في كل الاقطار الناطقة باللغة البرتغالية .

من هو ((كاموينش)) ؟

ينحدر الشاعر من بيت نزح من ناحية جليقية بالشمال الغربي لاسبانيا الى البرتغال في السنة السبعين من القرن الرابع عشر على عهد ((انريكي الثاني)) ملك قشتالة . واذا كان الرواة قد اثبتوا انه ولد سنة اربع وعشرين وخمسمائة والف فقد اختلفوا في مكان ولادته حيث قال بعضهم انه ولد بمدينة ((كويمبرة)) واكد معظمهم ان ولادته كانت بلشبونة . وهناك من قال انه ولد بمدينة ((سانطارم)) او بغيرها ايضا . الا ان القرائن المختلفة ترجح ولادته بالعاصمة . ومثل هذا الخلاف قد وقع حول مكان ولادة ((هوميروس)) و ((كولومبوس)) وغيرهما من عظماء التاريخ على ما لاحظه بعض كبار المؤرخين .

غير انه من المؤكد ان ((كاموينش)) قد استقر بمدينة ((كويمبرة)) منذ شبابه الاول طلبا للعلم فدرس الفلسفة واللغات الفرنسية والاسبانية والايطالية دراسة عميقة ، كما الم ببعض الالمام باللغة اليونانية قبل أن ينهي دراسته ويعود الى لشبونة وعمره لا يزيد على ثمانية عشر عاما ...

وكان من الطبيعي في هذه السن ان يصاب الشاعر الشاب بسهام الحب فما كاد يعود الى العاصمة حتى وقع في حب سيدة نبيلة لها علاقة بالقصر وتبين بعد

البحث الطويل انها ((دونيا كاطالينا دي اطايدي)) فكان اكتشاف علاقته بها بداية سلسلة آلامه واحزانه . فسرعان ما صدر الامر بنفيه من لشبونة فاصبح يتسلى عن وحدته وحياته التائهة بمقارنة حالته بما جرى للشاعر ((اوفيديو)) لنفس السبب . ويظهر انه شرع يفكر في وضع قصيدته العصماء « Os Lusiadas » اثناء هذه الفترة . وقد صدر الامر بتحريره فلم يرعو ، اذ لم يرجع الى لشبونة حتى عاد الى الاتصال بمحبوبته فعوقب بابعاده الى سبتة سنة 1546 حيث عمل جنديا مع الحامية المرابطة بها والمكلفة بصد الهجمات المغربية المتواصلة بغية استرجاعها منذ ان اغتصبها البرتغال قبل مائة واحدى وثلاثين سنة . وقد شارك الشاعر في بعض الاشتباكات التي دارت عند حصون المدينة واسوارها المنيعة ففقئت عينه اليمنى (*) .

واذا كان شاعر البرتغال الفحل قد فقد عينه اليمنى في مقاتلة المغاربة الجادين في العمل على استرداد مدينتهم الاسيرة فعلينا ان نلاحظ ان اديب اسبانيا الاكبر قد شلت يده اليسرى في محاربة الاتراك . ويقول المؤرخون الاسبانيون والبرتغاليون على السواء ان هذه ((المصادفة العجيبة)) برهان على الرباط المتين الذي يجمع بين السيف والقلم عند الدولتين المتجاورتين ، متمثلا في اديبيهما الكبيرين . وقد قضى الشاعر اربعة اعوام في سبتة قبل ان يعود لما انتصف القرن الى لشبونة ليبحر منها الى الهند بعد مدة لم تزد على ثلاث سنين قضى بعضها في السجن لكونه خف الى نجدة بعض اصدقائه فاصاب احد خصومهم بجروح بليغة .

ركب ((كاموينش)) البحر يوم 24 مارس 1553 وقلبه يفيض الما للجحود الذي لقيه من وطنه حتى قال بعض الرواة انه اقسم صارخا ان لا ينخر تراب البرتغال عظامه لما غاب عنه منظر لشبونة . ولم يكد الاسطول يقترب من راس الرجاء الصالح حتى هب عليه اعصار شديد اهلك معظم سفنه . وكان حظ الشاعر في هذه المرة سعيدا اذ كتبت له النجاة وان كان لم يصل الى الهند الا بعد ان شارك في اعمال عسكرية وتقلب بين مغامرات عديدة منها مساهمته في الهجوم على بوغاز ((باب المندب)) بجنوب البحر الاحمر وعلى بعض السواحل الغربية للمحيط الهندي . وقد وصل الى مدينة « غوا » التي كانت عاصمة المستعمرات البرتغالية في الهند بعد احتلال ((البولكيركي)) لها بأربعين سنة .

واذا كان الشاعر في طليعة انصار حملة الفتح والتدويخ التي كانت اساس سياسة دولته فانه قد التزم مع ذلك موقفا متزنا يشهد به كتابه ((متناقضات في الهند)) حيث ينتقد بشدة تصرفات بعض الفاتحين والولاة ، وكان ذلك النقد مما اثار عليه غضب المسؤولين في تلك المستعمرة فغادرها سعيا في التخلص من مضايقاتهم ومكرهم ، حيث وصل الى جاوة قبل ان يستقر بجزيرة ((ماكاو)) الصينية التي لا تزال في حكم البرتغال الى اليوم . وكانت بهذه الجزيرة مغارة كان الشاعر يأوي اليها لكتابة قصيدته العصماء الخالدة فقضى بها سنتين قبل ان يغادرها مكرها . وغرقت السفينة على مقربة من سواحل الهند الصينية لما هب عليها اعصار شديد فلم ينج الا سابحا وهو يحمل باحدى يديه مخطوط قصيدته . وبعد أهوال عديدة وصل الى ((جروا)) حيث جاءه خبر وفاة محبوبته فرثاها بقصائد رائعة عبر فيها عن عظيم حزنه . وزار ((كاموينش)) بعض جزر المحيط الهادي ، وهناك من يقول انه وصل الى اليابان . وقد عظم شوق الشاعر الى وطنه فغادر ((جاووا)) متوجها تحت رعاية نائب الملك الى مستعمرة موزمبيق التي صرف فيها بعض الوقت في كتابة كتاب ((منتدى الادب)) الذي كان عبارة عن دراسات اخلاقية وعملية ، الا ان هذا الكتاب قد سرق منه بمجرد انهاء تأليفه فضاع ولم يعثر له على اثر .

ولما عاد ((كاموينش)) في شهر ابريل سنة سبعين وخمسمائة والف الى لشبونة وجد الطاعون متفشيا فيها ورأى ((سيباستيان)) يعد حملته المشهورة التي لقي فيها حتفه فكان بداية النهاية لعظمة البرتغال . وفي هذه الاثناء سعد الشاعر بنشر قصيدته ومشاهدة نجاحها واقبال القراء عليها حتى اعيد طبعها قبل مرور سنة واحدة . وقد أمر الملك بصلة سنوية للشاعر . ولما كانت

(*) اطلقت السلطات الاسبانية بسبتة اسم الشاعر على احد الشوارع الرئيسية في المدينة ونقشت بجدار ناديها رخامة باسمه وصورته وقد فقئت عينه ، ابرازا لتضحيته واستبساله في رد هجماتنا . وقد كان الحكام الاسبان على عهد حمايتهم بمنطقة الشمال يعملون بنفس هذا الشعور فيقيمون في الاسبوع الاول لشهر اغسطس من كل عام صلاة الترحم على ((دون سيباستيان)) عند ((واد المخازن)) بمحضر وفد رسمي من الحجاج البرتغاليين حيث كانوا يشيدون بتلك الحملة الصليبية على بلادنا يوم ذكرى مصرع ملكهم الشاب في رابع اغسطس .

هذه الصلة المتواضعة لا تدفع اليه بانتظام فقد وقع في العسر والحاجة . ويقول بعض الرواة ان ((كاموينش)) كان قد استصحب عبدا له من جزيرة جاوة وان هذا العبد قد اخلص له اخلاصا كبيرا حتى انه كان يخرج في بعض الليالي الى شوارع لشبونة للاستجداء ليبسر على سيده بعض الشيء ، الا ان هذا العبد الصديق قد توفي في الايام التي علمت فيها البرتغال بهزيمتها وهلاك ملكها بضواحي مدينة القصر الكبير . وقد حزن الشاعر للمصيبة القومية والمصيبة الشخصية حزنا كبيرا فمات قبل ان يدور الحول عام ثمانين وخمسمائة والف وعمره يقارب ستا وخمسين سنة . ولم يكتب للشاعر ان تزوج ابدا ، وربما لم يكتب لاحد من اعلام الادب القدماء ان سار في الارض كما سار شاعر البرتغال ، اذ تنقل بين سبتة وجزيرة ((ماكاو)) بسواحل الصين ، وبين موزمبيق والهند وجاوة . ولما حلت الذكرى المئوية الثالثة لوفاة الشاعر اقامت الحكومة البرتغالية حفلا مشهودا ونقلت جثمانه الى كنيسة ((بيت لحم)) بالعاصمة حيث يرقد مع زمرة الخالدين. ولعل البرتغال هي الدولة الوحيدة التي خلدت يوم ميلاد شاعرها القومي الفحل بأن اتخذته عيدا قوميا لها .

القصيدة

لم يكن الشاعر مقلدا باي حال ، فقد برز في الابتكار والابداع مستعينا على اتقان انتاجه التلقائي الرائع برسوخه في العلوم والاداب ، بالاضافة الى تضلعه في اللغات الفرنسية والاسبانية والايطالية واللاتينية والمامه باللغة اليونانية ايضا كما اسلفنا . ومع ذلك فهو لم ينكر ابدا انه اتخذ موضوع ((اينيد)) للشاعر ((فيرجيليو)) نموذجا لقصيدته ، فاذا كان الشاعر الروماني يصف رحلة ((ايني)) من طروادة الى روما فان الشاعر البرتغالي العظيم يصف رحلة الكشاف ((فاسكو دا غاما)) من البرتغال الى الهند وعودته المظفرة الى وطنه . الا انه لم يقتصر على وصف هذه الرحلة كما فعل ((فيرجيليو)) في وصف الرحلة الى روما ، وانما جعل موضوع قصيدته المطولة سجلا جامعا لتاريخ بلاده مشيدا بمفاخر شعبه التي بلغت أوجها باكتشاف الهند . وقد جعل لها عنوان ((اوس لوسياداس)) نسبة الى ((لوسو)) مؤسس البرتغال واشراكا لجميع مواطنيه في مفخرة الاكتشاف والفتح . وقد كان اسم ((لوسيطانيا)) يطلق على غرب شبه الجزيرة اثناء الاحتلال الروماني للاندلس .

لقد نشرت الملحمة لاول مرة سنة 1572 فاصبحت في وقت غير طويل جدا في طليعة روائع الاداب العالمية. وكان التوسع الاستعماري البرتغالي قد بلغ غايته آنذاك فجاءت هذه المطولة تقييما له واشادة به ، وقد زادها روعة عمق التفكير الفلسفي فيها وصحة المعلومات التاريخية والجغرافية والفلكية التي تضمنها ، حتى ان بعض العلماء الفلكيين في هذا القرن العشرين قد اثبتوا صحة المعلومات ودقتها فيما أورد الشاعر في هذا العلم منذ ما يقارب أربعة قرون .

وتتألف القصيدة المقفاة وذات الاسلوب الجزل من عشرة اناشيد بلغ الشاعر ذروة الاعجاز على قول كبار النقاد بالاجماع في وصفه لاستشهاد ((اينيس دي كاسترو)) ضحية الحب ، وفي تصويره لقوة الاعاصير التي هبت على الاسطول البرتغالي الذي كان يركب احدى سفنه عندما اقترب من راس الرجاء الصالح متجها الى الهند .

وتبدا القصيدة بمدخل رائع يستلهم فيه الشاعر ملك البلاد وآلهة الخيال قبل ان يذكر اجتماع الالهة للتذاكر في مستقبل البرتغال ويصف رحلة ((فاسكو دا غاما)) واختلاف آراء الآلهة في محاولته الجبارة بين مؤيدين ومعترضين. هذا هو موضوع النشيدين الاولين؛ اما النشيد الثالث فيصف لنا ما سماه بحملة استرجاع البرتغال من ايدي الفاتحين المسلمين. ويتعرض النشيد الرابع لذكر المعارك التي دارت بين مملكة البرتغال ومملكة قشتالة وكذلك لاعمال الفتح الاولى في افريقيا . ثم يعود الشاعر في النشيد الخامس الى وصف رحلة الاكتشاف حيث يصور الاعصار الشديد الذي تقدمت الاشارة اليه . اما النشيد السادس فوصف لقصر ((نبتون)) بينما يتناول النشيدان التاليان وصف الفتوحات البرتغالية في الهند . وقد قصر النشيد التاسع على وصف ((فينوس)) باعتبارها حامية الاسطول البرتغالي وهي تسوقه في بحار هادئة . أما النشيد العاشر فيتناول تراجم نواب الملوك والحكام البرتغاليين في الهند المحتلة قبل ان تختتم الملحمة الجامعة باستلهام الملك ((دون سيباستيان)) وتمجيده والدعاء له بالنصر والتمكين .

هذا وصف موجز للغاية لهذه القصيدة العصماء التي جمعت بالاضافة الى ما سبقت الاشارة اليه وصفا دقيقا لاوربا ولاقطارها وشعوبها المختلفة قبل الوصول الى شبه الجزيرة باعتبارها ((راس اوربا)) ليتفـرغ لتاريخ وطنه بالتفصيل حيث بداه بعهـد « الفونسو الاول)) الذي حكم البلاد قرابة ستين سنة توسطت القرن الثاني عشر . ولعل حياة الشاعر قد اقترنت بفترة العظمة والقوة فى تاريخ بلاده ، اذ توفى فى شهر يونيه سنة ثمانين وخمسمائة والف ، وذلك قبل بضعة ايام من قيام الحوادث التي ذهبت باستقلال البرتغال واخضعتها للسيطرة الاسبانية خلال ستين عاما . وتزعم الكتب الاسبانية التي اوردت ترجمة الشاعر العظيم ان ملك اسبانيا ((فيليبي الثاني)) قد اقر لما آل اليه حكم البرتغال مواصلة دفع الجراية السنوية لوالدة الشاعر فظلت تستلمها سنوات عديدة الى ان توفيت .

لقد كانت لهذا الشاعر الفحل ميزة التبريز على جميع ادباء عصر النهضة بفضل اهتدائه الى سلوك هذا النهج وتوفيقه البعيد فى اثبات تاريخ وطنه واحاطته بتاريخ فترة هامة فاصلة فى حياة العالم أجمع . وهنا تكمن قيمة هذه القصيدة العصماء الشاملة بالاضافة الى قيمتها الادبية الكبرى . فمن حق ((كاموينش)) علينا ان ننظر فى تفكيره وانتاجه بمنظار العصر الـذي وجد فيه وباعتبار المقاييس الدينية والقومية التي كانت سائدة آنذاك . ومن حقه علينا أن نكبر له عمله الـذي يعتبر بحق فى طليعة الاعمال الادبية العالمية الرائعة ، وان نثبت فضله على الثقافة باسهامه الكبير فى انشاء لغة حية حديثة يتكلم بها اليوم ما يقارب تسعين مليون نسمة فى البرتغال واقطار اخرى هي بسبيل التطور والانعتاق .

الرباط : عبد اللطيف الخطيب





الثقافة

للأستاذ : عباس الجراري

سبق ان قلنا في مقال عن الثورة الثقافية ان هذه الثورة تحتاج الى تخطيط ، وان هذا التخطيط يحتاج الى دراسة تبحث في اصول ثقافتنا وما الم بها من تطور وتغيير لمعرفة المراحل التاريخية التي مرت بها والتأثيرات التي خضعت لها والتفاعلات التي حدثت لها مع غيرها من ثقافات الامم والشعوب والخصائص التي تميزها عنها وما الى ذلك مما تتطلبه مثل هذه الدراسة.

والحديث في موضوع الثقافة واصولها يقتضي منا باديء ذي بدء ان نبحث في مفهومها تحديدا لوجهة السير ونقطة الارتكاز ، وصونا من فوضى ما اغنانا عن التعثر فيها ونحن ندعو الى المنهجية والتخطيط .

والواقع ان مفهوم الثقافة Culture يثير كثيرا من الغموض والاختلاف سواء في اللغة العربية او اللغات الاوربية ، على الرغم من ان هذه سارت بعيدا في تحديد معاني الفاظ المدنية والعلم . واذا رجعنا الى معاجم اللغة وقواميسها الفينا ان Culture تعني في اصلها التربية والزراعة ، وان الثقافة تفيد التسوية والاتقان ، فثقف الرمح سواه ، وثقف الصنعة اتقنها ، وانتهينا الى ان استعمال اللفظة فيما نحن بصدده في جميع هذه اللغات انما هو من باب المجاز ، وان هذا الاستعمال عرضها لكثير من الغموض وسوء الفهم ، واخضعها لتلك الفوضى التعبيرية التي يعيشها الناطقون بالعربية في كل مكان ، والتي تضطرب فيها معاني الفاظ كثيرة تداولتها السنة الناس ــ عن فهم وعن غير فهم ــ فحادت بها عما وضعت من اجله او عما صارت ــ او كان مفروضا ان تصير اليه ــ عبر سنين طويلة من التطور والاحتكاك والاستعمال . والاسف شديد ان نرى بعض المتحدثين والكتاب يسايرون هذه الفوضى ويخطئون في حق كثير من صفات العلم ومصطلحات الحضارة التي لم تحدد بعد مفاهيمها ، او حادت ولكن مازالت تخضع لتيار القلب والتزييف .

والذي يتبين من استعمال الناس ــ واعني من يعطون للكلمة بعض القيمة والوزن ــ ان الثقافة تحددت في الاذهان على ثلاثة معان :

الاول : الحضـــارة

الثاني : التخصص المهني في احد العلوم والفنون.

الثالث : المعرفة مكتملة .

امانها الحضارة ، فرأي لا اظنه يصيب المعنى الصحيح ، فالحضارة دون الثقافة يمكن اصطناعها والاسراع بها في سبيل التقدم والازدهار ، والحضارة ــ كما نفهمها ــ لا يتوقف قيامها على وجود الثقافة مكتملة ــ ولا اقول الثقافة مجردة ــ ، ولعله يكفي لبلد ما ان يكون فيه عمران وقانون وسلطة وما الى ذلك لتكون حياته متحضرة الى حد ، ولو لم يكن للادب مثلا اثر يذكر فيه . ومع هذا فمن الصعب علينا في كثير من الحالات ان نميز بين ما هو ثقافي وما هو حضاري ، فبعض حاجات الانسان التي تستند في وجودها الى تفسير حضاري تعود اساليب ممارستها ووسائل اشباعها الى عناصر ثقافية ، فما ينتج عن اختراع ما من تغير في الحياة الاجتماعية من حيث الاثر المادي يضطر الانسان الى اعادة النظر في معاملته وسلوكه . وليس معنى هذا ان العلاقة بين الميدانين تقتصر على هذا التفاعل المتبادل ، فالذي لا شك فيه ان الحضارة تفسح المجال واسعا امام الثقافة ، وان بعض عناصرها تعد في باب الثقافة ، واكاد اقول ان الحضارة بكامل مدلولها ليست اكثر من جزء مكمل للثقافة .

واما انها التخصص المهني فى احد العلوم والفنون ، فرأي يظهر عدم توفقه فى تحديد مفهوم الثقافة ، والسبب انه ضيق الدائرة وحصر الافق وجعل المثقف يعمى عن كثير من جوانب العلم والفن والحياة . واظنني لا استطيع ان اعتبر العالم الرياضي مثقفا ما لم تتوفر فى شعوره وسلوكه صفات تنبع من احساسه بالفن وادراكه للقيم الانسانية الرفيعة . كذلك لا اظنني استطيع ان اعتبر الموسيقي الموهوب مثقفا ما لم يحط فنه وموهبته بسياج من العلم والعقل . قد نسمي احدهما رياضيا والثاني موسيقيا ولكنا لن نسميهما مثقفين بأي حال من الاحوال

واما انها مجموع المعرفة الانسانية فمعنى اراني اميل اليه ، ولكن لا علي ان اطالب الفرد ليكون مثقفا ان يلم الماما كاملا بكل الوان العلوم والفنون والادب ، فهذا ضرب من الاستحالة والتعجيز ، وانما ان يشارك فيها بقدر ما يستطيع . ومثل هذا التداخل او المجاراة لا يساعد فقط على تكوين المثقف ، وانما يعمل كذلك على تنمية هذه المعارف جميعا . فكل علم او فن لايحتاج لكي يعيش وينمو الى جماعة من المتخصصين فحسب ، وانما يحتاج كذلك الى من يتجاوب مع عملهم يشجعه ويتذوقه ويفيد منه . وليس اصطلاح المشاركة بشيء جديد او غريب ، فقد استعمله القدماء ، بل لا زال بعض علمائنا يلجأون اليه وصفا علميا يفيد الثقافة كما نفهمها اليوم . فقولهم ان فلانا فقيه او اديب مشارك معناه انه بالاضافة الى تبريزه فى الفقه او الادب يجاري فى فروع المعرفة الاخرى .

ومن الواضح ان المعرفة بمعنى الثقافة — او الثقافة بمعنى المعرفة — تشمل العلوم والفنون والآداب والقانون والاخلاق والعادات والتقاليد والتجارب والقدرات التي يكتسبها الانسان فى معترك الحياة ، وتضم الكيان البشري بماضيه وحاضره ومستقبله ، ترتكز على الماضي وتشيد الحاضر وتستشرف على المستقبل توجهه وتؤثر فيه .

فالثقافة اذن هي كل ما يثقف الذهن ويهذب الطبع ويربي العقل ويرهف الاحساس ، وكل ما يميز شعبا او امة فى مختلف مناحي الحياة وفروعها ، وكل ما يمكن نقله بالوراثة والممارسة والتربية والتعليم ، وكل ما يصلح الافراد والجماعات ويوصل بين الامم والشعوب ، هي مجال العقل والغريزة والروح ، ومنطلق الطاقات والامكانيات ، ونشاط الانسان فى كل زمان ومكان ، تتوارث وتتطور وتثرى جيلا بعد جيل . هي ذلك الشيء الذي يجعلنا نستسيغ الحياة وندرك اننا نحيا وان فى الحياة ما يستحق ان يعيش الانسان من اجله . هذه هي الثقافة كما اراها وكما آمل ان يراها الآخرون : سبيل الحياة بل الحياة نفسها .

وفى الثقافة جانبان ، احدهما واع والآخر غير واع . اما الجانب الاول فيضم العلوم والفنون والآداب وما اليها مما يمكن ان نسميه مظاهر ثقافية ، واما الثاني فيشمل التراث وما يكمن فى باطن الافراد والجماعات من عادات وتقاليد ومعتقدات وغيرها من الموروثات التي تشكل ما نعني به جذور الثقافة واصولها . والتجاوب بين هذه الجوانب كلها لازم لقيام التكامل الثقافي الذي ينبغي ان يكون نتيجة انسجام عفوي غير مقصود ، سواء بالنسبة لطبيعته او بالنسبة لمساهمة الناس فيه . وبدون هذا التجاوب ينتج ما يسمى بالتفكك الثقافي الذي هو اخطر ما تصاب به الامم والشعوب .

ومن حقنا كأناس ان تكون لنا ثقافة وطنية تستمد روحها من جذور كامنة فى حياتنا ، يرجع تاريخها الى ذلك اليوم الذي بزغت فيه شمس الحياة على هذه الارض الطيبة الكريمة وان نوفر لهذه الثقافة منهجية وانتاجا يميزانها ويضطران الغير الى الاعتراف بها والتعاون معها . ولن يتسنى لنا ذلك الا اذا بعثنا الماضي الذي هو السبيل الوحيد الى جمع اشلاء كياننا المشتت .

وفى رأي البعض ان احياء الماضي تزمت وتعصب وانهزام امام تيار التقدم والحضارة ، وانه وطنية متعفنة ونوع من التخدير للعقل والاحساس ، وانه ليس غير خداع وزيف . وفى رأي غيرهم انه يتعارض مع ما نرجو لحاضرنا ومستقبلنا من حياة جديدة اساسها قيم ومبادىء غير تلك التي ورثناها عن الآباء والاجداد ، وان هذا الماضي قسمان احدهما ميت او معطل فى المتاحف والخزائن والثاني حي كامن فى النفوس ، وان هذا الجزء الحي انما هو كذلك لاننا نريد له الحياة ونمده بها ، فهو ملك للحاضر وجزء منه . ويستنتجون من ذلك ان احياء التراث ليس غير خطوات الى الوراء وعملية تحكيم الاموات فى دنيا الاحياء .

والحقيقة اننا لا نريد ان يكون الماضي عبئا ثقيلا يحول دون سيرنا فى مضمار التقدم والحضارة ، وانما قوة تبعث فينا الروح والحرارة وتدفعنا فى انطلاق وشجاعة الى آفاق جديدة . ولا نريد كذلك ان نبعثه

لتبكيه او نفخر به ، وانما لنتمثله ونتامله ونأخذ منه . فاحياؤه ليس كما يتصوره هؤلاء جميعا تأخرا وعرقلة للتطور المادي الحتمي الذي يسير فيه ركب المدنية والعلم ، وانما المقصود منه خلق ثقافة عصرية جديدة اساسها الاصول القديمة . فالتجارب والحقائق تؤكد :

اولا : ان الكائن الحي مدفوع بغريزته الى المحافظة على وجوده وصون كيانه .

ثانيا : اننا لن نستطيع الاسهام فى الثقافة الانسانية التي يدخل فى نطاقها جميع البشر ما لم نعط من عندنا وما لم نضف من انتاجنا المطبوع بروح وطنيتنا .

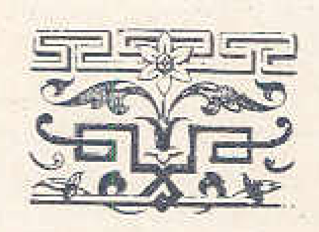
ثالثا : من تراثنا نبعث كل مفاهيمنا للحياة .

رابعا : ان المهم ليس مستوى ماضي ثقافتنا وانما المهم ايماننا بهذا الماضي .

حقا اننا نجتاز فترة انتقال تزدحم فيها الاحداث والازمات ، وحقا كذلك ان طبيعة عصرنا الصناعية خلقت لنا ظروفا واشياء وفنونا لا محيد لنا من الاخذ بها ، ولكن ليس معنى هذا ان نصبح مجرد اصداء لغيرنا او مجرد آلات وادوات فى يد هذه الطبيعة تصوغنا كما تشاء وتسيرنا حسب ارادتها ، فالحمد لله اننا استكملنا نضجنا واصبحنا عارفين بما يصلح لنا وما لا يصلح ، قادرين على ان نمارس حرياتنا وحقوقنا كاملة . ومن حقنا ان تكون لنا مبادىء واهداف وآراء فى مشاكلنا ومشاكل هذا العالم الذي نعيش فيه . وكما سبق ان قلت ، فاننا حين نبعث الماضي لا نبعثه كما هو ، وانما نقتبس منه ما قد ينفعنا فى حاضرنا لنطوره بما يتفق وحياة العصر ونخرج بتقاليد جديدة نضيفها الى ما نهضم من حضارة الآخرين وثقافتهم لنخلق لجيلنا والاجيال الصاعدة ثقافة وطنية انسانية وحياة مستقلة واعيـــة .

والى حديث آخـــر .

القاهرة : عباس عبد الله الجراري



الحضارة الإسلامية حضارة عربية

للأستاذ محمد أحمد الغربي

لم يتح لاي دين من الاديان السماوية من الدرس والتمحيص والاستجلاء مثلما اتيح للدين الاسلامي على الرغم من حداثته وفتوته . والسر في ذلك يرجع الى سبب رئيسي وهو أنه لم يكن دين تعبد وأخلاق وحسب ، ولكنه كان علاوة على ذلك دين نظم وادارة وبعبارة ادق كان نقطة انطلاق عميقة في مكاسب البشرية وتقدمها ، وكان بعثا حقيقيا لطاقات عربية لم تكن دفينة ولكنها كانت مهملة معزولة .

وحضارة الاسلام قد تكون شيئا مختلفا عن تاريخه السياسي ، اذا ما عمدنا الى تجريد هذا التاريخ من طابع الاتصال والتمازج والاحتكاك ، فليس مما يعني الباحث في الجانب الحضاري ان تسير الاحوال السياسية حسب هذا الطريق او ذاك ، وليس مما يهمه أن يختلف علي ومعاوية او يتجنى الاوس على الخزرج او يناوىء القيسيون مضرا ويلاحق العباسيون الطالبين او يفر الشيعة الادارسة والامويون الى المغرب او تنازع الطوائف المذهبية والعنصرية بعضها البعض، ليس يهمه شيء في ذلك الا ما يمكن ان ينتج عنه من دفع في حياة المجموعة البشرية ، فالاتجاه عنده هو اتجاه الجماعة لا سلوك شخص او جيش .

والتاريخ حسب الفكر الحضاري هو فهم نظام التطور المعقد للبشرية ، والاطلال على المجتمعات في اطار احتكاكها بعضها مع البعض الاخر وايجاد القوانين التي سيرت الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والفنية ، حتى كونت حاضرنا الذي نعيش فيه حسب الترتيب الزمني والتأقلم الجغرافي ، وحسب مساهمة كل شعب من شعوب الكرة الارضية في صنعه .

ان اسم الحضارة يشير بكيفية مدققة الى مدلولها الاجتماعي ، وهو يعني الحضر اي سكنى الحاضرة ، والمدنية التي هي مراد لذلك الاسم مشتقة ايضا من سكنى المدينة ، وكل انسان هو جزء من حضارة قامت حيث انتهى الخوف وانقطع الاضطراب وعم السلام ، وازدهرت حيث امكن للانتاج الفكري والذوق ان يترعرعا وينموا ، وانبعث عند ما امكنها الاستفادة من تجارب الاخرين ومن ايصال تجاربها لهم سواء بسواء . والاسلام زكى الاهداف البشرية والغايات المشتركة بين القوميات والشعوب الاخرى واتى يقدس الحرية ، ويدعو للمساواة ويرسم المثل الاعلى للمؤمن الحقيقي وهذا ما اتاح لحضارته فرصا للذيوع اكثر مما اقيم لحضارات اخرى .

وان اية قومية مهما كانت ، ومهما خطت في ميدان الرقي والنمو والتأنق ، لا تكون فعالة في ايصال انجازاتها للآخرين وخدمة التطور البشري ، ما لم تكن ذات نظام قار يحمي الجماعة ويؤمنها من الخوف والهلع ويتد بها بالتالي الى الاستقرار والانتاج والتفتح وما لم تكن ذات لغة مكتوبة ، اذ هي الوسيلة الفعالة في التبادل الفكري .

والعرب حتى قبل الاسلام لم يكونوا متوفرين على ذلك فقط بل كانوا ايضا اصحاب اخلاق وتسامح وتربية وحب للغريب ، وهذه أصول ضرورية لا في قيام حضارة طبعا ولكن في استمرارها وتلقينها للاجيال والاقوام الاخرى .

والعرب سواء كانوا في جزيرتهم القاحلة التي لا سبيل فيها للكد من اجل العيش والبحث عن الماء والعشب او في جبال المغرب حيث كانوا يهربون

بأنفسهم من تسلط الغزاة الفنيقيين والرومان والبزنطيين والوندال او في بوادي الشام والعراق حيث تعرضوا لآفات اضطراب العلاقات بين الفرس والبزنطيين وكانوا وقودا لحروبهم . وقد اقاموا الدليل جميعا على نبوغهم وقدرتهم في التغلب على الطبيعة ، والتغلب على الطبيعة هو المقياس الذي تقاس به درجة نزوع شعب نحو التحضر والرقي . وهم بذلك قد هدموا الفكرة القائلة بان (الحضارة هي التي تكون الشعب والشروط الطبيعية ضرورية في ذلك التكوين) .

وليس صحيحا كذلك ما يقال ان الحضارة الاسلامية هي نسخة جديدة من حضارات كانت توجد في البلاد التي فتحت منذ ولاية الخلفاء الراشدين ، ومن الطبيعي الا ينكر المرء ان تلك الشعوب كانت ذات حضارة متألقة قبل دخولها الاسلام ولكن تتمثل فيها وحدها المقومات الرئيسية للحضارة الاسلامية .

والعرب سواء كانوا في المشرق او في المغرب قد ضربوا بسهم وافر في ميدان التطور قبل مئات السنين من ظهور الديانة الاسلامية .

فالدول التي قامت في اليمن وهي الدولة المعينية والسبائية والحمرية قد عاشت من عام 1300 الى عام 525 بعد الميلاد اي انها دامت زهاء الفي سنة .

وكان لتلك الدول على التتابع نظام سياسي واجتماعي ثابتين وكان الملوك يشجعون بأنفسهم الحركة الثقافية والعلمية والتجارة مع جنوب الجزيرة وشمالها ومع شرق افريقيا . وبلاد اليمن اعتبرت من اكثر البلاد تطورا في القديم ، فهي كانت تعرف تقاليد الزراعة والري وانشات سد مارب الذي كانت له جنتان عن يمين وشمال واشتهرت بمعادن الذهب والماس والفضة والحديد التي كانت تستخرج من اراضيها وتعالج قبل ان تصدر الى الخارج برا حتى بصرى والبتراء بسوريا وظفار وعمان بالشرق او بواسطة المراكب التي حضرت الموانيء الاصطناعية لابوابها . ولم يكن يضاهي الفن المعماري باليمن القديمة اي فن آخر سواء في هندسته او اسلوبه الفني.

ولم تنقص الحضارة النبطية تألقا وابداعا ، فدولة الانباط التي سكنت أقصى الجنوب من الاردن الحالي حول مدينة البتراء من القرن السادس قبل الميلاد الى اوائل القرن الثاني بعده كانت ذات أهمية تجارية عظيمة وكانت منتوجات الهند واليمن والفرس تتبادل في نطاق هذه الدولة التي امتدت حتى دمشق. وقامت المؤسسات العمرانية من بيوت ومعابد وقبور وهياكل واقواس للنصر تزخرف بالنقوش التي لا يضاهيها في جمالها حتى الفن البزنطي الذي كان يجاورها .

وبعد انتشار البتراء ظهرت مملكة اخرى في تدمر وشهدت توسعها على عهد الملكة زنوبيا في القرن الثالث الميلادي ، وقد عملت تلك الملكة العظيمة على توسيع مجال التجارة وانشات مجلسا للشيوخ وسكت النقود الذهبية ، فعمت الثروة والرخاء في بلادها وظهرت الهيئة الاجتماعية الشرقية الملامح والاسس، وقد انتقلت تأثيرات هذه الدولة الى الهند التي كانت ترتبط بها بواسطة طريق برية مرصوفة ؛ ولا تزال آثار الرواق التدمري الذي كان طوله 100 1 م والذي كانت الاعمدة الكورنثية العريضة تحف به يمنة ويسرة . وظهر التصوير والرسم بالزيت والاصباغ وكانت اللغة والكتابة عربية وبهما كتب (قانون تدمر المالي) الذي يعتبر من اقدم الميزانيات في تاريخ البشر وكان الاه المدينة وحاميها هو (اللات) المذكور في القرآن الكريم

وحضارة الغساسنة التي قامت حول دمشق واللخميين التي ظهرت في بداية العراق لم تكونا بيزنطية او فارسية في شيء فالآثار العربية فيهما كانت اقوى من غيرها ، والصلات مع بزنطة وفارس التي حملت على التصور المضاد كانت سياسية ولم تؤثر في الطابع العربي القائم على اللغة والآداب والعادات وغير ذلك مما احتفظ به العرب حتى في هذه الجهات البعيدة عن موطنهم الاول .

وحتى اذا ابتعدنا من الاطراف نحو داخل جزيرة العرب تطالعنا حضارة الحجاز المزدهرة ولم تستطع الكتابات والشواهد التي بقيت من العنصرين الاموي والعباسي والتي حاولت ان تضفي على العصر الجاهلي

ما شاءت من صفات القصور والتأخر لم تستطع ان تطمس معالم حضارة العرب الاولى التي هذبها الاسلام وزكاها وزودها بالآداب والاخلاق الجديدة .

وفى المغرب لم يكن الشأن مختلفا ، فالمغاربة لم يتأثروا بحضارة الاجانب الذين اتوا الى بلادهم فى فترات إبتدات منذ الف سنة قبل الميلاد وانتهت بوصول طلائع الفتح الاسلامي ، وذلك لانهم لم يقبلوا احتلالا مهما كانت الوسائل المتوسل بها ، وبقطع النظر عن بعض المدن (كوليلي وشالة) التي كان الطابع الاجنبي ظاهرا فيها فقد شقت الحضارة المغربية القديمة الخاصة طريقها وهناك صور للمظاهر الادبية والعمرانية والادارية والفنية والاجتماعية يحفل بها تاريخ المغرب القديم وهي تظهر اصالة المدنية فى هذا الصقع الذي فتح كغيره ذراعية للجانب الروحي من حضارة الاسلام .

ومن الحيف مع ذلك ان ننسب الى العرب الذين حملوا راية الدين الجديد كل فضائل الحضارة التي رافقت أدواره التاريخية الى يومنا هذا ، فذلك ما ساهمت فيه كل الاجناس التي خضعت للحكم الاسلامي ورعتها الادارة الاسلامية من بربر وآراميين وطورانيين وفرس واتراك ... الخ .

فقد قدمت تلك الشعوب عناصر منعشة ورافدة للحضارة الاسلامية فى العلم والفلسفة والادب والفن والعمارة والاقتصاد .

ولكن هؤلاء (المسلمين) يمكن ان نسميهم عربا جميعا ، طالما ان الاداة التي استعملت فى النقل الحضاري هي اللغة العربية .

والعربية لم تكن لغة الدواوين والعلم والادب والفن فحسب ولكنها كانت قبل ذلك وبعده لغة القرآن .

بقلم : محمد أحمد الغربي





تكاد تكون مشكلة التعريب عندنا الشغل الشاغل لذوي الاقلام، فقد عقدت لها مجالس ومؤتمرات، ونظمت لها مكاتب وادارات وجردت لها وظائف ومجهودات ، وكتبت فيها الكتب والنشرات ، وتناولتها الصحف والمجلات ، وصارت حديث القوم في المنتديات .

نعم ، كل ذلك وقع وما زال واقعا في الداخل والخارج ، ولكنه وقد تمكن مدلوله في مدارك الناس ، لم يحظ منهم بان يعودوا به الى حظيرته العربية اللغوية ، ولا ان يرجعوا به الى التاريخ ، ليروا ماذا كانت له فيه مرحلة سبق أن قطعها او وقف دونها ؟

هذا ما سنحاوله في هذه الحروف ، وهي محاولة نرجو ان تكون نواة لفلسفة لغوية وبحوث تاريخية نافعة .

ما التعريب في اللغة ؟

يقول الجوهري في معجمه « الصحاح » : تعريب الاسم الاعجمي ، ان تتفوه به العرب على منهاجها . وينقل هذا التعريف ابن منظور في معجمه « لسان العرب » ، من غير ان يسنده لصاحبه . ونحوه ما فعل السيد مرتضى في شرحه تاج العروس

وقد تناول المعربات اللغويون والنحاة في بحوثهم منذ فجرها ، ففي كتاب سيبويه نجده يقول :

هذا باب ما اعرب من الاعجمية : اعلم انهم مما يغيرون من الحروف الاعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه ، فاما ما الحقوه بكلامهم فدرهم الحقوه ببناء هجرع ؛ وبهرج الحقوه بسلهب ، ودينار الحقوه بديماس ، وديباج الحقوه كذلك (※) .... وقالوا آجور فالحقوه بعاقول، وقالوا شبارق فالحقوه بعذافر ، ورستاق فالحقوه بقرطاس ، لما ارادوا ان يعربوه الحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية ، وربما غيروا حاله عن حاله في الاعجمية ، مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية فابدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيا غيره وغيروا الحركة وابدلوا مكان الزيادة ، ولا يبلغون به بناء كلامهم ، لانه اعجمي الاصل فلا تبلغ قوته عندهم الى ان يبلغ بناءهم (※) ؛ وربما حذفوا كما يحذفون في الاضافة (※) ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء ، وما لا يبلغون به بناءهم ، وذلك نحو آجر وابريسم واسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان .... وربما تركوا الاسم على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم ، كان على بنائهم او لم يكن ، نحو

※ فصار حكم هذه الابنية في الاعتبار الصرفي حكم الابنية العربية التي وضعت اسماؤها فيها ، ولهذه امثلة عديدة نجدها في كتاب الخصائص لابن جني ، مما عالجه بنفسه او نقل ذلك عن شيخه ابي علي الفارسي .

※ نحو اجر وسيسنبر كما سياتي ، وقد ورد من هذا في شعر الاعشى قوله :

لنا جلسان حولها وبنفسج ... وسيسنبر والمرزجوش منمنما

※ يريد بها النسب .

خراسان (※) وخرم ، والكركم ، وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ، ولم يغيروه على بنائه في الفارسية ، نحو فرند وبقم وآجر وجربز

ويعقب على هذا بقوله :

هذا باب اطراد الابدال في الفارسية : يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم ، الجيم لقربها منها ، ولم يكن من ابدالها بد ، لانها ليست من حروفهم ، وذلك نحو الجربز ، والآجر ، والجورب . وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضا ، قال بعضهم قربز ، وقالوا كربق وقربق . ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لايثبت في كلامهم ، اذا وصلوا (※) الجيم ، وذلك نحو كوسه ، وموزه ، لان هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس ، همزة مرة وياء مرة اخرى (※) فلما كان هذا الآخر لايشبه اواخر كلامهم ، صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم ، وابدلوا الجيم لان الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف الابدال ، والهاء قد تشبه الياء ، ولان الياء ايضا قد تقع آخرة ، فلما كان كذلك أبدلوها منها ، كما ابدلوها من الكاف ، وجعلوا الجيم اولى لانها قد ابدلت من الحرف الاعجمي الذي بين الكاف والجيم ، فكانوا عليها امضى ، وربما ادخلت القاف عليها ، كما ادخلت عليها في الاول ، فاشرك بينهما ، وقال بعضهم كوسق ، وقالوا كربق ، وقالوا قربق ، وقالوا كلبقة . ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء ، الفاء نحو الفرند ، والفندق ، وربما ابدلوا الباء لانهما قريبتان جميعا ، قال بعضهم البرند ، ومثل ذلك تغييرهم الحركة التي في زور وآشوب ، فيقولون زور (بالضم) (※) واشوب (بدون مد الهمزة) . ثم نجد في البيان والتبيين، بعض كلمات كانت تروج على عهد الجاحظ من هذه المعربات ، مغيرة وغير مغيرة . ونجد كلمات اخرى علمية في فهرست ابن النديم ، عربها العرب عن اليونانية وغيرها ، مغيرة بعض الشيء في حروفها ثم نجد في كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة ، فصلا بهذا العنوان : « ما تتكلم به العرب من الكلام الاعجمي » فينقل عن الاصمعي الزرجون والختدريس ، والاسفنط والاسفند، والسجنجل ، والبرنساء ، والفشليل ، والكرد ، وينقل اصلها من الفارسية او الرومية او غيرهما ، ويذكر ان ابا عبيدة كان يرى في مثل سخت وزور ودست انها مما وافق فيها الاعجمي العربي ، فلا شيء في القرآن من غير لغة العرب على حين ان غيره يقول بوجوده وذلك كالقسطاس ، وغساق ، والمشكاة ، والسجيل ، والطور، واليم ، فيردها الى اصولها الرومية او الفارسية او السريانية او التركية او الحبشية .

ثم ياتي بأمثلة كثيرة من هذه المعربات ، التي اغلبها من الفارسية ، وقد غيرت ، حسب التغيير السالف ، او تركت كما هي (ويذكر معانيها في اصولها الفارسية بالخصوص) ثم ياتي الثعالبي في كتابه فقه اللغة ، بالباب التاسع والعشرين ، ويذكر فيه فصولا قيمة من هذه المعربات ، ففي الفصل الاول منه ياتي بأسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكمية مستعملة (وهو مهم لنا) ويذكر في الفصل الثالث أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد ، وفي الفصل الرابع يسوق أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها او تركها كما هي ، فمنها من الاواني : الكوز ، الابريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ، القصعة ، السكرجة .

※ لان فعالان لا تثبت في العربية فهو مما لم يكن على بنائهم ، أما خرم فقد الحقوه بسلم ويصح ان تلحق كركم بجلجل ، بمعنى الجلل كما في قوله :

وكنت اذا ما جلجل القوم لم يقم ــــ به احد اسمو له واسور

والنتيجة ان الاعجمي انواع ثلاثة ، ما غير والحق بالعربي ، كدرهم ، وما غير وما لم يلحق ، كآجر ، وما ترك على حاله ولم يلحق كخراسان او الحق كخرم وكركم ، فالالحاق يكون بالتغيير وعدمه ، وعدم الالحاق يكون مع التغيير وعدمه .

※ هذا الحرف هو المعروف في النحو الفارسي باسم « هاى مخفي » او « هاى مختفي » ويكون من اصل الكلمة كما في المثال ، ويوتى به للتفرقة بين اصله وبين غيره كما هو في نامه ، ليفرق بين هذه وبين نام الاصلي الذي هو بمعنى الاسم ، اما الاول فهو بمعنى كتاب .

※ لعل العبارة حصل فيها تقديم وتاخير ، فكانت هكذا : تحذف وتبدل في كلام الفرس همزة مرة وياء مرة اخرى .

※ من الغريب انها ينطق بها الآن في الفارسية والتركية العثمانية ، كما نطق بها العرب بعد التغيير .

ومن الملابس : السمور ، السنجاب ، القاقم ، الفنك ، الدلق ، الخز ، الديباج ، التاختج ، الراختج ، السندس .

ومن الجواهر : الياقوت ، الفيروزج ، البجاد ، البلور .

ومن الوان الخبز : السميذ ، الدرمك ، الجردق ، الجرمازج ، الكعك .

ومن الوان الطبيخ : السكباج ، الدوغباج ، النارباج ، شواء المزبرباج ، الاسبيناج ، الداجيراج ، الطباهج ، الجرداباج ، الروذاق ، الهلام ، الخاميز ، الجوذاب ، البزماورد او الزماورد

ومن الحلاوي : الفالوذج ، الجوزيج ، اللوزينج ، التفرينج ، الرازينج .

ومن الانججات وهي الاشربة : الجلاب ، السكنجبين ، الجلنجبين ، الميبة .

ومن الافاويه : الدراصيني ، الفلفل ، الكروياء ، القرفة ، الزنجبيل ، الخولنجان .

ومن الرياحين وما يناسبها : النرجس ، البنفسج ، النسرين الخيري ، السوسن ، المرزنجوش ، الياسمين ، الجلنار .

ومن الطيب : المسك ، العنبر ، الكافور ، الصندل ، القرنفل .

ويختم الباب بفصل فيما نسبه بعض الايمة الى اللغة الرومية ، فيذكر :

الفردوس ، القسطاس ، الجنجل ، البطاقة ، القرسطون ، الاسطرلاب ، القسطاس ، القسطرى ، القسطل ، القبرس ، القنطار ، البطريق ، القراميد ، الترياق ، القنطرة ، القيطون ، الخيديقون ، الريساطون ، الاسفنط ، النقرس ، القولنج ، ويفسر معاني الكلمات

ونستفيد من الفصل الرابع ، ان المعرب من هذه ما تدخلت فيه العربية (※) ، اما ما تركته على حاله كما هو ، فليس بمعرب ، وانما هو دخيل ، كما سيعرف فيما بعد . وهذه تفرقة مهمة ، لو اجمع عليها اهل اللغة ، ولكنهم لم يفعلوا ، فوجدنا فيما بعد الجواليقي (المتوفى سنة 540) يؤلف كتابه (المعرب) من الكلام الاعجمي ، فيطلق فيه ، ويسير على ما نهجه سيبويه في امره ، لكنه يزيد عليه انه اتى بباب ما يعرف من المعرب بائتلاف الحروف ، فذكر حروفا لا يمكن ان تجتمع فى كلمة عربية مطلقا او على ترتيب معين ثم نجد فى جمع الجوامع ، فرقا آخر ، حيث يقول السبكي : المعرب لفظ غير علم استعمله العرب فى معنى وضع له فى غير لغتهم ، فاخرج العلم ، واطلق فى الاستعمال ، من ناحية ، وقيده من ناحية اخرى بكونه فى معنى وضع له فى غير لغتهم وهذا ما سار عليه الفيومي فى معجمه المصباح ، حيث قال : والاسم المعرب الذي تلقته العرب من العجم نكرة نحو ابريسم فاشتقوا منه ، وان تلقوه علما فليس بمعرب ، وقيل فيه اعجمي مثل ابراهيم واسحق (※)

ثم نجد فى كتاب المزهر للسيوطي بحثا فى المعرب عقد له فصلا تحت عنوان (النوع التاسع عشر معرفة المعرب) ويعرفه بقوله هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها ، ثم ياتي بنقول عمن تقدم فى ذلك ، ويلاحظ ان المعرب قد يطلق عليه الدخيل ، وهو كثيرا ما يقع فى كتاب العين للخليل والجمهرة لابن دريد وغيرهما ، ولهذا كان تعريفه السابق شاملا للجميع

ثم اتى بفصل نقل فيه عن ايمة العربية ما تعرف به عجمة الاسم ، فذكر عنهم 1 النقل ، 2 الخروج عن الاوزان العربية ، 3 ان يكون اوله نون ثم راء ، 4 ان يكون آخره زاي بعد دال ، 5 ان يجتمع فيه الصاد والجيم ، 6 ان يجتمع فيه الجيم والقاف ، 7 ان يكون خماسيا ورباعيا عاريا عن حروف الذلاقة ، وهي الباء والفاء والراء واللام والميم والنون ، وقد ذكر الجواليقي معظم هذه العلامات

وبعد فهل التعريب الذي يشغل بالنا اليوم هو هذا التعريب الذي تكلم عنه القوم ؟

والجواب كلا .

※ وهو ما لاحظه الجوهري فى التعريب كما سبق .

※ هذه العجمة التي اعتبرها النحاة فى منع الصرف ، فان دخلها ما يعارضها من « ال » التعريف ، القيت وهذا ما اشار اليه الجواليقي ومن بعده ، فقالوا بعدم الاعتداد بتلك العجمة . فكان الاسم اصبح باداة التعريف عربيا محضا ، وزاد النحاة على هذا « الاضافة » ، كما هو معروف ، لان الاضافة كال ، كلاهما لايعتري الاسم وقد تنوسي ما فيه من تعريف ، ولهذا لايجتمعان ، وهما دالان على هذا التعريف

ان استعمالنا لهذه الكلمة في غير محله ؛ بل اننا نريد به ما يعارض هـذا التعريب ويقاومـه في غالب الاحوال ، ان موقفنا منه يكاد يكون موقف الشاعر ابي المهدي منه حينما قال منذ الف ومائة من السنين :

يقولـون لـي تنبـذ ولست متنبـذا
طـوال الليالـي او يـزول ثبيـر
ولا قائـلا زوذا ليعجـل صاحبـي
وبستـان في صـدري علي كبيـر
ولا تـاركـا لحنـي لاحسن لحنهـم
ولـو دار صـرف الدهـر حين يـدور

ولا شك إننا لو اسلمنا القياد لهذا التعريب الذي عرفه القوم والفوا فيه لما لقينا امامنا تلك الصعوبات التي لا نستطيع التغلب عليها ، خصوصا اذا استعملنا في ذلك وسائل غير مجدية ، او جردنا لها اقواما لا يستطيعون اقتحام اول عقبة من عقباتها الكاداء . . .

لو اذعنا لهذا التعريب كما اذعن له آباؤنا الاولون، لما تطلب منا ذلك الا بعضا من الاصول اللغوية ، التي نقرؤها في كتب التصريف ، وعلى راسها كتاب سيبويه وخصائص ابن جني ، ولكنا في الواقع نريد ما هو اوسع من ذلك واشمل ، نريد الرجوع الى كتب اللغة والنحو والتاريخ وكتب الفقه والطب والفلسفة والعلوم والرياضيات على العموم ، حتى نستعين بذلك على هذا الاصلاح الذي نبتغيه لهذه اللغة في كل ميدان ، فنستعمل ما سبقنا بترجمته ، وعلينا ان نترجم نحن ما تواجهنا به المخترعات والمشاكل العالمية المتنوعة فلا اقل من ان نساهم بهذا الى ان نساهم بما هو اعظم واجل ، ونسير في الركب الذي يسير فيه غيرنا

وبالاختصار ، فرسالتنا ازاء ما نسميه بالتعريب، تتوقف على الترجمة وعلى الاطلاع على الترجمة وعلى ما عرفه الناس بالتعريب ايضا فذلك ضروري ولازم ولو الى حين ، واقول « الى حين » ولا اريد بذلك اننا نستغني فيما بعد عن هذا التعريب الذي عرفه القوم ولكنني اريد اننا سنستغني عن بعضه ـ لا محالة ـ كما استغنى المناطقة ، عن كلمات يونانية في منطقهم ، وكما استغنى الرياضيون والمهندسون ايضا ، وكما استغنت اللغة في غير ذلك عن كلمات نسيت ـ كما يقول الثعالبي ـ فارسيتها واكتفت فيها بعربيتها

ومشكلة الدواوين ليست بتلك الخطورة التي نتصورها ، ولا هي وليدة العهد الجديد ، فقد استعانت الدواوين في عهد عمر بلغات غير عربية ، ثم استطاعت العربية فيما بعد ان تتولى شؤونها في دواوينها المختلفة، ولم تكتف بذلك بل اقتحمت كل ما عرف في لغات الناس من علوم وفنون وسياسة وفلسفة ، ولم يمض على هذه اللغة الا قرن ونصف حتى استغنت عن غيرها تماما بل انها تولت نقل هذه الاشياء الى غيرها ، وبقيت في بعضها الحافظة ـ وحدها ـ عليه .

واللغة على كل حال ، كائن حي تاخذ وتعطي ، ولكنها لا بد ان تشعر بكونها « حية تاخذ وتعطي » ؛ لا ان تستسلم لغيرها بدون قيد او شرط ، استسلام الخائر الذليل ، الذي فقد الثقة من نفسه ، ووثق بغيره مهما كان هذا الغير ، حتى ولو كان العدو اللدود والظالم الغاشم .

واخيرا نختم هذه الكلمة بجزئية من هذا « الاخذ والاعطاء » :

لقد استعانت العربية بالفارسية في بعض انظمتها، وكان منها نظام المرتب الشهري ، الذي عرف باسم « الماهية » نسبة الى « ماه » الفارسي اي الشهر ، ولما قامت الدويلات الفارسية في الشرق ، استعانت بالعربية في نظمها ، وكانت هذه قد تغلغلت فيها تغلغلا عظيما ، فاستعملت كلمات عربية في ادارتها ، وكان من جملة ذلك كلمة « مشهرة » اي الماهية . فكان من عجيب الاتفاق تبادل هاتين الكلمتين فالماهية لا وجود لها في الفارسية ؛ بمعنى المشهرة ؛ وهذه نادرا ما تستعمل عندنا بمعنى المرتب الشهري ، الذي صرنا نعبر عنه باسم « المانده » او « الباكا » ونحو ذلك ، ولا بد اننا في يوم من الايام سنقذف بهذا « الباكا » وبتلك « المنده » او نضرب بهما عرض الحائط .

تطوان : محمد بن تاويت



احتفل فلاسفة العالم في هذه الايام بمرور مائة وخمسين سنة على ميلاد فيلسوف لا زال اسمه غريبا في ميدان الفلسفة هو سورين كيبر ككارد الفيلسوف الدانيماركي الذي عاش في عهد هيغل وماركس دون ان تكون له الشهرة التي كانت لهما وقد كاد سورين كيبر ككارد يبقى مجهولا لولا صيحات نيتش وكافكا ؛ ودوستويفسكي اولا وجهود عدد من الاخصائيين الذين انكبوا على مطالعة مؤلفاته ثانيا ، اما فضل شهرته في فرنسا فيرجع الى الجهود التي قام بها الاستاذ تيسو الذي عكف منذ ازيد من عشرين سنة على ترجمة تراثه الضخم الهائل والى كريمو جورج كوسدورف وبيير ميسنار الذين كتبوا عنه مؤلفات قيمة عرفت به وبفلسفته وتراثه في العالم .

وقد ظل هذا الفيلسوف العظيم نسيا منسيا ما يقرب من مائة سنة ولم تخرج آثاره الى الوجود الا منذ عشرين سنة عندما شرع الاستاذ تيسو يترجم مؤلفاته التي اصبحت المكتبات العمومية والخاصة زاخرة بها مفتخرة بذخائرها المكنوزة .

فما هو سبب هذا الاهمال الذي لقيه سورين كيبر ككارد ؟ وهل جاء اهماله عفوا او متعمدا ؟ وما هي آثار هذا الفيلسوف ؟ وهل كان لها تاثير على تطور الفلسفة الحديثة ؟ ذلك ما سنحاول الاجابة عنه في هذا العرض الموجز ؟

لقد كان سورين كيبر ككارد يعيش في وقت كثرت فيه الدعاية للطبقة العاملة وتقوت الدعوة لاستيلائها على الحكم وفرض سيطرتها على الجماهير وطغت فيه فلسفة ماركس الذي لم يكن يعرفه سورين كيبر ككارد وغزت نظريات هيغل اوربا باسرها بينما كان سورين كيبر ككارد يكره هيغل ويعتبره عدوه الاول ، فما ذنب سورين كيبر ككارد امام هذه الوضعية حتى يهمل ولا يكتب له الخلود ؟

لقد كان هذا الفيلسوف اول المحتجين على استيلاء الطبقة العاملة على الحكم وفرض سيطرتها الديكتاتورية على اية امة من الامم . وكان راي سورين كيبر ككارد ان من غير المعقول ان تقاوم ديكتاتورية البورجوازية وتبعد هذه الطبقة عن الحكم ويرمى برجال الاعمال وارباب المعامل المثقفين الواعين عرض الحائط في السجون وتعوض بديكتاتورية الجماهير او مستغلي الجماهير ، وكان سورين كيبر ككارد يرى ان المنطق يقتضي ابعاد الديكتاتورية كيف ما كان وجهها وتوحيد طبقات الامة وضمان وحدة البشرية ، اما اذا كانت الفلسفة هي فرض ديكتاتورية طبقة على طبقة في امة واحدة فان هذا الامر لن يغير من الوضعية شيئا ولن يصلح امر اي مجتمع .

ولقد كان من الطبيعي ان يحدث نوع من النشاز في جوق الفلسفة الاشتراكية التي كانت تنتشر في اوربا في القرن الماضي وكان من الطبيعي ايضا ان يوجد فلاسفة يرون خلاف ما يرى معاصروهم من المفكرين والفلاسفة ولكن تيار خصوم سورين كيبر ككارد طغى فانتشرت افكارهم وبدات نظرياتهم تدخل في حيز التطبيق واخذت فلسفتهم تنتصر بينما اعترى الافكار الاخرى نوع من الاهمال والانعزال لانها كانت بعيدة عن روح العصر غير مسايرة لتطور رجاله .

ولكن سير التاريخ لا يمنع منه احد وتطور الزمان امر محتم وهذا ما قدر للفيلسوف سورين كيبر ككارد ان يبعث من جديد حتى تحيى افكاره وتخلد اسمه .

لقد عاش العالم التجربة الاشتراكية وشهد اختها الشيوعية وعرف الفرد الوانا من الحياة ضمنت لـه الخبز والعمل ولكنها ابعدت عنه الحرية والانطـلاق واستطاع الاكراه الايديولوجي والضغط الفكري ان يترعرع في بقاع شاسعة من العالم ذاقت السعادة المادية ولكنها فقدت الكثير من حريتها .

وطبيعة الكون تقضي بان لا يفرق المرء بين الخبز والحرية فالانسان لا يحتمل الجوع ولكنه لا يحتمـل كذلك فقدان الحرية وهو يتلذذ النعيم المادي ولكنـه يستبشر وينشد دوما النعيم الروحي والفكري .

وقد تجلى نبوغ سورين كيير كغارد عندما اخذ يقاوم افكار معاصريه كما كان حدسه صادقا عندما اخذ يصيح بملء فيه وينافح بكل قوة وفي آن واحد ضـد طغيان المسيحية وضد تكوين مجتمع كان يخشى عليه من عواقب التطورات المهولة والهزات العنيفة التـي تنتظره .

حقا ! ! لقد كان سورين كيير كغارد بورجوازيا من اصله وكان لا يريد اضمحلال الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها لتحل محلها طبقة اخرى ؛ ولكنه كان الى جانب ذلك يدعو لتآخي المواطنين واتحاد الطبقات او اتفاقها على نوع من النظام يضمن لكل منها مصالحـه المادية والمعنوية .

لقد كان سكان كوبنهاج يلتقون في الشارع بهذا الرجل الفني ، المتعصب ، الظريف اللباس القصيـر القامة . وكانوا كثيرا ما يشاهدونه يتحدث مع هذا المار متحمـسا لنظريته مقتنعا بفكرته باذلا الجهد لاقناع محدثه وكان سكان العاصمة الدانمركية يرونه كثيرا في المسرح! وكان في كثير من الاحيان ياخذ سيارته ويتوجه صوب البادية للتمتع بمناظرها الخلابة ومفاتنها البديعـة . وكانت هذه الشخصية تدوخ بعبقريتها الساخرة وسلوكها اللامبالي سكان العاصمة الهادئة كما كان سقراط فيما قبل يقلق راحة سكان اثينا الجميلة الهادئة ويشغـل بالهم بطبيعته ونوع الحياة التي كان يعيشها .

كان سورين كيير كغارد يثير الاعجاب في نفوس معاصريه ولكنه كان يبعث فيهم الرعب والفزع في الوقت نفسه لانه كان يريد ان يكون مخالفا لهم في كل شيء كان يضجر من كل ما قد يقدمه كرجل عادي وسط الجماهير البشرية كما كان يسأم من كل فكرة فلسفية تعم العالم وتكتسح بقاع المعمور .

وكان ابوه رجلا قويا عظيما يتزعج لفكرة الجريمة الاولى مكلوما بسبب خطأ كبير ارتكبه قديما ، وعند ما علم سورين كيير كغارد بالخطأ الذي ارتكبه ابوه اخذ يبتعد عنه فكان هذا سبب عزلته ولزومه الصمـت والكتمان في حياته وسلوكه .

وقد عززت خطبته بروجين اوليـين هذا الاثر في نفـسه فكـان فشـل هـذا الـزواج نهـايـة الاتصال بالمجتمع وبداية حياة الانعزال والوحـدة والانفصال .

وفي هذه الحقبة بالذات تفتح ذهنه وتفتق فكره وتفجر يراعه حتى اصبحت سنوات 1843 و 1844 و 1845 و 1846 اخصب حقبة في حياته الفلسفية ! ففي ظرف سنوات لا تتعدى الخمس اصدر سورين كيير كغارد عددا من الكتب الفلسفية المتناقضة والقصص والخطب الدينية والمحاضر الايديولوجية نذكر منها الكتـب التالية :

((اما .. واما ..)) ((وخشية .. وارتعاش)) ومراحل في طريق الحياة و ... فتات فلسفية .. الخ .

كان سورين كيير كغارد يرى ان مراحل الحياة ثلاثة :

اولا : مرحلة الرجل الفاتن المعجب بالفن والجمال والمغرم باللذات والشهوات والباحث عن سعادة لـن يجدهـا ابـدا .

ثانيا : مرحلة الرجل المثالي في الاخلاق والراغب في سلوك حياة هادئة معقولة متوفـرة على زوجـة واولاد وشغل وهذا الرجل يمثل الوفاء والعقل والحياة المقبولة

ثالثا : ولكن من الممكن ان يعترض هذا الرجل في يوم من الايام حادث فوق المعقول والمنقول يجعل معلوماته هباء منثورا ومجهودات سدى . او ليـس الامر هكـذا عندما يقف الرجل مشدوها امام امر الاله لابراهيم بذبح ابنه والقضاء على حكمة دنيوية وقانـون ارضي حتـى يصبح الانسان ذا ثقة مطلقة بتعاليم الله واوامره !

لقد تخطى هذا الرجل المسافة اللانهائية التـي تفصل بين طرف العقل وسبل الايمان .

ان المفكر الدانيماركي اصبح منذ هذه المرحلـة يعيش طورا آخر فقد اتصل بالفرد الحق ان صح هذا التعبير الفلسفي واضحى هدفه معرفة الحقيقة الازلية.

وهنا تبدأ حملات سورين كيير ككارد على فلاسفة العصر الذين ينادون بالتجرد الكامل لمعرفة الحقيقة ؛ فهو يعتبر هؤلاء الفلاسفة الذين يدعون الى التجرد والنزاهة وفي مقدمتهم هيغل عدوه الاكبر بسطاء وهو يقدم امام حقيقة هيغل المعجزة التي تعتبر فوق الفكر واعظم من الحقيقة .

وقد قدر لكيير ككارد أن يدخل في هذه الحقبة من حياته في معركة كبيرة مع احد الصحافيين بكوبنهاج هو أرون كولد شميدت الذي اراد ان يستهزىء به في جريدة هزلية .

وقد كان لهذه المعركة اثر كبير في تقوية ايمانه بشخصيته واعتزازه بذاتيته كما دخل في هذه الفترة بالذات في معركة اقوى من الاولى مع كبار رجال الكنيسة في الدانيمارك .

فقد بدأ سورين كيير ككارد يصدر مجلة « الوقت » ويحمل في اعدادها الاولى على نقر الكنيسة الرسمية وتزوير الدين المسيحي من طرف رجال كان من الواجب ان يقوموا بحمايته وتقويته ولكنهم خوفا من التعرض للانتقاد فضلوا ان يسايروا تيار التطور ولو على حساب المسيحية .

وقد شاءت الاقدار ان يعيش في هذا العهد الذي كان يدعو فيه كيير ككارد الى مطلبه المطلق القاضي بايجاد حياة مثلى للانسان كارل ماركس الذي كان يشغل العالم بآرائه المتفجرة ويبسط على المفكرين نظريته الثورية .

وقد كان الفيلسوفان معا يفكران مع هيغل وضده وكان هيجل يمثل في الوقت نفسه آخر الفلاسفة الكلاسيكيين واول الموجهين للفلسفة الحديثة ! ولكن بينما كان ماركس يدعو مع هيغل وضده الى ضرورة صعود القوات الحية التي ستقلب الاوضاع وتفرض على العقل تبرير المصير الذي سيؤول اليه العالم ، كان كيير ككارد يعارض فكرة استيلاء الطبقة العاملة على الحكم متحملا في ذلك اتهامه من طرف خصومه بمعارضة سير التاريخ ومحاولة ايقاف عجلة تطوره .

ومن الغريب ان كيير ككارد لم يكن يعرف كارل ماركس حتى يعارض افكاره ويقوم نهجه ولكنه كان يجهله وانما كان يدافع عن فكرة يومن بها ويقاوم فلسفة اخذت في ذلك العهد تنتشر بسرعة انتشار الصناعة وتطور البشرية في القرن التاسع عشر .

وخلاصة القول فان هيغل وماركس وكيير ككارد لازالوا احياء بيننا بافكارهم وفلسفتهم واذا كان قدر للاولين ان يعرفا ويشتهرا في العالم بسرعة فائقة فان الزمن لم يهمل فلسفة كيير ككارد اذ سرعان ما تجلى صدق رايه فما كان على المفكرين والفلاسفة الا ان يحيوا تراثه ويعكفوا على ترجمة آثاره حتى اصبح اليوم هيغل وماركس وسورين كيير ككارد مرجع اهم تيارات الفكر المعاصر .

ومما لاشك فيه انه لولا فضل هؤلاء العباقرة الثلاثة لما استطعنا اليوم ان نحاول التفكير والعمل في مجتمعنا الانساني خارج هذا الثالوث : العقل والجماهير والالاه .

ولو لم تكن لاراء كيير ككارد قوة ومتانة لما استطاع ان يثبت وجوده رغم الاهمال الذي لقيه من المؤرخين والاعراض الذي وجده بعد مماته من المفكرين والفلاسفة

ولكن الاراء الصائبة والافكار الثاقبة لا تموت مع اصحابها ولا يعفى عليها الدهر لانها أخلد من الدهر وابقى من الزمان .

الرباط : عبد اللطيف خالص

الى اين تسير الحركة الشيوعية العالمية

للاستاذ : المهدي البرجالي

النزاع بين « الدوكماتية » و « التعديلية » وانعكاساته داخل الاحزاب الشيوعية في مختلف انحاء العالم ـ الصلة بين السوفييت وبين الصين من جهة اخرى وبين النزعات الشيوعية العديدة على مستوى الحكومات والاحزاب تطورات التعديلية بين القديم والحديث ـ تطبيق الماركسية الخالصة وحقيقة الواقع الماثل ـ هل توجد الاسباب الفكرية فقط في اساس الصراع ضد التعديلية ؟ .

كان المؤتمر الايديولوجي السوفياتي الصيني الذي عقد في اوائل شهر يوليوز من العام الفارط ـ كان هذا المؤتمر من بين المعالم البارزة في احداث السنة المنصرمة ، ومن بين اهم هذه الاحداث شأنا ، واوسعها دلالة وتعبيرا ، وقد كان المؤتمر هذا ـ بالرغم عن اهميته ـ مجرد مرحلة من مراحل الانفصام التدريجي البطيء الذي ما انفكت تعاني منه العلاقات الصينية السوفياتية ، منذ عدة سنوات ، وخاصة منذ نهاية الازمة الكوبية في خريف سنة 1962 ، الا انه كان يمثل من هذه المراحل ابرزها خطرا ، واعمقها تأثيرا في تطور العلاقات بين الشيوعية الروسية من جهة ، والشيوعية الصينية من جهة اخرى ، وقد اخذ المراقبون يلاحظون خلال الاشهر الاخيرة اي بعد انقضاء فترة لا بأس بها على انعقاد المؤتمر ـ ان الحدة التي كان يتميز بها جو الجدل الصيني الروسي ، قد بدأت تخف نوعا ما ، بل ان حالة من التهادن الخفي ما فتئت ملامحها تبرز شيئا فشيئا ، وتتيح قدرا ـ ولو بسيطا ـ من الانفراج التلقائي بين مركزي الشيوعية العالمية، لكن التطورات السياسية الدولية التي عرفها مطلع السنة الحالية حول هذا الموضوع بالذات ، لم تعد تبيح الاسترسال في تكوين استنتاجات من هذا القبيل ، وذلك على اساس الاعتبار بأن الخلاف الصيني الروسي ، لم يتجاوز بعد نطاق التأرجح والتقلب الاولي ، وان الحالة الناشئة عنه لم تختمر لحد الآن ، وتستكمل كل حيثياتها وعواملها ، بالشكل الذي يساعد على الاستفادة منها في تكوين استنتاجات موضوعية وقارة ، والواقع ان المراحل التي تجتازها الظاهرة الصينية الروسية في الوقت الحاضر ، هي بالفعل مراحل اولية ، ولا تنطوي في عمومها على جملة من الدلالات الواسعة الشاملة التي تمكن من تقدير الامور على مستوى عال ، ومضمون عقليا وتجريبيا ، غير ان تتابع المراحل هذه ، وما ينعكس على سطحها من ظواهر وحالات متعددة من شأنه ان يلقي مزيدا من الاضواء على القضية القائمة، وبالتالي فانه يمكن ان يعين على استخلاص بعض التقديرات الجزئية ، التي لا تنفصل في مداها البعيد عن موضوع التطور العام في مجال العلاقات الشيوعية الراهنة .

* *

ان التطور المرحلي الذي عرفته القضية الصينية في مطلع العام الحالي ، هذا التطور يتمثل جانب منه في ازدياد بوادر الانفراج بين الشرق والغرب على حساب الديبلوماسية الصينية ، ويتجلى جانب آخر في مؤثرات الرحلة الطويلة التي اقدم عليها رئيس الوزارة الصينية عبر اقطار افريقيا والجمهورية الشعبية الالبانية في اوربا ، حيث كان المجال متسعا في كثير من الحالات لاجراء صلات دولية لا تخلو من اهمية، وتبادل وجهات النظر في كثير من الميادين وليس المهم في هذا المجال ، مجرد وجود مبادرة من جانب الصين ، لاجراء نوع من الحوار ـ ولو انه محدود ـ مع القارة الافريقية ، فكل ذلك لا يدخل صميميا في مشتبك الصراع الروسي الصيني ، وان كان هناك الكثيرون من يحاولون الربط بين الظاهرتين ، اما الذي يأخذ بنوع من الاهتمام الجدي في موضوع اللقاءات الصينية مع الخارج خلال الرحلة الاخيرة ، فهو ما يتعلق بالاتصال الذي تم اجراؤه بهذا الصدد بين البانيا والصين ، والمظاهر والملابسات التي اكتنفت ذلك ، او نشأت عنه بصورة من الصور ، فقد كان اللقاء الصيني الالباني ، الذي تم في البانيا خلال الاسبوع الاول

من هذه السنة ، ووجهات النظر التي عبر عنها في اثنائه ، والمواقف السياسية التي اتخذت سواء من هذا الجانب او ذاك ، كان ذلك كله ذا اهمية قصوى في سير التطورات الراهنة التي تصطرع عواملها في حظيرة الحركة الشيوعية الدولية المعاصرة . هذه التطورات التي تتعدد صورها باستمرار وتتسع رقعتها بمقدار ما تتضاعف العوامل المؤثرة في وجودها بشكل او آخر ، ومن بين مظاهر هذه الاهمية التي يمثلها اللقاء الصيني الالباني الاخير — باعتبار ما لذلك من صلة بقضية النزاع بين الدوكماتيين والتعديليين والشيوعيين ، والصراع الذي يشجر بين هذا الجانب او الاخر ، سواء على المستوى الدولي او في حظيرة الاحزاب والمنظمات الحزبية المختلفة ، من مظاهر الاهمية التي تتمثل في ذلك :

1) انهيار التقديرات التي ما برحت تقوم في اذهان البعض ، حول امكانية تقلص الاختلاف بين ما يدعى بـ « الدوكماتية » الصينية (المغالاة المذهبية) ، وبين الاوساط الشيوعية الاخرى التي توصف بالتعديلية (المجتهدة في فهم المذهب ، وتطبيق مقتضياته) ، وقد كانت هذه التقديرات تقوم — كما تقدم — على ملاحظة الهدوء النسبي الذي عرفته واجهة الجدل بين الدوكماتيين والتعديليين خلال الشهور الاخيرة ، الا ان هذا الجدل ، قد استعاد حدته باكثر من السابق خلال الزيارة الصينية لالبانيا ، حيث تعرضت التعديلية الحديثة اي الاوساط الشيوعية الاكثر اعتدالا — لحملات خطابية صاخبة اثارت ردود فعل في اوربا الشرقية وخاصة في الجمهورية الشعبية اليوغوسلافية .

2) تكريس الترابط الصيني الالباني على الصعيد المذهبي والسياسي وتجسد هذا الترابط في اشكال اكثر رسمية وعلنية .

3) محاولة تجميع القوى الشيوعية المختلفة ، التي تأخذ بوجهة النظر الدوكماتية في اوربا ، والاتجاه الى بلورة هذه القوى ، واصطناع قاعدة للترابط الفكري والعملي بينها ولو بصورة غير مباشرة ، وهذه النقطة الاخيرة هي من بين الامور الاكثر اثارة للحساسية في الموضوع ، والادعى الى العناية والاهتمام المباشر ، ذلك ان الخلاف الصيني الروسي ، توجد له اصداء وانعكاسات بعيدة المدى في مختلف ارجاء العالم ، وخاصة في آسيا واوربا وامريكا الجنوبية ، والواقع ان الاتحاد السوفياتي ينعم — كما هو واضح — بمساندة القيادات الرسمية الشيوعية في مختلف الاقطار التي تنتسب الى هذه القارات ، غير ان العديد من هذه الاحزاب ما برح يعاني من آثار استفحال الامر بين الصينيين والروس — يعاني من نتائج هذا الاستفحال والانعكاسات المختلفة التي يتركها سواء على الصعيد المذهبي النظري ، او في مجال الحياة السياسية العملية ، ففي داخل كثير من الاحزاب الشيوعية بآسيا وافريقيا وجنوب امريكا ، توجد جماعات متضائلة الاهمية احيانا لكنها ذات نشاط صاخب ، هذه الجماعات تعبر كثيرا — سواء في موضوع الحرب او السلام — عن وجهات نظر اقرب الى طبيعة المعتقدات الصينية — الالبانية ، وتختلف بالطبع عن الاراء الرسمية التي تأخذ بها مختلف القيادات القائمة والتي هي ادنى الى النظرية السوفياتية ، او تندمج فيها في الصميم ، ففي الهند مثلا ، حيث تبدو القيادة الرسمية للحزب الشيوعي المحلي اكثر اعتدالا وادنى الى المشاعر القومية « البورجوازية » وذلك الى درجة اتخاذ موقف علني صارم ضد الصين في نزاعها الحدودي مع الهند — في هذه البلاد يعيش الحزب الشيوعي الذي يقوده « دانج » فترة غليان وتارجح ، ناشئة — عمومها — عن تناقض الاتجاهات العقائدية عند الدوكماتيين والتعديليين الهنود ، وقد تعدى الامر — في هذا النطاق — درجة الاختلاف الداخلي العادي ، ويوشك ان يفضي الحال الى نوع من الانقسام النهائي الحاسم في اوساط الشيوعية الهندية ، خاصة بعد توجيه العقوبة ضد « كوبالان » زعيم الكتلة البرلمانية الشيوعية الذي عبر عن ولائه لنظرية « بيكن » (اكتوبر الماضي) ، وخاصة ايضا بعد ان اصبح الخلاف بين الجانبين يكتسي صبغة تصادم جدلي حاد ضمن اطار اجتماعات علنية يعقدها هذا الجانب او الآخر ، وفي اوربا تعيش الاحزاب الشيوعية الايطالية والفرنسية وغيرها نوعا من التفاعل المذهبي من هذا القبيل ، تقل اهميته او تكثر بحسب الحالات القائمة ، اما في بلجيكا فقد ذهب الدوكماتيون بعيدا الى درجة اتخاذ مواقف رسمية ونهائية ، واصدار صحف خاصة ضمن هذا الاطار تناوئ الافكار التعديلية الشيوعية ، وتناهض القائمين على رعايتها من حكومات واحزاب ، بما في ذلك الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة بمنطقة غربي اوربا ، وتترنح الاحزاب الشيوعية بامريكا اللاتينية تحت تأثير التناقض بين النزعة التعديلية والمحافظة كما هو الشأن في آسيا واوربا ، وتعاني بعض القيادات الحزبية المحلية في هذه المنطقة من احوال من هذا القبيل على نفس المستوى الذي يلاحظ في الاقطار الاخرى خارج القارة الامريكية ولـ « الكاسترويه » في هذه الناحية تأثير نسبي في الموضوع من اساسه ، وقد كان للاحداث الامريكية — الكوبية في خريف سنة 1962) انعكاسات على التيارات الموجودة داخل الحركات اليسارية في امريكا اللاتينية ، وما برح « الدوكماتيون » يحاولون الاستفادة من هذه الانعكاسات ، الا ان التقارب الكوبي الروسي المستمر يحوم بينهم وبين استنفاذ اهدافهم الى مدى بعيد .

ومن الظواهر التي تثير الالتفات بهذا الصدد ، ان الاحزاب الشيوعية الحاكمة تتحمل هي بدورها نتائج التصارع العالمي الحالي بين التعديلية والدوكماتية ، وتواجه داخليا — على هذا الاساس — كثيرا من الاحوال التي لا يقع التغلب

عليها الا بصورة عسيرة وطويلة الامد ، وتبدو اوربا الشرقية – بصورة اخص – كابرز منطقة عالمية تلاحظ فيها حالات عدة من هذا القبيل ، ويكتسي الامر في كثير من اقطار هذه المنطقة ، صورة الصراع بين الستالينية من ناحية ، واللاستالينية من ناحية اخرى ، اذ ان التعديليين او البعض منهم على الاقل يرون في مناهج الحكم واساليب التسيير حسب العقلية الستالينية – يرون في ذلك ، انه يشكل المظهر الكامل لما تؤدي اليه الدوكماتية من انحرافات ، وما ينشأ عنها من معاذير خطيرة سواء في ميدان الحياة السياسية الداخلية ، او على صعيد العلاقات الدولية والعالمية ، ففي بلغاريا مثلا ، لم يكن للصراع الخفي بين الستالينيين ورواد اللاستالينية – لم يكن لهذا الصراع ان يصل الى مداه الا بتصفية الحزب الشيوعي البلغاري من بقايا الاوجه الستالينية ، وهذا ما وقع بالفعل خلال السنة الماضية عند ما تم اقصاء عناصر سياسية مهمة يعرف عنها عادة بانها ذات نزعة ستالينية على صورة من الصور ، وقد اعلن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في 14 يونيه من العام المنصرم – عن طرد كاتبه العام « كارول باسيليك » وعدة شخصيات شيوعية اخرى ، ولاشك ان لذلك علاقة بهذه الحالة من التصارع المستمر بين الستالينيين ودعاة اللاستالينية ، ومع ذلك ، فان الاحوال من هذا القبيل في القارة الاوربية ، هي اقل اهمية مما عليه الامر في حظيرة الاحزاب الشيوعية بآسيا والاوقيانوسية حيث تعاني عدد من هذه الاحزاب سواء في سيلان او اندونيسيا ، او زيلاندة الجديدة او غير هذه الاقطار – تعاني الاحزاب الشيوعية في المنطقة من انعكاسات الانقسام الصيني الروسي ، وتتأثر – على مستوى يرتفع او ينخفض – بنتائج هذا الانقسام ، وامتداداته ، سواء في ميدان النظر والتقدير ، او في مجال التخطيط والعمل والتنسيق ، هذا بغض النظر عن الاحزاب الشيوعية الاخرى في آسيا كالحزب الشيوعي بكوريا الشمالية وشمال الفيتنام وغير هذه الاحزاب التي يبدو ان تأثرها بجاذبية « الماركسية الحقيقية » كما تراها الصين – يبدو ان هذا التأثر هو ذو صبغة اكثر سعة وشمولا ، بحيث يكاد يستوعب القيادات الرسمية هي ايضا ، والمهم – في مجال النظر حول الموضوع – هو علاقة الشيوعية الصينية « المحافظة » بمختلف هذه الجماعات « الدوكماتية » الموجودة في حظيرة الاحزاب الشيوعية بالعالم ، او المنشقة فعلا عن هذه الاحزاب ضمن تكتلات جديدة ذات اهمية تقل او تكثر ، ان الصلات التي كانت بادية لحد الآن ، بين هذه الجماعات الشيوعية الصغيرة المنشقة عن احزابها في مختلف انحاء العالم من جهة ، وبين الشيوعية الصينية من جهة اخرى ، هذه الصلات لم تكن واضحة لحد الآن بصورة كافية ، اي باعتبار طبيعتها الجوهرية ، والظروف التي تحيط بها ، والنتائج العملية ، المنبثقة عنها بشكل او آخر ، وعلى العكس من ذلك ، ما يتعلق بصلة الصين مع الاحزاب الشيوعية الاخرى التي تحتضن المذهبية « الماركسية الحقيقية » طبقا لوجهة النظر الصينية ، دون ان تعاني بسبب ذلك تمزقا او انقساما ، ان الصلة التي ما برحت توجد بين الصين من جهة ، وهذه الاحزاب المحافظة و « المنسجمة » من جهة اخرى – هذه الصلة تبدو على درجة من الوضوح ، بحيث يمكن اكتناهها ، وادراك ملابساتها وتطوراتها ، ولو نسبيا هذا هو الشأن بالقياس مثلا لعلاقة بين بيكين ، وحزب العمل الالباني ، ذي الميول الستالينية الخالصة ، وهذا هو الشأن ايضا بالنسبة لحالة التحالف الضمني بين الشيوعيين الصينيين والالبانيين ، فهل تتطور العلاقة بين الصين والجماعات الشيوعية المنشقة عنها ، في اوربا وامريكا اللاتينية ؟ وهل يبدو ان هذه العلاقة تسير في سبيل اكثر فاعلية ووضوحا ، من شأنه ان يساعد على تكريس حالة الانفصام الضمني ، الموجود في الحركة الماركسية الراهنة ؟ من هذه النقطة بالذات ، تتجلى اهمية الآفاق التي اخذت تبرز – على نحو ما – خلال الزيارة الصينية الاخيرة الى البانية ، وذلك فيما يتصل بموضوع الخلاف الايديولوجي بين الشيوعيين والنتائج ذات الصبغة العالمية التي يمكن ان يؤدي اليها كل ذلك ، فقد تحدثت بعض التقارير بما يوحي بامكانية تنظيم لقاءات في البانيا بين الصينيين وعدد من رواد الحركات الشيوعية المحافظة ، ذات الميول الستالينية ، والمنشقة عن احزابها ، نتيجة الاختلاف حول هذا الموضوع : موضوع الستالينية الخالصة ، وهذا هو الشأن ايضا بالنسبة لحالة التحالف من هذا القبيل يجد فيها المحافظون من الشيوعيين ، سبيلهم الى التكاتف ضد ما يعتبرونه تعديلية روسية او يوغوسلافية او تعديلية عصرية على وجه العموم ، على انه بالرغم عما تثيره هذه الاصداء من حساسية واثارة وما تكتسيه من جاذبية ملحوظة ، فانه لا يبدو انه كان من الممكن جدا ، تنظيم لقاء شيوعي حقيقي من هذا القبيل ، وذلك – كما يظهر من استقراء الاجواء الماثلة – يعود – على الاقل – الى عاملين اثنين :

1) ان الجماعات « الدوكماتية » المنشقة سواء في اوربا او آسيا او غيرهما ، لا تمثل على الصعيد المحلي والدولي درجة واحدة من الاهمية السياسية والفكرية والاجتماعية ، فثمت – الى جانب الكتل القوية المنشقة التي تكاد تتخذ صورة احزاب جديدة وحقيقة ، هناك ايضا مجرد جماعات متفاوتة القيمة والتأثير تحتضن وجهات النظر المحافظة بصورة او اخرى ، ولا تتعاون مع القيادات الحزبية الرسمية ، نتيجة لكل ذلك ، ولكن هذه الجماعات لا يتوافر لها من الامكانيات الانسانية والمادية ، ما كان من بعض الاصداء التهريجية ، تحدثها بين الفينة والاخرى دون ان تساعد ذلك على خلق تيارات سياسية يؤبه لها ، اما في النطاق المحلي او العالمي .

2) ان المحور الذي كانت تتركز فيه اهداف الرحلة الصينية الاخيرة ، لم يكن يدور حول اوربا ، ولا يبدو انه كان يدور ايضا حتى حول المشاكل الايديولوجية الشيوعية في صميم جوهرها وتحملاتها ــ وان كانت له بعض الصلة المباشرة بحالة التنافس القائمة بين بيكين والاتحاد السوفياتي ، لقد كانت المبادرة الصينية الاخيرة تستهدف ــ في الدرجة الاولى ــ اجراء نوع من الاتصال مع القارة الافريقية ، باعتبارها تشكل جزءا هو من اهم الاجزاء في نطاق العالم الثالث ، ولعل القارة هذه ، يمكن النظر اليها على انها من اقل النواحي العالمية تاثرا بمعطيات الخلاف الصيني الروسي بل وبمجموع المشاكل التي تخص الكتلة الماركسية الدولية ، وفوق ذلك فانها ــ اي القارة ــ تبدو شديدة الحرص على الحفاظ على مستوى التوازن في مجال علاقاتها ، سواء مع الغرب من جهة ، او مع الشرق الشيوعي من جهة اخرى ، بكل ما يضطرب في احشائه من عوامل الصراع العقائدي بين المحافظين والتعديليين ، ولهذا فانه لم يكن من الممكن جدا ــ والرحلة بهذه المثابة ــ افتتاح آفاق واسعة النطاق من هذا النوع ، كمحاولة تنظيم دولية بروليتارية جديدة ، بالتعاون مع الماركسيين المنشقين في اوربا وخارجها ، اذ ان محاولة من هذا النوع هي ذات مدى بعيد جدا ، بحيث لا تتسع لاستيعاب مقتضياتها مختلف الآفاق الدولية القائمة ، وخصوصا في الظروف الماثلة الآن على ان كل هذا بمجموعه ، لا يعني ان تطورات الاوضاع الشيوعية في جانبي اوربا تنحصر فقط في ظاهرة التخاصم بين الاخذين بسبيل الدوكماتية من جهة ، والتعديلية من جهة اخرى ، بما يوجد في هذا الجانب او الآخر ، من فئات متباينة الاهمية والفاعلية ، وما يكمن وراء كل طائفة من معتقدات ومصالح ووجهات نظر خاصة ، ان هناك الى جانب ذلك ، قوى لها اهميتها في حظيرة العالم الشيوعي ، ما برحت تتمسك ــ منذ نشوب الازمة الايديولوجية الراهنة ــ بنوع من الحذر السلبي او الايجابي ، تختلف اسبابه ونتائجه بين حالة واخرى ، ويبدو انه لا يزال يتطور باستمرار ، ويتجه نحو آفاق اكثر ايجابية مما كان يوجد عليه الامر في البداية والحذر الذي يلتزم به بعض الجهات الشيوعية من هذا القبيل هو ــ في عمومه ــ ذو صبغتين متفاوتتين بعض الشيء فهناك ــ كما تقدم ــ نوع من الحذر ــ في هذا المجال ــ يمكن اعتباره ــ الى حد ما ــ ذا صبغة سلبية او شبه سلبية ، بحيث يكاد يتخذ صورة الوقوف وقوفا متوازنا بين النزعتين الشيوعيتين الرئيسيتين دون ان يفضي من ذلك الى درجة اتخاذ موقف ملائم او مضاد لهؤلاء او اولئك ، ودون ان يعنى ايضا باتخاذ مساع جدية من اجل التخفيف من شدة الحالة القائمة ، او بالاحرى تصفيتها على شكل من الاشكال ، وتتمثل حالة من هذا النوع ، في الموقف الذي استمر على التزامه في البداية الحزب الشيوعي الروماني ، وانعكست آثاره على سلوك حكومة بوخارست نفسها ، واتجاهات الديبلوماسية الرومانية في مجال تفاعلاتها مع بقية الوحدات الدولية لعالم الاشتراكي ، وعلى الرغم من بعض الظواهر التي يمكن ملاحظتها الآن ، فان من الجائز التأكيد بان الخطة هذه التي يحتذيها الحزب الشيوعي الروماني في موقفه من الازمة الايديولوجية الشيوعية ، لم تتحول كثيرا عن ذي قبل ، ولم يسجل في موضوعها تطور جوهري وحقيقي يمكن ان يؤثر على سلوك السياسة الرومانية الرسمية في هذا المجال ، وعلى الرغم من اقدام الحزب الشيوعي الاندونيسي اخيرا على استنكار اتفاقية موسكو النووية ، فانه من الممكن اعتبار موقفه من القضية الروسية ــ الصينية موقف حياد بسيط، سيما وقد كان يلتزم مثل هذا الموقف منذ بداية التطورات الشيوعية الراهنة ، ولم يحدث بالفعل من التحولات الراديكالية في موقفه ما يوحي بانه قد اصبح يوثر موقف الانحياز بصورة بائنة وعلنية ، وهكذا الامر بالنسبة لكثير من القيادات الحزبية الشيوعية الاخرى التي يبدو وعلى اتجاهاتها نوع من الموالاة لبيكين من جانب او لموسكو من جانب اخرى ، الا ان هذه الموالاة او الاخرى لا تكتسي في كثير من الاحيان صبغة جدية وحاسمة ، بل انها كثيرا ما تفقد من جوهريتها ، حتى لا تكاد تعتبر احيانا الا نوعا من الحياد السلبي التواكلي ، لا اقل ولا اكثر ، الا ان هناك في نفس القارة الاسيوية مجالا ، ولكنه محدود الاستبانة لبعض المواقف الحاسمة في حظيرة بعض الاحزاب الشيوعية التي ما فتئت تؤثر ــ بصورة ــ تتضح اكثر فاكثر ــ سبيل الاتجاه نحو هذا المركز او الآخر من المراكز المتنازعة اليوم ، على مقاليد الزعامة الشيوعية العالمية ويبدو الحزب الشيوعي في منغوليا الخارجية ، كمثال من هذا القبيل وذلك بصدد موالاته الملحوظة للموقف الروسي من الازمة العقائدية الشيوعية ، كما يبدو الحزبان : الشيوعي الفيتنامي الشمالي ، والكوري الشمالي ، كمثال ايضا على اعتبار ما يبدو على مسلكها المستمر ، من موالاته لوجهة النظر الصينية الرسمية واذا غضضنا النظر عن موقف كوبا الذي استطاع ان يوفق بين حياديته النسبية ، وبين عدم الاسراع الى توقيع الاتفاقية النووية الدولية اذا غضضنا النظر عن حالة من هذا الطراز فاننا نجد الى جانب « الحياديين » في اوربا بعض الاحزاب الشيوعية التي لم تشأ ان يكون حيادها ذا صبغة تهربية او مجرد حالة من حالات القلق والتأرجح ، بل انها آثرت عوضا عن ذلك سلوك نوع من « الحياد الايجابي » في هذا المقام ، يرتكز على قاعدة الوقوف موقفا فيه نوع من التوازن النسبي بين الجانبين ، ويقتضي في نفس الوقت السعي الى اقرار نوع من المهادنة تؤدي حسب مناهج مضبوطة ومعينة، الى تحقيق تصفية للموقف من اساسه ، تساعد الدولية العمالية الشيوعية على استعادة تماسكها النظري والعملي السابق ، ومن

بين المواقف المهمة المتخذة من هذا القبيل : موقف الحزب الشيوعي البرتغالي الذي لم يسبق له – كما يبدو – ان اتخذ موقفا حاسما في شأن الاطراف المتنابذة في العالم الشيوعي ، الا انه استطاع في غضون الصيف الماضي ان يتبنى مبادرة ايجابية اهميتها في هذا المضمار ، وان كانت لم تصادف – بالفعل – نجاحا حقيقيا يؤدي بها الى استنفاد الاهداف المتوخاة منها ، فقد اعلن هذا الحزب في مقرر له اتخذ في شهر غشت من العام المنصرم ، عن منهاج مقترح من جانبه يستهدف العمل على تحقيق تسوية معقولة للمعضلة القائمة في العالم الشيوعي الراهن ، ويقتضي الامر بهذا الصدد تنظيم مؤتمر شيوعي عالمي تتعدى المناقشات فيه حدود المشاكل الايديولوجية الموجودة ، وتتجاوز ذلك الى محاولة تحديد مقاييس مضبوطة وواقعية ، تقوم عليها حالة العلاقات بين الاحزاب الشيوعية العالمية ، وتمت مجال معقول – طبقا لما تعبر عنه وجهة نظر الحزب البرتغالي – لتأسيس لجنة موسعة تضم ممثلين عن بعض الاحزاب الشيوعية العالمية ، وتضطلع بتسوية المشاكل المختلفة التي يمكن ان يثيرها انعقاد مجمع عالمي من هذا القبيل ، وقد عنيت كثير من الاحزاب الشيوعية الاخرى في اوربا ، كالحزب الشيوعي البريطاني مثلا – باتخاذ ـــاع ، والتعبير عن وجهات نظر من هذا النوع ، الا ان الوسيلة التي تحقق التصالح المنشود ما زالت دائما تختلف بين حزب وآخر ، من الاحزاب الشيوعية المتداخلة في الموضوع ، فهناك من هذه الاحزاب كالحزب الشيوعي النيوزيلاندي من يناهض فكرة المؤتمر الشيوعي العالمي ، كوسيلة لايجاد حلول للمشاكل الايديولوجية القائمة ، ويؤثر على ذلك طريقة الحوار الثنائي المباشر بين موسكو وبيكين ، وحتىمع بعض الاحزاب الشيوعية الاخرى عند الاقتضاء ، وقد بعث الحزب الشيوعي الاندونيسي – من جهة اخرى – في غضون الصيف الماضي – اقتراحا الى « موسكو » بهذا المعنى ، على ان هناك ايضا عددا من الاحزاب الشيوعية الاخرى ، كالحزب الشيوعي الفرنسي تتحمس لفكرة مؤتمر متعدد الاطراف وترى فيه الوسيلة المثلى لحل المشاكل القائمة ، لكن بغض النظر عن طبيعة الحلول المروجة ، والصيغ المختلفة التي تقدم في اطارها هذه الحلول – بصرف النظر عن كل ذلك ، فما هي عناصر المشكلة الايديولوجية القائمة في العالم الشيوعي المعاصر ؟ وما هي طبيعة هذه المشكلة والعوامل التي تتحكم في تحديد صورتها واتجاهاتها، والافاق العامة التي تتراءى من خلال ذلك كله ؟ من الخطأ ان يعتقد المرء بان القضية الوحيدة التي يتشكل منها جوهر الازمة الشيوعية الحديثة ، هي قضية النزاع الصيني الروسي ، وما يتعلق به من محالفات ومواقف متخذة سواء عند عموم الدوكماتيين من جانب والتعديليين من جانب آخر ، والا فبماذا يمكن ان نجيب به عن سؤال يصاغ على النحو التالي : هل كان من الجائز ان تبقى مجموع الاوضاع على ما كانت عليه قبل نشوب النزاع لو لم تتخذ الصين مثل هذا السلوك المناوئ لتصفية الستالينية في روسيا ، ولم تسر في طريق المذهبية الخاصة ، التي تستمسك بها والتي تعتبرها تمثل الماركسية الحقيقية ، وذلك في نطاق التحالف الضمني مع الالبانيين وكثير من الجماعات الشيوعية المحافظة الاخرى في اقطار عديدة من العالم؟ وبعبارة اكثر بساطة : هل من الضروري عقليا وتجريبيا ان تعتبر الصين العامل الاساسي الفريد وعلة العلل في وجود المشكلة الشيوعية الراهنة ؟ ان الاوضاع الشيوعية الحالية عموما هي – في الواقع – من التشعب بدرجة لا تسمح بتاتا باطلاق احكام مجانية من هذا القبيل ، وحصر المظاهر المتراءية في نطاق اعتبار ضيق من هذا الصنف ، فليس التناقض الموجود الآن بين الصين والسوفييت الا مظهرا من جملة مظاهر متعددة تعكس في مجموعها عمق التطورات الداخلية التي تعتمل داخل المجتمع الدولي الشيوعي الحاضر ، وان كانت القضية الصينية الروسية هي من بين هذه المظاهر الاكثر ضخامة ، والا حفل بمختلف الامكانيات التطورية الراديكالية ، والواقع ان تحولات من هذا القبيل ، بكل ما يصحبها من تعدد في وجهات النظر الايديولوجية المقترحة وما تؤدي اليه من تكاثر في الاتجاهات والوسائل والاساليب – الواقع ان كل ذلك ، ليس جديدا على الحركة العمالية الدولية ، والايديولوجيات الملصقة بها من فابية وماركسية وغيرها ، بل ان النظريات الاقتصادية المختلفة ، التي توجد في اساس كثير من هذه الحركات – لم تفتأ منذ ان توسعت محتوياتها وتطورت على يد «مفشت» و «لاسال» و «روبرت» اوين وغيرهم – لم تفتأ تعرف كثيرا من التقلبات والتناقضات المتعاقبة التي لم تكد تساعد الفكر الاقتصادي على الاستقرار او تؤدي به الى مفاهيم ثابتة ومشتركة على صورة من الصور ، فالاختلاف الموجود اليوم ، له اصول بعيدة الغور في اعماق الحركة الماركسية والفكرة الاشتراكية على وجه العموم، والدوكماتية من جهة ، والتعديلية من جهة اخرى ، كانتا دائما محور صراع فكري ومنهجي بين الاشتراكية الحديثة وخاصة منهم الشيوعيون ، ومن ثم فان الصين لا تبرح تطلق على المتخففين من بعض النظريات الماركسية التقليدية ، او المؤولين لها على وجه من الوجوه – لا تبرح تطلق عليهم عبارة التعديليين المحدثين ، وذلك يعني ان هناك في تقاويم الحركة الماركسية مجالا لذكر جماعات اخرى من التعديليين القدماء ، وهذا صحيح بالفعل ، الى حد بعيد ، فقد ظهر التعديليون الاولون منذ فجر النظرية الماركسية اي منذ ان وجدت النظرية آفاقا لها للانتشار ، واصبح لها تلامذة وحواريون في مختلف انحاء القارة الاوربية ، وقد مست التعديلات النظرية المقترحة بهذا الشأن طائفة من صميم

الآراء الاقتصادية الماركسية ، وبرز في هذا المجال بعض المتأثرين تأثرا صميما بماركس كالكاتب « ادوارد برنشتين » الذي يعتبر عند البعض كزعيم التعديلية القديمة ، والذي اشتهر بتحليلاته الكثيرة للنظرية الماركسية ونقده لها في كثير من الجوانب الاقتصادية التي تشتمل عليها ومع « برنشتين » وغيره طالب الكثيرون بتعديل عدد من معطيات النظرية الماركسية ، وما فتئت النظرية هذه تتأرجح بين مختلف الاتجاهات العقلية والتجريبية حتى كانت الثورة الروسية ، وقيام نظام البلاشفة الروس في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، ومن المهم في هذا المجال ان دخول النظرية الى مجال التطبيق قد احدث كثيرا من المصاعب والتعقيدات الداخلية والخارجية ، ادهشت المسؤولين الثوريين الروس ، ولقنتهم كثيرا من الحقائق المحرقة التي لا يمكن ان يكون مرغوبا فيها من الناحية النظرية ، وليس من الضروري ان يكون « لينين » او مساعدوه قد ادركوا عن طريق المصاعب الاقتصادية والاجتماعية التي واجهوها غداة اضطرارهم في خضم بناء الدولة الجديدة — ليس من الضروري ان يكونوا قد ادركوا — بسبب ذلك — ان هناك اخطاء جوهرية حقيقية في البناء النظري للمذهبية الماركسية ، او انها ليست صالحة — الا بمقدار — في مجال العمل على تخطيط مجتمع قادر ومتماسك ، ضمن الاوضاع العالمية الجديدة اي في صميم القرن الذي نعيشه الآن ، بل انه من الجائز — عكس ذلك — ان يكون الثوريون السوفييت الاولون — قد ازدادوا اقتناعا — بعد توليهم الامور — بجميع محتويات الماركسية وما تقتضيه من تخطيطات معينة في مجالات الفكر والاقتصاد والاجتماع ، الا انهم مع ذلك — لم يستطيعوا ان يوجدوا الصلة المستمرة — وبصورة مضمونة دائما — بين معطيات النظرية التي اخذوا بها وبين واقع المشكلات الحية التي وجدوا الكثير منها ماثلا امامهم سواء داخل الاتحاد السوفياتي او في ميدان الارتباط بعجلة الحياة الدولية والعالمية ، ومن ثم فانه لم يكن هناك مناص لهم من انتهاج نوع من التعديل النسبي في طريقة تفكيرهم الثوري ، وبالتالي في بعض التخطيطات والمناهج التي كان عليهم ان يحتذوها وحتى ايضا في مجال النتائج التي كانوا يستهدفونها لقد كان ثمت ضرورة ملحة ، لمجانبة سبيل الدوكمائية البحت ، واحتذاء طريق التعديلية بصورة او اخرى ، وضمن نطاق بدا ضيقا في مراحله الاولى وما زال يتسع وتتمدد جوانبه وحيثياته حتى ادى — بعد مرور نحو اربعين سنة على الثورة — الى الصورة العامة التي عليها الشيوعية الروسية اليوم بل وتوجد عليها ايضا شيوعية اقطار اوربا الشرقية وكثيرا جدا من الاحزاب الاوربية والاسيوية والامريكية التي تهتم بالتعديلية عموما ، واذا تجاوزنا في التعبير ، وارادة المعاني فانه يمكننا ان نعتبر ان هذا النوع من « التعديلية » المذهبية قد بدأت الحاجة تدعو اليه في مبدأ الحركة البلشفية بروسيا وعلى عهد الادارة اللينينية نفسها وغداة وفاة لينين كانت الاحوال الفكرية في هذا الميدان قد تطورت تطورا جوهريا فاصبح هناك في حظيرة الزعامة البلشفية طائفة من يمكن اعتبارهم واقعيين ومعتدلين الى جانب طائفة اخرى من المتطرفين ، وذهب المعتدلون بعيدا في سبيل التلاؤم مع الحقائق الواقعية التي تواجه النظام الجديد داخليا وخارجيا ، وبدوا مقتنعين — على اساس ذلك — بانه لا محيد عن الخروج من العزلة الدولية ، التي كانت قد طوقت البلاد من كل جانب ولذلك فانه من الضروري مهادنة العالم الرأسمالي ، بل والتعامل معه في نطاق المصالح المتبادلة والاستفادة من كل ذلك في ارساء قواعد الكيان السياسي الجديد ، واكثر من ذلك فقد توافرت عوامل الاقتناع آنئذ بضرورة التخفيف من القيود المتعلقة بانظمة الارث والاملاك والتجارة ، وغير ذلك من الامور التي تتصل بمقتضيات التنظيم الاقتصادي والاجتماعي عند الروس ، ومما يستثير النظر ان ستالين نفسه كان من ابرز هذه العناصر المعتدلة التي اخذت بازمة الامور بعد نهاية لينين ، وكان عليها منذ البداية ان تصطدم بمعارضة المتطرفين وفي مقدمتهم تروتسكي ، وزينوفييت ، وراكفسكي وغيرهم ، غير ان « التعديلية ، على صورة من الصور ، هي التي استطاعت في الاخير ان تقود الامور في روسيا وتسير بالنظام السوفياتي عبر مراحل متعاقبة من التنقيح والتحوير ، لم تبلغ مداها بعد ولحد الآن ، وكان صدور الدستور السوفياتي الثاني سنة 1924 نقطة مهمة من نقط هذا التحول في المفهوم التنظيمي الثوري عند السوفييت ، وبمقتضاه حدث توسع هام جدا في حقوق الاملاك والارث كما اصبح حق التصويت اكثر ليبرالية وتسامحا حيث اقرت المساواة في مجاله بين العمال والفلاحين بعد ان كانت هذه المساواة معدومة ، بل ان البناء الطبقي للمجتمع الشيوعي الذي كان ينحصر في طبقة البروليتاريا بصورة اخص — هذا البناء قد غدا اكثر توسعا وشمولا بحيث يتسع لاستيعاب بعض العناصر الاجتماعية الاخرى مما يضيق به مفهوم الماركسية عند الدوكمائيين ، وتناولت الروح التعديلية كذلك مناحي شتى في مجالات السياسة الخارجية وطريقة التعامل مع بقية انحاء العالم على وجه عام ، وقد ساهمت الحرب العالمية الثانية في حمل السوفييت على اتخاذ خطوات تعديلية اخرى خطيرة الشأن وان كان اتخاذها لم يقع الا تحت تأثير عوامل اضطرارية ناشئة عن اعتبارات الحرب ، ومن اهم هذه الخطوات وابرزها اطلاقا : الغاء « الكومنترن » اي الدولية الشيوعية الثالثة التي تأسست سنة 1919 بعد الدولية الاولى المؤسسة سنة 1864 والدولية الثانية المؤسسة سنة 1889 ، وكان الهدف من وجود « الكومنترن » هو تنسيق العمل بين الاحزاب الشيوعية في مختلف ارجاء العالم وتنظيم نشاطاتها واهدافها ضمن خطة عالمية مشتركة وعلى الرغم من ان الغاء الكومنترن

سنة 1943 ، كان الحافز عليه مجرد الخضوع لاعتبارات الحرب العالمية القائمة آنئذ فانه قد اعتبر آنذاك مبادرة مثيرة جدا وظاهرة دولية تدل في حقيقتها على حصول تطور جوهري وخطير الشأن والحق ان هذه الظاهرة ، كانت قصيرة الامد ، اذ ان الكومنترن قد اعيدت اقامته من جديد عقب نهاية الحرب وبداية آفاق الصراع الدولي البارد الذي عاشه العالم خلال السنوات السبع عشرة الماضية ، وقد صاحب ذلك ازدياد في توتر الاحوال الدولية ونزوع من جانب الستالينيين وحلفائهم داخل اطار حلف فارسوفيا — الى اتباع نوع من الدوكماتية في الميدان الخارجي استعادت معه الاهداف الثورية العالمية كثيرا من حدتها وضراوتها الاولى ، وبانقضاء العهد الستاليني تعرضت روسيا وكثير من دول اوربا الشرقية الشيوعية الى ارتجاجات سياسية متعاقبة كان عاملها الجوهري شدة الصراع بين المحافظين والمعتدلين ، وبتطور الاوضاع في بولونيا والاثارة النفسية العميقة التي خلفتها حوادث سنة 1956 في هنغاريا ثم اهم من ذلك كله ارتكاز الامور في يد الادارة السوفياتية التي يسيرها المعتدلون على وجه عام ، كل ذلك من شأنه ان يؤدي الى قلب كثير من الحقائق التي كانت تميز السياسة الستالينية وخاصة فيما بعد الحرب ، وتحويل عدد من المفاهيم والمدركات التي كانت تؤثر في توجيه هذه السياسة على الصعيد الداخلي والعالمي على السواء ، ومن ثم بدأ التوتر غير المباشر يتكون في العلاقات بين الصين والاتحاد السوفياتي ، وقد وجد نقطة انطلاقه الاساسية الاولى في المؤتمر العشريني للحزب الشيوعي الروسي الذي انعقد خلال سنة 1956 ووجه خلاله رئيس الحكومة السوفياتية الحالي — بصفته الكاتب العام للحزب الشيوعي الروسي — وجه نقدا شديدا الى الاساليب الستالينية والى العهد الستاليني بصورة عامة ثم تلا ذلك كله تطبيق سياسة اللاستالينية في مختلف جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، واتسع نطاقها حتى شمل كل دول اوربا الشرقية تقريبا ، وبنسب متفاوتة ، ولم يشذ عن ذلك الا النظام الشيوعي في البانيا ، وكان رد الفعل الصيني بطيئا جدا على الاقل من الناحية العلنية المباشرة — فعلى الرغم من الحساسية البالغة التي اثارها المؤتمر العشريني للحزب الشيوعي الروسي بما وقع خلاله من تشهير بالستالينية خاصة ، وبالدوكماتية (التطرف المذهبي) عموما ، فان العلاقات بين الصين والسوفييت بقيت تحتفظ من الجانب المظهري على الاقل — بطابع تضامني لا يترك الا مجالا ضئيلا للتشكك في قوته وفعاليته ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الاحساس بالتوتر داخل العشيرة الدولية الشيوعية قد بدأ يقوى وتظهر له بعض الآثار الدقيقة التي لم تعد خافية على مختلف الزعامات الشيوعية سواء في نطاق الحكومات او الاحزاب ، وكان مؤتمر سنة 1957 الذي انعقد بموسكو بين القيادات الشيوعية المختلفة ، كان هذا المؤتمر فرصة لتذليل العقبات المذهبية المعترضة وتنسيق وجهات النظر هنا وهناك على اي اساس ممكن وعلى الرغم من ان المؤتمر قد افضى الى نتائج هامة حقا من الناحية النظرية اذ انه ساعد على تقريب المسالك والنوازع واصطناع قاعدة مشتركة لتنسيق وجهات النظر محافظة ومعتدلة الا انه — مع ذلك — لم يؤد على المستوى العملي الى الغاء العوامل الجوهرية التي تؤثر في اختلاف اوجه التقدم والتمذهب سواء عند الذين يتبنون شعار اللاستالينية ، او اولئك الذين يحتضنون الروح الستالينية وجاءت بعض الاحداث الدولية — مثل هجومات الصين على جزر « ماتسو » و « كيموي » سنة 1958 ، وعدم تضامن الروس عمليا مع « الشقيقة » في ذلك جاءت مثل هذه الحوادث لتساعد على توسيع الفوارق المذهبية والمصلحية سواء عند هذا الجانب او ذلك ، وكان الملتقى الشيوعي العام الذي حدث سنة 1960 ، والذي ضم مختلف النزعات الشيوعية المتقابلة — كان هذا الملتقى نقطة حاسمة جدا في تاريخ التطور الذي تدرجت في نطاقه الخلافات الشيوعية المعاصرة، وقد كان الهدف من ذلك الجمع هو — بالطبع — السعي الى لحم الواجهة الداخلية الشيوعية واستقصاء الوسائل المؤدية الى تناسق اكثر فعالية بين القوى الحزبية والدولية الشيوعية بيد ان الذي يلاحظه المرء ان المرحلة الحاسمة التي بلغها التصادم الحالي في العلاقات بين الدوكماتيين والتعديليين هذه المرحلة قد برزت مباشرة بعد مؤتمر سنة 1960 حيث كشفت البانيا عن مناوآتها العلنية للسوفييت وتلتها الصين بعد ذلك ، ولكن بعد مرور فترة طويلة من اللف والدوران كانت الحملات الانتقالية خلالها تكتسي صفة الالغاز والتلميحات والنبز غير المباشرة ، ثم استحال الامر بعد ذلك وخاصة خلال سنة 1963 الى حملات صريحة ومباشرة تتساوى في حدتها واتساع مدلولاتها سواء عند السوفييت او الصينيين ، ومن النقط الهامة التي تأخذ بزمام النظر في هذا المجال هو ان الحوار الشيوعي بين المحافظين والتعديليين لم يبق متركزا — كما تقدم — في محور الصين — روسيا ، بل ان هذا الحوار قد اتسع مداه طيلة السنوات القليلة الماضية وشمل كثيرا من الاحزاب الشيوعية في غربي اوربا وعدد من المناطق الاخرى من العالم حيث ما يرح الجدل بين جماعة واخرى ، داخل الحزب الشيوعي الواحد حول كثير من القضايا المذهبية وصلتها بتطورات الاحوال العالمية الملحة غير انه بقدر ما يشتد الحوار الشيوعي المعاصر الذي تثيره مشاكل الاحتكاك بين النظرية الماركسية وواقع الحياة العالمية المتطورة ، بقدر ما ينصب اهتمام الكتلة الصينية الالبانية بالاخص حول موضوع التعديلية المعاصرة وما يمكن ان تحمله هذه التعديلية من اساءات بالغة لتطور الحركة العمالية الدولية ومستقبل الفكرة الشيوعية عموما ، فما هو المراد بهذه التعديلية العصرية التي تتركز حولها اهتمامات الصين بصفة

حامية ، وتنصب عليها تقريبا جميع المواضيع الدعائية الصينية ؟ لقد رأينا من قبل ان روح التعديلية قد مست على نحو او آخر اسس النظرية الماركسية منذ بدايتها الاولى ، وذلك على يد بعض تلامذة ماركس انفسهم ، وما فتئت الآراء والنظريات داخل اطار الفكرة الاشتراكية عموما ـ والماركسية هي مجرد نزعة من نزعات الحركة الاشتراكية الاوربية ـ ما فتئت الاراء والنظريات داخل اطار الفكرة الاشتراكية تتكاثر وتتعدد متجهة تارة الى الاعتدال ، كالفابية مثلا ، او الى التطرف كالنهلستية والفوضوية وغيرها وغداة تفوق الماركسية على غيرها من نزعات الحركة اليسارية الاوربية وذلك نتيجة لسيطرة البلاشفة على مقاليد ثورة اكتوبر 1917 ـ اصبحت الضرورة كما قدمنا ـ داعية عند ذلك في روسيا الى انتهاج سبيل التعديلية على صورة مختلفة وطيلة فترات عديدة من العهد الستاليني ثم العهد الحالي على نطاق واسع وهذه التعديلية المذهبية ـ اذا نظرنا اليها من الزاوية العملية ـ خصوصا ـ فاننا نجد لها في الصين نفسها مظاهر عدة ـ وان كانت محدودة النطاق وتؤثر في وجودها عوامل اضطرارية ملحة فقد وجدت هذه البلاد نفسها منذ انتصاب النظام الشيوعي سنة 1949 مضطرة الى محاولة كثير من التجارب في الميدان الاقتصادي بصورة اخص ، فمن عهد « الوثبة » الكبرى الى الامام الى عهد « الجمعيات الشعبية » ثم اخيرا الى المرحلة الحاضرة التي يقال عنها انها مرحلة اعادة التنظيم .. هذه المرحلة التي تتميز بما يحدث فيها من مراجعة ترتيب الاسبقيات : اسبقية الصناعة على الزراعة او العكس ، ويبدو ان هذا القطاع الاخير : القطاع الزراعي قد بدأ يسترد اهمية متزايدة اكثر مما سبق الامر الذي يتطلب تنظيمات جديدة وواسعة في مجموع المخططات الاقتصادية الصينية كل ذلك له ـ بالطبع ـ صلة ما بالمعطيات الايديولوجية التي لابد ان تتعرض ـ لهذا السبب ـ لنوع من التعديلية الاضطرارية تقل اهميتها او تكثر ، والامر كذلك بالنسبة لموضوع التعاون مع الاقطار الفتية التي تسودها النزعة البورجوازية الوطنية وكذلك قضية التضامن مع الحركات الوطنية التي تسودها روح من هذا النوع ، وغني عن البيان ان مثل هذه التعديلات الصينية في مجال التطبيق المذهبي ليست الا ذات صبغة تكتيكية تمليها ظروف التطور المرحلي ، والامر ليس كذلك في كثير من البلاد الشيوعية الاخرى حيث اتخذت التعديلية مفاهيم قارة وحاسمة ، وعلى العموم فللمرء ان يتساءل بهذا الصدد : هل سبق ان مرت هناك فترات معينة ـ منذ ثورة اكتوبر السوفياتية ـ وجدت فيها الماركسية البحث سبيلها الى التطبيق العملي الشامل ، دون ان تمسها اعراض التعديلية من قريب او بعيد ؟ واذا كان هناك مجال لاحتضان النظرية الماركسية من ناحية مبدئية كما هو الامر في اغلبية اقطار العالم الشيوعي الحاضر فهلا يجوز مع ذلك اجراء انواع من التعديل في تطبيق النظرية ـ زراعيا واجتماعيا ودوليا ـ مما تقتضيه الظروف العالمية المتجددة ؟ واذن ، فما هي البواعث الاساسية الفعالة التي كان من شأنها ان تثير كل هذه المشاذات الضارية في العالم الشيوعي حول موضوع المحافظة المذهبية او التعديلية المذهبية ؟ هل هناك اسباب اخرى غير الاسباب الاعتقادية النظرية كان من شأنها ان تدعو الحزبين الصيني والالباني الى اتخاذ موقفهما الحالي من السوفييت والسير في هذا السبيل بعيدا ، والى مدى يبدو غير محدود لحد الآن ؟ يعلل بعض المراقبين ذلك بانه علاوة على العوامل النظرية المذهبية يعود امر الخلاف ايضا الى عوامل مصلحية صرفة (مثلا رغبة الصين في الاستفادة من امكانيات الاتحاد السوفياتي بصورة محدودة ، ورغبتها كذلك في اجتذابه الى التضامن الفعال معها في قضية فورموزة والجزر الاخرى التابعة للادارة الوطنية الصينية) ويرى البعض ـ من جهة اخرى ـ ان هناك ايضا مؤثرات شخصية لها اثرها في الامر على الاقل من بعض جوانبه ، كالتنافس الشخصي على الزعامة الشيوعية العالمية ، بين القادة الروس والصين) ، كما يحاول آخرون ان يستدلوا على ان بعض التطورات العارضة (كحوادث الحدود بين الهند والصين ، وعدم تحمس السوفييت في ابداء تضامنهم مع الصين ضمن نطاق المصلحة الشيوعية الخاصة) يريدون ان يستدلوا على ان مثل هذه التطورات ـ وان لم تكن هي علة العلل في نشوء بوادر الخلاف غير انها هي التي قد تكون ارثت ناره ، واحدثت في جوه كثيرا من المضاعفات النفسانية والعقائدية ، اوصلت الامر الى ما هو عليه الآن ، وهناك تعليلات كثيرة اخرى من هذا القبيل ، تتناول ناحية او اخرى من نواحي العلاقات الصينية السوفياتية ، ثم تربط بين ذلك وبين حالات الانفصام الموجود ، فهل تجزيء هذه التعليلات وما يشابهها في تبرير كل هذه التطورات المهمة التي ادت الى الموقف الحاضر داخل الكتلة الشيوعية المعاصرة ؟ لقد شرح الحزب الصيني في رسالة بعث بها ـ في اواسط يونيه من السنة الماضية ـ الى الرفاق السوفييت ، شرح الحزب الشيوعي الصيني جوانب الخلاف العقائدي الموجود ، وعدد نقطا كثيرة وذات حساسية بالغة باعتبارها تقع في اساس الازمة القائمة ومن خلال النقط المستعرضة يلاحظ المراقب ظاهرة بسيطة ومثيرة في نفس

الوقت وهي ان المبادىء العامة التي تنطوي عليهـا النظريــة الماركسية ـ اللينينية ـ تشكل باستمرار قاسما مشتركا بيــن الطرفين يتبناها كل جانب لنفسه ويحـاول ان يجرد الجـانب الآخر من الانتساب اليها باعتبار ما يأتيه من اعمال وما ينهجه من سلوك ، اما الحقيقة التي يمكن استجلاؤها من كل ذلـك فهي ان الاختلاف يدور في الواقع حول جوهـر المبــادىء الشيوعية ، بقدر ما يدور حول المفاهيم التي يمكن استخلاصها من هذه المبادىء والاستنتاجات العملية التي يجوز تكوينهـــا على اساس ذلك والتي يمكن التدرج بها فــي مجال البنــاء الداخلي والعلاقات مع افراد الاسرة ومع بقية انحاء العالم تلـك هي مشكلة مفاهيم ومشكلة استنتاجات ويزيد في تعقيد هــذه المشكلة ان لها صلة بدرجة التطور والنمو الذي حققه كــل من الطرفين كل في مجاله وبالتالي فانهـا ترتبط بالظــروف الانسانية والمادية التي تجتازها الصين من جهــة والظروف الاخرى المغايرة التي يعيشها الاتحاد السوفياتي بعـد ان ملـخ من سني ثورته نحو الاربعين سنة تقريبا ، ثم ان هناك ـ علاوة على كل ذلك ـ نتائج التطور الفكري العـام الذي يخضــع له حتميا العالم الشيوعي ، كما يخضع له بقية القطاعات الاخرى من المعمور .. هذا التطور الذي ساعد علــى تعدد النظريات ، وتكاثر المسالك ، وتنوع المفاهيم والاستنتاجـات ، لا بيــن المحافظين والتعديليين فقط ، بل ايضا داخل الاوساط الشيوعية المتجانسة مظهريا ، اي بين الاحزاب التعديلية نفسها ، وداخل الاحزاب المحافظة نفسها كذلك، ويواجهنا الموضوع ـ مجددا ـ بالاسئلة الاساسية السابقة ، وهي : كيف تتراءى آفاق هــذا التطور الذي نلاحظه ؟ وما هي العوامل الكامنة وراءه ؟ ومــا درجة اهمية الحقائق والاستنتاجات التي يمكن ان نستخلصهــا منــه ؟ ثم الى اي مدى تتجه كل هذه الاحوال ؟ وما صلة ذلك بالتطور العام في الحياة العالمية المعاصرة ؟

هذا ما سنحاول ان نتبينه ـ ولو بصورة محدودة ـ فــي عدد قادم بحــول اللــه .

سلا : المهدي البرجالي



الهجرة

ومستلزمات توازن المجتمعات الحديثة

للأستاذة : فاطمة التهامي الغربي

كانت الارض وما زالت مرتعا فسيحا تنتقل الشعوب عليه ، فالانسان بطبيعته تواق الى الحركة والتنقل ، وهذه الحاجة ليست مقصورة عليه وحده بل هي موجودة كذلك لدى الحيوان كالطيور التي تهاجر من بلد الى آخر حسب الفصول والاسماك التي تبدل اعشاشها عبر المحيطات والنحل والجراد الخ . . . وقد استطاع المؤرخون ان يثبتوا وجود هجرات قامت بها الشعوب البدائية قبل العصور التاريخية ، ونستطيع بدورنا ان نقول بان الهجرة قديمة قدم الانسان على البسيطة ابتدات مع ظهوره عليها ، واستمرت مع الحقب التي عاشتها البشرية الى اليوم ، ان الحركة هي قبل كل شيء واقع اصيل وطبيعي في الانسان .

وبفضل اكتشاف الكتابة تمكن المؤرخون والعلماء من تتبع تلك الحركات وضبطها وتدوينها ودراسة اسبابها ومعرفة فوائدها ومضارها ، والحقيقة ان آراء العلماء متضاربة فيما يخص الهجرة . هنالك من يحاربها ويعزو اليها افقار البلاد المهاجر منها اذ كل مهاجر هو ذرة تضيع من حيوية الامة وديناميتها فنجد موتشكيو والفزيو قراطيين فى القرن الثامن عشر يندون بالهجرة ويبينون مضارها ومساوئها ، فهم يرون ان عدد السكان الضخم هو من اسباب القوة الاقتصادية والسياسية والحربية لمختلف البلاد . وهنالك فريق ثاني وقف من الهجرة موقف الحياد فمالتوس فى كتابه لم يهاجمها وانما وجدها علاجا غير كاف لتضخم السكان وهو يذهب الى ان على الدولة فى مثل هذه الحالة ان تلزم الحياد وهنالك فريق اخير حبذ الهجرة ورحب بها كهوبزن وهوم وجورج رونار الذي قال بمناسبة الهجرة (ان البلاد التي تدفع بالفائض من سكانها الى المهجر تجني فوائد جمة ، اهمها ان الهجرة تحول دون المنازعات الاجتماعية وتشغل الناس عن التناحر تضمن دائرة ضيقة كما تقضي على التظاهرات التي يقوم بها العمال العاطلون عن العمل ، وتفسح امام من بقي المجال واسعا للمطالبة برفع الاجور وفى نفس الوقت تدفع باصحاب العمل على تجديد آلات معاملهم وتحسينها لزيادة الانتاج . هذا فضلا عن الاموال التي يرسلها المهاجرون الى اهلهم وذويهم او التي يعودون بها الى بلادهم ليصرفونها فى تحسين اراضيهم وتجميل بيوتهم وقراهم وكثيرا ما تكون المستعمرات فى الهجرة اسواقا رائجة لمنتوعات بلادهم وانتاجها) .

وبعد هذا العرض لآراء بعض العلماء الاجتماعيين فى موضوع الهجرة يتعين علينا ان نتساءل عن اسباب الهجرة واشكالها .

فالهجرة فى الواقع هي تحقيق لقانون التوازن الطبيعي فى توزيع البشر على المناطق المختلفة من سطح الارض من تم يمكن ارجاع اسباب الهجرة الى :

1) **سبب طبيعي :** اي تلبية لدافع الحركة كدافع الجوع ودافع العطش ودافع الجنس الخ . . .

2) **سبب اجتماعي :** وهو متعدد المظاهر متنوع الجوانب فالحروب والانعزالات الدينية والهرب من الاضطهاد كلها مظاهر اجتماعية تنشأ عنها هجرات منتظمة او مبعثرة ، فالفتوحات الاسلامية الاولى كانت بمثابة تغيير للوضع الديمغرافي الذي عرفه الشرق الادنى والاوسط فى القرن السادس الميلادي اذ اعقبها ورافقها تنقلات هامة للقبائل والجماعات الجنسية . ونحن هنا فى المغرب عرفنا منذ ذلك الوقت تغييرا جذريا ابتدا مع الفتح العربي واستمر مع هجرة القبائل العربية فى القرن الرابع عشر (بنو سليم وبنو هلال)

وان الشرق الاوسط يعطينا احسن الامثلة عن الهجرات التي تقع تحت دوافع دينية محضة . فهذه المنطقة التي عرفت ظهور مختلف الديانات والمذاهب والطوائف والنزعات يتضح فيها التنازع منذ اقدم العصور بين مذهب قوي جديد ومذهب قديم مخالف له .

3) **سبب سياسي** : وهو ناتج عن الخلافات بين الامم او عن سوء الاوضاع الداخلية والاضطهاد السياسي والعنصري واخيرا عن اتفاق بين بلد وآخر على تبادل الاجناس والاقليات (هجرة الروس البيض) ، تبادل السكان بين دول البلقان وهجرة الجزائريين الى المغرب ثم عودتهم الى الجزائر .

4) **سبب اقتصادي** : وهذا السبب يختلف عن سابقيه بان الهجرة الناشئة عنه تكون بصفة عامة حرة موقتة ومضبوطة في الغالب من طرف الدول المهاجر منها واليها وعادة فان العمال الذين هم قوام هذه الهجرة تغريهم نسبة الاجور المرتفعة طبقا للمباديء الميركانتيلية .

ان هذه الاسباب الاربعة تسمح لنا باستخلاص شكلي الهجرة ، الشكل الاول هو الهجرة الحرة وذلك عندما يكون الانسان غير راض عن وضعه ومركزه الاجتماعي او له راي يغاير راي المجتمع الذي يعيش فيه او يضع امامه تحقيق امنية ما الخ ... والشكل الثاني هو الهجرة القسرية التي يمكن ان نجد مثالا عليها في عمليات جلب العبيد من افريقيا .

واذا كان السؤال الموضوع هو : هل الهجرة مفيدة او مضرة ؟ فلا شك ان الامر يقتضي قبل كل شيء توضيح شيء هام وهو ديمومة الهجرة اي هل هي موقتة او دائمة ؟

فالهجرة الدائمة هي عادة وخيمة النتائج اذ تفقد البلاد المهاجر منها عنصر الشباب المنتج الفعال وبذلك تزيد نسبة الشيوخ والنساء فيها . اما فيما يخص الهجرة القصيرة الامد والحديثة فهذا النوع اصبح بمثابة عملية تجارية تقدم عليها الدول المتخلفة او الضعيفة التصنيع وفق تصميمات واتفاقيات تعقد مع البلد الذي سيستقبل المهاجرين . وهكذا اصبحنا نرى بلدا كايطاليا او اسبانيا يعقد اتفاقيات مع بلدان اخرى كامريكا الجنوبية وفرنسا لتصدير اليد العاملة بصفة موقتة قصد العمل في مواسم قطف العنب وحصاد القمح مثلا . ولو كانت الهجرة على غير هذا المستوى من المنفعة لما راينا بلدانا تتزاحم وتتنافس على تشغيل ابنائها في الخارج ولما راينا بلدانا اخرى تحد وتمنع الهجرة اليها كالولايات المتحدة ونيوزلندا وجنوب افريقيا لكي تحمي عمالها من المنافسة الخارجية .

فالهجرة الموقتة كما راينا تنظمها مختلف الدول للفوائد المتعددة التي نذكر بعضها :

1) **التخفيف من وطاة البطالة** وخصوصا في بلد فتي تزداد فيه نسبة المحتاجين الى العمل سنة بعد سنة بشكل متزايد .

2) **تلافي المشاكل الاجتماعية الناتجة عن تزايد عدد العاطلين** التناحر ، البؤس ، ضعف القوة الشرائية، تزايد الجرائم (قيل ان الفراغ يجعل الانسان يرتكب كل شيء) .

3) **ادخال العملات الاجنبية الى البلاد المهاجر منها** وذلك لان هؤلاء يرسلون الاعانات والاموال الى عائلاتهم (نصف ميزانية لبنان يرسلها المهاجرون اللبنانيون الى ذويهم) .

4) **حصول المهاجرون على الخبرة الفنية** لانهم ينخرطون في اعمال يتعلمون فيها ويتدربون ويمكن ان تستفيد منهم الصناعات الوطنية بعد رجوعهم الى مساقط راسهم .

5) **تقوية الثقافة التي يحملها المهاجرون** الى البلدان التي يهاجرون اليها ، (هجرة الاوروبيين الى افريقيا مثلا جعلت بعض الدول في افريقيا تقتبس كثيرا من حضارات تلك الاقلية الراقية ، وهذا العامل في الحقيقة نسبي كما حصل بالنسبة للرومان عندما احتلوا بلاد اليونان .

فجميع هذه المحاسن للهجرة قد جلبت انظار كثير من الشعوب المتخلفة الى فوائد تصدير اليد العاملة ولكنها مع ذلك كانت تقابل تلك الفوائد بالمحاذير التي يمكن ان تنشأ عن عزل مجموعة وطنية عن مجتمعها وجعلها في نطاق تأثيرات اجنبية بصفة مباشرة . ولذلك حرصت شيئا فشيئا على تمكين مواطنيها في مهاجرهم من الاتصال الدائم بثقافتهم القومية وشعورهم الوطني عن طريق القنصليات والنوادي والتزاور وتأسيس المدارس التي تعلم ابناء العمال واستقبالهم اثناء عطلهم الصيفية وكل ذلك يجعل الهجرة الاقتصادية الموقتة في خدمة البلاد لا وبالا عليها ويجعل المهاجرين على استعداد للاندماج في مجتمعهم مرة اخرى .

الرباط : فاطمة التهامي

دور الحرب العالمية الثانية في تحرير نساء الشرق الأدنى

للأستاذ محمد بهيم

روت لي فقيدة الادب « مي » ان قاسم امين اراد اهداء كتابه « تحرير المراة » الى الخديوي عباس فابى عليه الخديو ذلك خشية ان يساهم معه في اثارة الراي العام .

فالراي العام الاسلامي كان وقتئذ حريصا على ان تلزم المراة خدرها وتحتفظ بحجابها ، وان تبقى متمسكة بتقاليد بلادها وعاداتها .

حقا ان نضوج التمدن الحديث في عهدي اسماعيل باشا (1830 – 1895) وعبد الحميد الثاني (1876 – 1909) وما رافق ذلك من نشاط الحركة النسائية في اوروبا وامريكا كانا قد حملا هذين العاهلين على مسايرة الزمن في امور كثيرة ، وفي عدادها ادخال تعليم البنات في برامجهما الاصلاحية ، الا ان احدا منهما لم يفكر في تحرير النساء على نحو ما دعا اليه قاسم امين وسائر انصار المراة

غير ان انتشار المدارس الاجنبية في الشرق الادنى ، ونزول الاجانب في حواضره على نطاق واسع وما خلف ذلك من اقبال الطلاب والطالبات على هذه المدارس ناهيك باختلاط المواطنين بالاجانب كل ذلك كان له التأثير الكبير على اهل هذا الشرق رغم محاولات السلطان عبد الحميد في بقاء المراة محافظة على خدرها وعاداتها .

ولما وقع الانقلاب العثماني (1908) واستبدت جمعية الاتحاد والترقي بالحكم في استامبول تطور الموقف بالنسبة للمراة . فالاتحاديون اصحاب الانقلاب كانوا قد عاشوا في اوروبا ، وايقنوا ، من جراء احتكاكهم باهلها ، ان الاصلاح في الشرق يجب ان يبدا بتحرير المراة .

غير ان نفوذهم في هذه الناحية الحساسة ظل، في اول الامر محدودا ، حتى اذا ما شبت الحرب العالمية الاولى (1914 – 1918) وتمتعوا بحرية التصرف المطلق عمدوا الى تطبيق سياستهم التحريرية ، وكان في عدادها تحرير المراة ، ولا سيما في البلاد العربية – العثمانية .

وكان لهم مارب آخر في هذا التحرير يتصل بسياستهم الرامية الى تتريك العناصر على اعتبار ان المراة الام هي المربية الاولى . وكان بعض الاجانب ، عندما نشبت هذه الحرب ، قد عمدوا في بلاد الشام الى اقفال مدارسهم فوجد الاتحاديون بذلك فرصة مواتية لتطبيق برامجهم ، فاوفدوا الى سوريا اديبتهم الكبيرة خالدة اديب وذلك بالاتفاق مع جمال باشا ، احد اركانهم ، الذي عين في العام الاول من الحرب ، قائدا عاما للجيش الرابع في سوريا مطلق (الصلاحية) في الشؤون الحربية والادارية . وبعد ان درست هذه السيدة الامور التي عهد بها اليها عادت الى استامبول ، ثم لم تلبث الا قليلا حتى قفلت راجعة الى بلاد الشام مصحوبة ببعض المعلمات التركيات ، وعلى رأسهن شقيقتها الاديبة المعروفة نيكار عثمان خانم .

وكانت الحكومة قد صادرت الكليات والمدارس الاجنبية المقفلة فسلمتها الى هذه البعثة ، واغدقت عليها الاموال ، ومنحت خالدة اديب وشقيقتها نفوذا كبيرا الى حد انهما كانتا تستطيعان الحصول على اعفاء من تشاءان من الخدمة العسكرية .

وكان من نصيب البعثة في بيروت احتلال دير الناصرة ومدرسة البنات الفرنسية وقسم من كلية الآباء اليسوعيين المعروفة بالقديس يوسف .

وقد اقبلت الاوساط الشعبية على هذه المدارس التركية ايما اقبال ، بيد ان العائلات الاخرى البيروتية، ولا سيما الارستوقراطية منها ، قابلتها بالانكماش ، ذلك بان هذه الاسر كانت ، بالاضافة الى عروبة مبادئهـا ، قليلة العناية باللغة التركية ، وترى فى الاعمال التجارية المجدية غنى عن الوظائف الحكومية ، خلافا لسـائـر البلاد العربيـة .

على ان المدارس هذه كانت ، فى الواقـع ، مصدر نفع ثقافي مرموق فى بلاد الشام . وكانت فى نفس الوقت مفيدة للسلطة من حيث نشر اللغة التركية وتاليـف القلوب حول الاتراك . بيد أن الناس ، على وجه عـام ، كانوا يأخذون عليها تلك الحرية الواسعة التي انتشرت فى رحابها على غير المالوف وقتئذ فى بـلاد العرب ، ولا سيما من حيث اقامة الحفلات المختلطة بين الجنسين ، والرقص المشترك ، وما كان يرافق ذلك من الافراط فى التبرج والخلاعة ، وكانوا يأخـذون على طالبات هـذه المدارس تصرفات كانت لا تتفق حينئذ مع تقاليد البلاد مردها الى الانتقال فجـاة ودون استعداد من نطـاق المحافظـة الى مستوى الحياة البيزنطية الرائجـة فى عاصمة السلطنـة .

اما والناس على دين ملوكهم فان تاثير الاتحاديين، من حيث انطلاق المراة ، لم يقتصر على هذه المـدارس فحسب ، بل لم يلبث ان تعداها الى العائلات المحافظة فى بلاد الشام عامة وفى بيروت خاصـة حيث انكمشت تلك الاسر عن مدارس الحكومة . فقد اخذت المراة على وجه عام تقلد مديرات هذه المدارس فى الازياء والتبرج وفى تصفيف الشعر وربطات الراس . وراجت هـذه الربطات ، وكان يطلق عليها اسم نيكارة نسبة لنيكـار خانم المشار اليها . كما ان المسلمات اخذن ازرهن على نمط أزر نسـاء البعثـة التركيـة .

ومن حسن الحظ ان التطور الذي اصاب بـلاد الشام خلال الحرب لم يقف عند حد الازياء والمظاهر ، بل تعداه الى الجوهر : الى نواح اخرى مفيدة . وهنـا مجال للتنويه بعزمي بك والي ولاية بيروت ، تلك الولاية التي كانت تمتد من تخوم اسكندرونة الى متصرفيـة القدس . فقد كان هذا الوالي مخلصا فى تحرير المراة المسلمة وراغبا فى رفعها الى مستوى غيرها من المواطنات . وكان الى جانب حرصه على توثيق الصداقات مع اعيان البلاد لا يفتر يثير حماس هؤلاء لاشراك المراة فى الاعمال الاجتماعية . وقد اصاب نجاحا مرموقا حينما حملهم فى بيروت على انشاء ناد للفتاة المسلمة ، وكان اول نـاد من نوعه . فاذا بفتياتنا اللواتي كن بالامس على عزلـة تامة عن الهيئة الاجتماعية يبرزن الى الميدان : يعقدن الاجتماعات فى النادي ، ويحيين فيه الحفلات الادبيـة لسماع مشاهير الادباء والعلماء ، واذا بنشاطهن يتعدى النادي الى نطـاق انشاء مدرسة مجانيـة لتعليـم الفقيرات . وكـان اعضـاء النادي يتولين بانفسهـن ادارتها واعطاء الدروس فيهـا .

واكثر من ذلك فان عزمي بك استطـاع اقنـاع الاسر الكبرى من كل الطوائف بوجوب مبادرة سيدات البلد الى العمل لتخفيف حدة الضائقة التي اشتـدت بسبب الحرب فاذا بنا نراهن ، يخففن نشيطات الـى ادارة المؤسـسات الخيرية ويشرفن على دور الصنائع ، وعلى المطاعم المجانية ، وعلى المياتم وغيرها ، ويرعيـن بصورة خاصـة نسـاء المجندين . وفى السنة الثالثة مـن الحرب عين القائد فالكنهاين الالمانـي قائـدا للجيش الرابع مكان جمال باشا ، فما راق لـه ذلك التبذيـر والبطر اللذين انغمس فيهمـا القيمـات على مـدارس البعثة النسـائية التركية فى بلاد الشام فامر باعادتهـن الى استامبول ، واغلق تلك المدارس .

وكان مرد استبدال فالكنهاين بجمال باشا يرجع الى فشل سياسة الاتحاديين فى البلاد العربيـة سواء أكان ذلك فى الناحية العسكرية ، ام فى الناحيـة الاجتماعية ، ذلك لان جمال باشا كان قد اضاف الـى فشله فى حملة قناة السويس فشلا آخر بتنفيرة حتى الموالين للسلطنة من العـرب من جـراء اعـدام بعض احرارهم وتجويع لبنان . غير ان الاتحاديين استطاعوا ان يتركوا مأثرة واحدة فى بلاد الشام ، واعني بها فتحهم الباب على مصراعيه امام المراة للتحرر من التقاليـد الاجتماعية البالية التي كانت تحول بينها وبين ممارسة واجباتها الانسانية . هذا فضلا عن تنشيطهم الفتيـات الى المزيد من الاقبال على طلب العلـم .

حقا ان الرغبة فى تعليم الفتيات قبل تلك الحرب كانت قد برزت فى اكثر البلاد العربية ، على درجـات بينها ، ولكن المحاولات التي قام بها الاتحاديون خـلال الحرب فى صدد تحرير المراة كانت قـد زودت هـذه الرغبة بكثير من النشاط ، ولا سيما عند المسلمين . فقد طغت على فتياتنا وقتئذ موجـة من حب العلـم رافقتها نزعة تباه به حتى صرن اذا خرجن من بيوتهن يتابطن الكتب المدرسية وهن رافعـات الرأس بهـا ، ويجربن أن يعرضن بها امام الانظار .

ورافق هذا الاقبال على طلب العلم عند الفتيات تطور فى الافكار والتقاليد ، واعتماد كثير على النفس : فالفتاة المسلمة التي لم يكن يسمح لها من قبل مبارحة دارها وحيدة ، ولا يطلب منها الاشتراك مع والديها فى اداء الواجبات الاجتماعية انقلبت ، من بعد ، الى فتاة جريئة تشعر بوجودها ، وتشعر بالتالي بالتبعات الاجتماعية الملقاة على عاتقها . فاذا بنا نراها تعمل لحاضرها وتعمل لمستقبلها ، وتزور رفيقاتها وتستقبل ، وتهنيء وتعزي ، وتشهد الحفلات ، وتشترك فى الجمعيات ، وتعتلي المنابر ، وتساهم فى تحرير الصحف .

ولاول مرة فى التاريخ الحديث رأينا ، خلال تلك الحرب ، فتاة مسلمة تشغل وظيفة فى الحكومة . كانت موظفة فى دائرة البريد لاستقبال الرسائل محتفظة بحجابها . وكانت هذه الفتاة ترفع البرقع وتلقيه على راسها خلال ممارسة عملها فى الادارة ، ولكنها كانت تعود الى ستر وجهها حينما تخرج الى الطريق العام .

ولاول مرة فى التاريخ الحديث سرنا نشاهد بعض النساء ، خصوصا اللواتي تجند رجالهن ، يعتمدن على انفسهن لتامين معاش عيلهن . وكان بعضهن ، ابان المجاعة التي تفاقمت فى لبنان ، يتحملن مشقات السفر الى داخل البلاد لجلب كميات صغيرة من الحبوب يتاجرن بها ويستعن بارباحها على مغالبة الموت .

ثم انتهت الحرب العالمية الاولى ، ولكن تاثيرها على المراة لم ينته . فاذا بها من بعد ، فتاة ومتزوجة ، تخرج من سجنها الى معترك الحياة معتمدة على نفسها شاعرة بشخصيتها فتشارك المجتمع فى الواجبات ، وتؤلف الجمعيات ، وتنشيء النوادي ، وتقيم المعارض ، وتصدر المجلات ، وتخدم المياتم ، وهي الى ذلك تطالب بحقوقها وتباشر الاعمال بنفسها فكانت الحرب بذلك نقطة الانطلاق للمراة .

وكانت ، دون غيرها من الحروب السابقة ، حجرا اساسيا لما شيدته المراة العربية فى الشرق الادنى من مكانة اجتماعية على قدم المساواة مع الرجل .

بيروت : محمد جميل بيهم



تقارب المسيحية واليهودية

للاستاذ : الفاتحي النجاري

ان من اهم الاحداث التي وقعت في آخر السنة المنصرمة 1963 زيارة قداسة البابا للبقاع المقدسة ، بيت المقدس وبيت لحم والاماكن التي كانت منبعا للاشعاع الروحي والرسالة الالهية التي اشرقت على البشرية .

ورغما عن التصريحات المتوالية للكنيسة الكتوليكية ولقداسة البابا نفسه التي مفادها ان هذه الرحلة ليس القصد منها الا الحج والوقوف على الاماكن التي انبعثت منها المسيحية فقد اسفرت هذه الرحلة عن اهمية عظمى خصوصا في الظروف التي تعيش فيها والمرحلة الحاسمة التي تقطعها المسيحية عموما والكنيسة الرومانية خصوصا .

فانه ينبغي ان لا يفوتنا ان فكرة هذا الحج لم تأت عبثا بل اعلن عنها البابا بولس السادس في ظروف خاصة عند ختام المجمع السادس للاساقفة الذي ينظر في مسائل العقيدة ومسايرتها للزمان اعني بذلك الجلسة الختامية لما يسمى « بالكنسيل الثاني » حيث ان البابا السابق يوحنا الثالث والعشرون هو الذي اراد ان يخطو بالكتوليكية خطوات كبيرة ومهمة بجمعه « للكنسيل الاول » لما تولى منصب رئاسة الكنيسة . لكن المنية اختطفته قبل انتهاء اعمال ذلك المجمع .

وقد يطول بنا الكلام لو اردنا ان نلم بجوانب هذا المجمع وما له من اهمية ولقراراته من عواقب ذات المدى البعيد لذلك سنكتفي بالاشارة الى بعض الجوانب التي تبين مغزى هذه الرحلة التاريخية البابوية للديار المقدسة وما تسفر عنه من عواقب .

نعم ان قداسة البابا قام بالحج والوقوف على الاماكن التي كانت منبعا للمسيحية والتي ولد فيها عيسى عليه السلام وترعرع بها واوحي عليه بالانجيل فيها ، لكن تلك الرحلة لم تتيسر لمن تولى من قبله رئاسة الكنيسة الرومانية لعدة عوامل دينية ومسيحية وسياسية سنبينها من بعد بايجاز .

وعلى كل حال فالذي تجلى بالخصوص من هذه الزيارة اكثر من غيره هو تقارب المسيحية واليهودية اذ هذه الزيارة في الحقيقة تتويج للمساعي والمجهودات التي سعى اليها بعض اليهود والمسيحيين للتقارب بين الديانتين والقضاء على كل شيء من شأنه ان يعكر الجو بينهما ولو ادى ذلك الى تغيير في النصوص او العقيدة . فكيف حصل هذا التقارب وما هي العوامل التي دفعت قداسة البابا بول السادس ان يفاجيء ارباب الكنيسة بتصريحه لهم بعزمه على القيام بتلك الزيارة للاراضي المقدسة ؟ ولكي تظهر خطورة واهمية هذا القرار المفاجيء الذي لم يكن ينتظر ، ينبغي ان لا يفوتنا ان محاولات ومساعي قد اتخذت من طرف بعض اليهود والنصارى في هذه المدة الاخيرة لتحقيق هذا التقارب اذ كان التنافر ظاهرا قبل هذا بين الديانتين .

المسيحية واليهودية قبل الحرب العالمية الثانية :

لقد اجمع اهل الكنيسة والكتاب الغربيون ، الذين اهتموا بتاريخ الديانات بان لليهود مسؤولية عظمى ان لم يكونوا هم المسؤولين الاولين عن قتل المسيح عليه السلام (اذ من الخلافات التي بين المسلمين وبين المسيحيين انهم يقولون بقتل المسيح بيد ان القرآن الكريم يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ») .

لكن الذي يهمنا هنا هو نسب هذا القتل المزعوم لليهود فالقسيس «بوسوي» Bossuet والمؤرخ الشهير الملحد

« رونـــان » « Renan » يتفقان في هذا الباب فالاول يصرح في القرن السابع عشر في هذا الصدد بفصاحته المعهودة وقوة تعبيره : « وكانت اكبر جناية قد اقترفت: الى حد الساعة غير متوقعة اعني قتل عيسى ، الامر الذي ادى الى انتقام لم ير العالم من قبل مثله ، ووباله من سخط الاله المروع المخيف الذي يقضي على كل ما يصيب » لم يكن يريد القضاء على سكان بيت المقدس فحسب بل اراد معاقبة سائر اليهود » .

اما المؤرخ المتشكك التقدمي النقاد الملحد «رونان» فانه قد اكتفى بتقديم مسؤولية اليهود في هذا القتل المزعوم بدون تطرف او حماس حيث قال : « ولم يحكم اذن على عيسى ؛ « تيبير » Tibère ولا « بيلات » Pilate ؛ لكن حكم عليه حزب اليهود العتيق : قانون موسى . ولا نقول اليوم بتوارث الذنوب من الاب للابن: فلا يحاسب المرء امام العدالة الانسانية ولا الالهية الا على ما قدمت يداه فكل يهودي يعذب الى حد الآن من جراء قتل عيسى ، له الحق ان يشتكي من ذلك وتسمع شكواه . اذ انه من الممكن ان يكون موقفه كموقف شمعون السريني Simon le Cyrénéen او على الاقل لم يكن من بين اولئك الذين كانوا يصيحون « صلبوه » . ثم يزيد رونان Renan قائلا مفسرا لهذا الامر : « ان للامم مسؤولية كما للاشخاص . واذا ما عادت جريمة على الامة باسرها ؛ فتكون تلك الجريمة هي قتل عيسى مع ان قتلها لعيسى كان قتلا شرعيا لانه كان بناء على قانون الشريعة الاسرائيلية على حد تعبيرهم ، التي كانت هي روح تلك الامة الاسرائيلية فلقد اراد المسيح عيسى ابن مريم ان يبدل ويغير دين اليهود الذي كانوا متمسكين به لذلك يقول « رونان » Renan بكل صراحة ان اليهود يقولون : « لنا شريعة وبناء على هذه الشريعة يجب ان يقتل عيسى لانه ادعى انه ابن الله » .

فقد يتضح من هذين القولين الاجماع على فكرة عدم اعتراف اليهود بالمسيح ، وخيانة شعبهم له « وقولهم على مريم بهتانا عظيما » ولهذا فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله .

وقد تمتد حملة هتلير Hitler ضد اليهود بعروقها الى هذه الفكرة الدينية . فلقد صرح هتلير سنة 1934 لممثل الكنيسة الالمانية لما اقتبله ان سياسته المعادية للساميين انما تقتدي بتعاليم الكنيسة ، حيث قال لهم : « اهاجم لمعاملتي اليهود لكن الكنيسة قد اعتبرتهم منذ الف سنة كاشخاص لا خلق لهم .. وانا بدوري اعتبر هذا الجنس مضرا بالدولة وبالكنيسة في نفس الوقت ولذلك اظن انني بعملي هذا اؤدي اكبر عمل للمسيحية ... »

وبعد ، فامام هذا الاضطهاد القاسي استيقظت بعض الضمائر المسيحية واشمازت من هذه المعاملة القاسية . ومن تم بدات تتحول شيئا فشيئا الكراهية والخصومة التقليدية التي امتازت بها علاقة المسيحية باليهودية خلال احقاب التاريخ الى نوع من العطف على المضطهدين اليهود والتضامن معهم فيما يقاسونه من تنكيل وتعذيب .

ومن بوادر هذا التقارب مثلا ماكان فاه به قداسة البابا بيس الثاني عشر Pie XII الذي يتهمه اليهود مع ذلك بالكراهية لهم : « اننا ننتسب الى الساميين من الناحية الروحية » .

المسيحية واليهودية بعد الحرب العالمية الثانية :

لكن هذا التقارب والانقلاب في علاقات المسيحية باليهودية سيتجلى بوضوح بعد الحرب العالمية الثانية اثناء المؤتمر الدولي فوق العادة للمسيحية واليهودية الذي انعقد سنة 1947 بمدينة سيليسبيرك Seelisberg بسويسرة . وقد انعقد هذا المؤتمر تحت رئاسة الاب كليست لوبينو Calliste Lopinot المبعوث من روما لكن الداعية لهذا الجمع ومنظمه هو المؤرخ المعاصر الفرنسي اليهودي جول اسحاق Jules Isaac الذي استطاع ان يتخلص من الاضطهاد النازي بعد قتل عائلته من طرف الالمان .

فمن هو هذا الرجل الذي استطاع ان يقلب الاحوال وان يبدل التنافر بالتقارب بين المسيحية واليهودية ؟ من هو هذا اليهودي الذي كان سبب هذا الانقلاب العظيم في العقيدة والديانة المسيحية ؟

فالمؤرخ اسحاق جول هو ابن اسرة يهودية عريقة ، متشبثة بديانتها وعوائدها وقاطنة بفرنسا منذ زمان بعيد . وقد كان كل من جده وابيه ضابطا في الجيش الفرنسي . اما جول اسحاق فقد كان طالبا بمدرسة الاساتذة العليا التي تخرج منها جل المفكرين والعباقرة بفرنسا ثم بعد ان درس تولى منصب مفتش عام للتعليم بوزارة التهذيب الوطني . وقد كان يراس سنة 1939 لجنة مباراة التبريز في التاريخ . وقد الف عدة كتب في التاريخ مع استاذ آخر اسمه مالي Mallet واثر الحكم الالماني النازي

جرد الاستاذ اسحاق من جميع مناصبه بالجامعة وطرد منها .

وقد اشتهر خصوصا بالكتب التي سعى فيها بالدفاع عن اليهود محاولا تبرئتهم من قتل المسيح وابراز دورهم وحق الاسبقية الذي يتمتعون به في وحي التوحيد فبتأليفه «عيسى واسرائيل» « Jésus et Israël » استطاع ان يظهر الحقائق وان يصلح التعاليم المسيحية فيما يتعلق باليهود . وفي سنة 1956 ساهم بكتاب آخر عنوانه « نشوء العداء للساميين » « La genèse et l'antisémitisme » واخيرا قد نشر هذا المؤرخ اليهودي قبل وفاته سنة 1962 كتابا آخر في نفس الموضوع عنوانه « تعاليم الازدراء » « L'enseignement du mépris » تلك هي ترجمة موجزة لجول اسحاق الذي سعى بكل ماله من قوة ان يصلح التعاليم المسيحية التي كانت في نظره تعتمد على اغلاط تاريخية وعلى جهل « التوراة » و « الانجيل » .

والذي يظهر ان هذه الفكرة التي يؤمن بها الاستاذ جول ويدافع عنها بكل ما اتى من قوة هي التي دفعت قداسة البابا بولس السادس بالقيام بهذه الزيارة الى الاماكن المقدسة التي نشأ بها المسيح عليه السلام ، تلك الزيارة التي لم تكن بالامس القريب ممكنة والتي تحدى بها قداسته الكنيسة . فقد اراد البابا بزيارته هذه ان يحيي الصلة مع اسس المسيحية اليهودية تلك الصلة التي كان كثيرا من اسلافه يجتهدون في قطعها .

ومن مظاهر ذلك التنافر تلك المحاولة التي كانت ترمي الى ان عيسى عليه السلام ، لم يكن من اصل يهودي بل غليلي (Galiléen) من غليلية التي عاش بها عدة اجناس متساكنة . فمن هناك يستنبطون ان عيسى كان يغلب عليه الدم الارياني (Aryen)

والكل يعلم ان الديانة المسيحية هي وليدة الديانة الاسرائيلية وان عيسى عليه السلام والحواريين كانوا من اصل يهودي .

وقد تتجلى بوضوح اكبر نتائج هذا التقارب بين الديانتين — التي تتعدى على كل حال موقف تسامح الديانة المسيحية ازاء اليهودية ذلك التسامح الذي كان يقوى ويضعف مع احقاب التاريخ اذ لم يكن اضطهاد اليهود رغما عن هذا كله مستمرا كما يمكن ان يتصور من خلال ما ذكرنا من قبل ، بل كانت تتخلله فترات تسامح وتساكن سلمي — في التعديل الذي ادخل على صلوات « الجمعة المقدسة » فقد سامح بيس الثاني عشر بترجمة عبارات « مكر اليهودية وخداعها » « واليهود الماكرون الخادعون » ترجمة اقل مسا باليهود .

وفي سنة 1958 حذف قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرون عبارة « المكر والخداع » من تلك الصلوات حتى لا يبقى اليهود موصوفين بتلك الصفة غير المشرفة لهم . كما انه حذف سنة 1959 جملة كاملة في دعاء للمسيح تتلخص في ما معناه :

« ارحم ابناء هذا الشعب الذي كنت فضلته على العالمين . وانزل عليهم مغفرة وعفوا عن ذلك الدم الذي باهراقه استحقوا سخطك وغضبك » .

واكثر من هذا فان قداسة البابا بول السادس استدعى ملاحظا اسرائيليا لتتبع اعمال مجمع الاساقفة كما انه اقترح في الدورة الثانية لهذا المجمع ان ترسم الخطوط الرئيسية لتحديد موقف المسيحية من جديد ازاء اليهودية . وبرحلته للشرق سيساعد قداسة البابا لا محالة في التعجيل بهذا التطور في العلاقات بين الديانتين . فان سفره هذا سيعين بالخصوص على القضاء على تلك الافكار التي منذ ازيد من تسعة عشر قرن كانت تقرن اليهودية بغضب الله وسخطه وذله .

ولقد رأى الاسقف الالماني بيا Bea ان الوقت قد حان للكنيسة ان تصرح ان مسؤولية قتل المسيح ، وتعذيبه ليست على عاتق الاسرائليين وحدهم بل على عاتق سائر الشعوب . وقبل ان يتخذ المجمع قراره في هذا الموضوع سبقه قداسة البابا برحلته هذه .

وعلى كل حال فان كان من مقاصد هذه الرحلة الحج الى الاماكن المقدسة والوقوف على الاماكن التي نشأ فيها عيسى عليه السلام وكانت منبعا للديانة المسيحية فانها تهدف كذلك الى التقرب من الديانة اليهودية كما بينا ذلك والى السعي في جمع اشتات المسيحيين ووحدتهم وقد تجلت هذه الظاهرة في مقابلة البابا بول السادس ورئيس الكنيسة الارثدوكسية اتينا غوراس .

وما زيارة شقيق قداسة البابا جورج مونتيني العضو في مجلس الشيوخ اخيرا الى اسرائيل الا مظهرا آخر للتقارب بين المسيحية واليهودية . فهل سيسفر هذا التقارب عن اعتراف « الفاتيكان » باسرائيل ؟ ذلك ما سيكشف عليه المستقبل القريب .

وعلى كل حال فزيارة قداسة البابا قد اتاحت له كذلك ان يزور شعب مسلم بالاردن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا يفرق بين احد من رسله .

الرباط : الفاتحي النجاري

ديبلوماسية بسمارك

للمؤرخ : بيير رونفن
ترجمة الاستاذ : عبد الحق بنيس

-3-

نهاية اوروبا البيسماركية

عجل سقوط بيسمارك في 18 مارس 1890 بوقوع الازمة ، فعلى الفور تخلت الحكومة الالمانية عن الاحتفاظ بعلاقة سرية مع روسيا ، وعدلت عن الطابع المميز لسياسة بيسمارك . ومنذ الآن اخذ يلوح في الافق ذلك الحادث الذي عمل بيسمارك على تفاديه ، ويمكن القول بانه نجح في تجنبه ردحا من الزمان : ذلك ان روسيا ، بمجرد ما شعرت بعزلتها اتجهت بتفكيرها الى التحالف مع فرنسا . وتلكم علامة تبدل عميق في العلاقات الدولية باوروبا . فكيف نوضح ذلك وما السبيل الى قياس قيمته ؟

لقد كانت استقالة المستشار مخرجا من نزاع مع الامبراطور الشاب غليوم الثاني . واحتلت عوامل الحياة الخاصة مكانة بارزة في هذا النزاع . وليس غريبا ان يصبح التفاهم عسيرا بين وزير يبلغ من العمر سبعين سنة وبين عاهل لا يتجاوز سنه السابعة والعشرين ، بل ومن الطبيعي ان يحدث اكثر من هذا لما يكون الملك طموحا وحريصا على اقامة « ملك عظيم » ثم ياتي مستشار اعتاد على السيطرة ويعترض طريقه . قال بيسمارك ذات يوم للامبراطور : « اشعر بانني عقبة في طريق جلالتكم » . وصادف ان كانت السياسة الداخلية مرتطمة بعدة مصاعب : فالمستشار الذي خاض كفاحا مريرا ضد الاشتراكية والحركة النقابية لم يرد ان يتراجع عن هذه الخطة بالرغم من انه لم يحصل الا على نتائج تافهة في هذا الشان ، وهكذا ظل بيسمارك موطد العزم على اعتبار هذه المسالة « نقطة استناد » له في الحملة الانتخابية التي قام بها بقصد تجديد مجلس الريخشتاغ (المجلس النيابي) . اما الامبراطور فقد خشي المعارضات ولم يرد ان يدشن ملكه بموقف مناوىء للجماهير العمالية ، وبتدابير قد تؤدي الى اضطرابات دموية .

بيد ان الخلافات سرعان ما ظهرت كذلك حول اتجاه السياسة الخارجية ، فقد اعار غليوم الثاني آذانا صاغية الى الانتقادات التي ما فتئت الاوساط العسكرية ، وخاصة الجنرال فون والديرسي (Von Waldersee) توجهها للسياسة الروسية التي انتهجها بيسمارك واتت هذه الانتقادات كذلك من الاوساط البيروقراطية في وزارة الخارجية حيث صار مساعدو المستشار بالامس ينفضون من حول استاذ افل نجمه . ان هؤلاء الخصوم ، في السر او في العلن ، اعتقدوا ان لافائدة من وراء المحاباة التي ما انفك المستشار يخص بها روسيا ، وان ليس من الحذر التقيد بالالتزامات الواردة في معاهدة نقض التاكيد بدون علم النمسا ـ هونغاريا ، بل فكر البعض في محافل اركان الحرب ان الوقت قد حان لاعلان الحرب على روسيا « قبل ان تعمد في القريب الى تنمية قواتها العسكرية » . الا ان بيسمارك في سنة 1888 استطاع ان يكافح هذه الآراء وكتب في ذلك تقريرين قويين . قال : سوف لايكون للحرب من معنى ان لم نكن قادرين على « تفتيت روسيا بصورة نهائية » . ولكن هذه الحالة غير موجودة اذ من المستحيل تحطيم وسائل الكفاح عند العدو تحطيما كاملا ، بسبب اتساع رقعة اراضيه . ولنفرض اننا قطعنا اوصال امبراطورية القياصرة « فان الاجزاء سوف تتراب من جديد وبسرعة » . وكيف لا « وحيوية القومية الروسية » مرتكزة على اساس مكين . ويستنتج المستشار ان ليس بامكان المانيا « ازاحة الخطر الروسي من الوجود » .

ومع ذلك لم يستسلم خصوم سياسته بل اتهموه « بالانحياز لروسيا » ؛ وكانوا يتوهمون ان الحكومة الروسية عاكفة على اعداد العدة للحرب ضد المانيا واخذوا على بيسمارك جهله لهذا الاحتمال . فهذه الحادثة المرتبطة بهذه الحملة هي التي افسدت العلاقات بين الامبراطور والمستشار : ففي مارس 1890 وردت عدة تقارير من الملحق العسكري ومن القناصلة الالمان تشير الى تحركات الجيوش في روسيا ، واحتفظ بيسمارك بهذه المعلومات لنفسه ظنا منه انها عديمة الجدوى ؛ لكن الامبراطور احيط بها علما من قبل رئيس اركان الحرب العامة ، فكتب الى المستشار يقول : انه لايستطيع قبول هذا « الاخفاء » للوثائق .

بمجرد ما طلب غليوم الثاني من المستشار تقديم استقالته ، وبمجرد ما حصل الامبراطور على ذلك ، قام رجال « الحاشية الجديدة » فعدلوا عن الاتجاه السياسي لالمانيا فيما يخص روسيا . كان كابريفي (Caprivi) خلف بيسمارك جنرالا ممتازا ، واداريا محنكا ، لكن كان عديم الخبرة على الاطلاق ، في القضايا الخارجية ؛ فكان مساعدوه اذن هم الذين يسيرونه ، واخص بالذكر منهم البارون فريتز فون هولشتاين (Fritz von Holstein) الذي ما ان صار مستشارا قانونيا في وزارة الخارجية حتى اخذ يلعب دورا حاسما في توجيه السياسة الخارجية . وقد سبق لهولشتاين هذا ان كان لمدة خمس عشرة سنة من اولائك الذين ساعدوا بيسمارك في سياسته ، ومنذ سنة 1888 اصبح من اولائك الذين قارعوا المستشار الكبير واضروا به لدى العاهل . كان هولشتاين يعمل دون كلل وكان ذا خبرة مدهشة في القضايا الخارجية وصاحب دهاء في التفكير ، الا انه كان رجلا عقائديا .

لذلك اصبح تاثير هولشتاين بارزا في هذا « التحول » الذي اصاب السياسة الخارجية الالمانية ، اذ كان يعتقد ان لامناص من الضرب صفحا على معاهدة « تاكيد التاكيد » التي اعدها بيسمارك بقصد التجديد، طالما انها تتناقض ان لم تكن في نصها فعلى الاقل في روحها مع التحالف الالماني ــ النمساوي . وفي نظره ان وعد روسيا بالحياد ما هو الا اضغاث احلام ، ففي حالة نشوب حرب فرنسية المانية ، سوف لا يدوم هذا الحياد اكثر من بضعة اسابيع ، وعليه فبدلا من اقدام المانيا على « محاولات ديبلوماسية قد تصدق وقد لا تصدق » ينبغي سلوك سياسة « واضحة ومستقيمة » ، على حين ان الاحتفاظ بتعهد سري مع روسيا معناه « وضع فتيلة تحت التحالف الثلاثي بامكان روسيا ان تشعلها في كل حين » ويؤكد هولشتاين ان العدول عن معاهدة تاكيد التاكيد سوف لايجر الى اي محذور . فانى لحكومة القيصر ان تجد تأييدا لدى دولة من الدول ؟ هل تستطيع ان تجد هذا التاييد لدى انكلترا ؟ للوصول الى هذه الغاية كان على روسيا ان تضحي بمصالحها في آسيا الوسطى ، وهذا ما لايمكن ان تقبل به . لدى فرنسا ؟ ان التحالف الروسي ــ الفرنسي سوف لا يساعد روسيا على تسوية مسالة المضائق وهي النقطة الاساسية في سياستها : اذ ليس في استطاعة الاسطول الفرنسي ان يحول ، في مثل هذه الحال ، دون تدخل انكليزي . تلكم هي الحجج التي ادت بكابريفي وغليوم الثاني الى الاقتناع .

ولعل السبب الحقيقي ، هو الرغبة في قطع كل الصلات بالسياسة البيسماركية : فقد يحظى انصار « البيسماركية » ــ الامير او ابنه هربرت ــ بالعودة الى الحكم ، لو احتفظ ، كما يرى هولشتاين ، بمعاهدة « تاكيد التاكيد » .

سيحدد هذا القرار الالماني الذي اتخذ ــ بعد ترددات طويلة ــ الاتجاه الجديد الذي ستسلكه سياسة القيصر الخارجية . وان الضرورة تدعونا هنا الى دراسة مراحل هذا التطور الديبلوماسي الهام بشيء من التفصيل ، لان تعثرات السياسة الخارجية الروسية تطرح امام التحليل التاريخي مشاكل من الاهمية بمكان .

لم يكن القيصر واعوانه مستعدين ، حتى هذا التاريخ للسعي في التحالف مع فرنسا ، بالرغم من انهم باتوا يدركون تمام الادراك مدى الخدمات التي تسديها لهم السوق المالية الفرنسية : فقد كانوا لا ينظرون الى النظام الجمهوري الا بعين الازدراء ، وبالفعل وصفه جيبرس (*) بانه « سيء ومنحط » ؛ ثم انهم اخذوا ينظرون بعين الحذر الى النزعات « الثارية » التي تجلت في طبقة هامة من الراي العام الفرنسي ، الا ان عدول المانيا عن معاهدة « تاكيد التاكيد » ، قد حذا بهم الى تغيير زاوية نظرهم . نعم شعرت الحكومة الروسية بعزلتها وباتت مضطربة البال . اذن فالتقرب من فرنسا كان استجابة لضرورة من الضرورات .

* الوزير الاول في روسيا آنذاك (المترجم)

والواقع ان الاوساط الرسمية الروسية اخذت ، اثناء الاشهر التي عقبت تراجع السياسة الالمانية ، تقدم الاغراءات للحكومة الفرنسية . ففي غشت 1890، تاريخ حضور الجنرال دي باواديفر (De Boisdeffre) نائب اركان الحرب العامة الفرنسية ، في المناورات الكبرى للجيش الروسي ، صرح الضباط السامون الروس بقولهم : ان في استطاعة فرنسا ان تعتمد ، في حالة هجوم الماني عليها ، على مساعدة روسيا ، بل لمحوا تلميحا مبهما الى امكانية التفاوض حول اتفاق عسكري . وفي مارس 1891 تاريخ وصول ارملة الامبراطور فريدريك الثالث لباريز في زيارة متنكرة ، تلك الزيارة التي «اتسمت بالجراءة اكثر منها بالحكمة»، والتي اثارت في الصحافة الفرنسية تعاليق سيئة ، وردود عنيفة في الصحافة الالمانية ، في هذا التاريخ اظهرت الحكومة الروسية عطفها على فرنسا . وقد بدا لها « ان اقامة اتفاق صادق بين فرنسا وروسيا امر ضروري للمحافظة على رزانة عادلة للقوات في اوروبا » ثم ان تسليم صليب القديس اندريه الى رئيس الجمهورية قد دل على ان القيصر قادر على مكافحة اشمئزازه من النظام السياسي الفرنسي . ومع ذلك لم تصبح الحكومة الروسية مستعدة بعد للذهاب الى ابعد من تقديم تاكيدات شفوية مع اظهار عواطف المجاملة . فحينما حاول السفير الفرنسي مفاتحة الحكومة الروسية في مسالة التحالف المحتمل لم يعره المستشار جيبرس ادنى اهتمام . وقد صرح هذا الاخير لاحد السفراء الاجانب بقوله : « ان فرنسا لاتالو جهدا في سبيل الحصول على معاهدة لكنها لم تحصل على طائل بالرغم من الحاحاتها الشديدة المتعددة » ، فاغضب ذلك الحكومة الفرنسية . وفي مايو 1891 وهو التاريخ الذي طلبت فيه روسيا اجراء قرض عمومي في ساحة باريس ، سعى بنك روتشليد في احباط هذا المشروع احتجاجا في الظاهر على المذابح التي يذهب ضحيتها يهود روسيا واستجابة في الباطن ، على ما يبدو ، لتوجيهات الديبلوماسية الفرنسية . اذن اصبح التقارب الفرنسي الروسي في نقطة ساكنة .

الا ان القيصر ، بعد مرور بضعة اسابيع ، سوف يوطد العزم على التفكير في التحالف ، وما ذلك الا لان احداثا جديدة طرات فزادت من اخطار العزلة على على روسيا : ففي مايو 1891 جددت صلاحية التحالف الثلاثي ، وفي 29 يونيه ، عند ما اعلنت الحكومة الايطالية هذا التجديد امام البرلمان ، اشارت كذلك الى « الاتفاقات المتوسطية » المبرمة سنة 1887 ، اي الى العلاقة الموجودة بصورة غير مباشرة بين بريطانيا العظمى والتحالف الثلاثي ، فما كان من الحكومة الروسية الا ان قلقت من هذا الاعلان . وقد كتب السفير الالماني في بطرسبورغ يقول بان الحكومة الروسية « شعرت بانها مهددة » وفي 18 يوليوز 1891 اثار المستشار جيبرس في محادثة له مع سفير فرنسا مسالة « انتساب انكلترا الى التحالف الثلاثي بقليل او بكثير » وصرح بان الوقت قد حان للقيام « بخطوة اخرى الى الامام » في سبيل تقرب فرنسي — روسي ، وذلك لمواجهة التكتل المبيت اللائح في الافق . وفي 5 غشت ، بمناسبة الزيارة التي قامت بها الى كرونستادت (Cronstadt) بوارج الاميرال جيرفي (Gervais) الذي استقبل بحماس مشفوع بكثير من التفاؤل ، قبل جيبرس بالدخول في التفاوض مع فرنسا .

ان الخوف من العزلة هو الذي ادى اذن بالقيصر وحكومته الى العدول عن احتقارهم لفرنسا الجمهورية . وليس من ريب في ان الاوساط المسؤولة في الامبراطورية فكرت في التقرب من فرنسا بمجرد تراجع المانيا عن معاهدة تاكيد التاكيد ، لكنهم كانوا يودون الاكتفاء بـ « وفاق » دون الارتباط بتعهدات واضحة ، وليس من شك كذلك انهم عندما لاحظوا وجود رابطة بين بريطانيا العظمى ودول الحلف الثلاثي شعروا بضرورة الذهاب الى ابعد من الوفاق .

كان على السياسة الفرنسية بطبيعة الحال ان تسعى جاهدة للاستفادة من هذه الاستعدادات الجديدة التي اعربت عنها الحكومة الروسية ؛ الم يكن الخروج من العزلة هو ما يترقبه الراي العام الفرنسي منذ سنة 1871 ؟ الم يفكر كل من تيير وغامبيتا في التحالف مع روسيا منذ السنوات الاولى التي اعقبت الهزيمة ؟ الم تكن سياسة الاقتراضات الروسية ، منذ ثلاث سنوات تعني تمهيد السبيل للتحالف ؟

من الطبيعي ان تعمد الحكومة الفرنسية الى الاستفادة على الفور من كل فرصة مواتية . وقد اوصى وزير الخارجية اسكندر ريبو (Ribot) سفير فرنسا في سان بطرسبورغ باستغلال هذه الظروف في اقرب وقت . كانت النية متوجهة الى الحصول على وعد بتعبئة آنية وآلية للقوات الروسية والفرنسية ، فيما اذا عبات دول الحلف الثلاثي قواتها . فالتحالف اذن ينبغي ان يقوم على اساس اتفاق عسكري . وقد حدد البرنامج منذ يوليوز 1891. ولكن كان يتعين ان يمر ما يقرب من سنتين ونصف

السنة لكي يتغلب الحاح فرنسا على تملصات روسيا وترددانها . فما هي اسباب هذه التسويفات الجديدة ؟ في المرحلة الاولى عرضت الديبلوماسية الفرنسية

جميع مطالبها دفعة واحدة ، وكان همها منحصرا على الخصوص في الوصول الى تعهد مكتوب وان لم يستجب هذا التعهد لرغباتها كلها . اما الروس فكانوا يتحاشون الوعود المضبوطة البينة : وانما قبلوا بان « تتفق » فرنسا وروسيا فيما بينهما ان اصبح السلم مهددا ، دون التعهد مقدما باتخاذ التدابير العسكرية . ولما كانت الحكومة الفرنسية مستعجلة في الوصول الى غايتها فانها اذعنت الى روسيا . وهكذا ابرم في 27 غشت اتفاق اتخذ شكل تبادل رسائل . يقول هذا الاتفاق : ان الدولتين ستوحدان الراي « حول سائر القضايا التي من شانها ان تعرض السلام العام للخطر » ؛ وفي حالة وجود احديهما مهددا باعتداء « يجتمع الطرفان للتفاهم حول التدابير الواجب اتخاذها على الفور وفي وقت واحد لمواجهة العدوان » . فهذا النص لا يوضح اذن مدى المساعدة العسكرية التي قد تقدمها روسيا لفرنسا ، بل هو لا يعطي حتى التأكيد القاطع بتقديم عون مسلح طالما ان الحكومتين سوف لاتقرران ما يجب اتخاذه من تدابير الا اذا دق ناقوس الخطر . ومع ذلك فان فرنسا ــ وهذا هو المهم ــ قد خرجت من عزلتها . قال ريبو « ان الشجرة قد غرست » . بيد ان هذا الاتفاق لم يكن في نظر رجال الحكم الفرنسيين الا خطوة اولى .

اذن سوف تسعى الحكومة الفرنسية جاهدة لاتمام هذا الاتفاق بواسطة اتفاق عسكري . ولم تتوصل دون عناء الى ضبط مفاوضة ما ، ذلك ان جيرس كتب الى القيصر في دجنبر 1891 يقول : « يلوح لي ان ارتباطنا قبل الاوان بتعهدات ايجابية ، مهما كان نوعها ، في الحقل العسكري امر غير مرغوب فيه ، والا تعرقلت حريتنا في العمل » . الا يكفي اتفاق 27 غشت لصيانة مصالح روسيا ؟ لم تعرف الحكومة الفرنسية وجهة نظر المستشار بالضبط وانما لاحظت انه يتملص. وللتغلب على هذه الصعوبة حاولت الاتصال بالقيصر شخصيا . وذلك امر عسير لان الاسكندر الثالث كان نادرا ما يستقبل السفراء . وكان لا يخوض معهم في القضايا الهامة . ولعل ذلك راجع الى احتشامه في الحديث .

ضاعفت الديبلوماسية الفرنسية من جهودها . فمن مهمة شبيهة بالرسمية يقوم بها ديبلوماسي من اصل دانماركي وجنسية فرنسية (جول هانس (Jules Hanssen) ــ ذهابه الى كونهاغ بمناسبة زيارة القيصر لبلاط الدانيمارك ــ الى مذكرة يقدمها الجنرال ميريبيل (Miribel) رئيس اركان الحرب العامة الفرنسية ، الى السفر الثاني الذي قام به هانس الى كونبهاغ . ويقبل القيصر مبدئيا وبناء على مذكرة ميريبيل امكانيه التفاوض ، حول اتفاق عسكري ، في مارس 1892 ، لكنه لم يعين تاريخا للشروع في هذا التفاوض ، مما جعل معه ريبو في باريس مشغول البال اذ قال : « لابد من الوصول اخرا الى الهدف » ؛ واذا اندلعت شرارة الحرب قبل ابرام اتفاق عسكري « فاننا سنتحمل مسؤولية عظيمة العبء » ، ويجيبه السفير الفرنسي « بان ليس في الامكان الوصول الى ما هو احسن » . واخيرا قرر الاسكندر الثالث في 18 يوليوز 1892 ان يعلن عن انتظاره لوصول المفاوض الفرنسي . وقبل ذلك باربعة ايام اشارت جريدة الفيكارو في مقال لها بعنوان « تحالف ام مغازلة » الى نفاد صبر الفرنسيين . ومن الممكن القول بان هذا المقال اشعر العاهل الروسي بالاخطار الناشئة عن تسويفات اطول .

كان المفاوض هو الجنرال دي بواديفر . وكانت الحكومة الفرنسية تريد ان تنال وعد الدولتين معا بتعبئة جيوشهما بكيفية آلية وفي وقت واحد ، اذا ما اقبلت المانيا او دول الحلف الثلاثي على تعبئة قواتها . الا انها كانت لا تريد ان يلزم هذا التعهد اذا ما قررت النمسا ــ هونغاريا هذه التعبئة **وحدها** . ومن جهة اخرى كانت ترغب في حالة نشوب الحرب ان يصرف الجيش الروسي جهده الرئيسي في محاربة المانيا لا النمسا ــ هونغاريا ، وقصدها من ذلك هو التخفيف عن الجيش الفرنسي في اقرب مدة ممكنة ، حين يصبح معرضا لهجوم الماني مفاجيء . بيد ان النمسا ــ هونغاريا كانت هي الخصم اللدوذ لروسيا وكانت في نفس الوقت هي الخصم الاضعف ، وبالتالي فان الروس كانوا ميالين الى هذا القطر لتسديد الضربات له اكثر من غيره ، وقد ادرك الجنرال دي بواديفر ان من المستحيل ارضاء روسيا جزئيا حول هذه النقطة ، وبعد بضعة ايام من التردد اذعنت الحكومة الفرنسية وابرم الاتفاق في 18 غشت 1892 ووقع النص من قبل الضباط العسكريين

تجعل بنود الاتفاق التعهدات المتبادلة محصورة في حالتين : حالة التعبئة وحالة الحرب . ففيما يرجع للحالة الاولى قيل : « اذا ما عبات دول الحلف الثلاثي

او احدى الدول التابعة لهذا الحلف قواتها فان فرنسا وروسيا ستعبئان ، في وقت واحد وعلى الفور ، سائر قواتهما ثم تنقلانهما الى الحدود بمجرد الاعلان عن حادث التعبئة وبدون ان يكون هناك داع لسابق اتفاق » . وفيما يهم النقطة الثانية يقول النص : « اذا هوجمت فرنسا من قبل المانيا او ايطاليا تدعمها المانيا ، استخدمت روسيا سائر قواتها الجاهزة للهجوم على المانيا ، واذا هوجمت روسيا من قبل المانيا او من النمسا — هونغاريا تدعمها المانيا استعملت فرنسا قواتها الجاهزة كلها لمحاربة المانيا » . وسيكون على فرنسا ان تضع في خط النار لقتال المانيا 1.300.000 رجل على الاقل . وعلى روسيا ان تضع جنودا يتراوح عددهم من 700 الى 800 على الاقل باعتبار ان باقي جيوشها سيصرف لمواجهة النمسا — هونغاريا . وتنص البنود الاخيرة على ان لاتقبل فرنسا وروسيا بابرام الصلح على انفراد ، وان الاتفاق الفرنسي — الروسي سيظل نافذ المفعول « ما دامت معاهدة التحالف الثلاثي قائمة » ، واخيرا نص على ان يسدل ستار « من الكتمان المطلق » على فحوى الاتفاق .

يشكل هذا الاتفاق العسكري المعاهدة الحقيقية للتحالف ، باعتبار انه النص الوحيد الذي يحدد حالة الحرب . وهو بالاجمال حل وسط بين وجهات النظر الروسية وبين الآراء الفرنسية : وهكذا نجحت فرنسا في قضية التعبئة « الآنية والآلية » وحملت روسيا على ضبط عدد الجنود الواجب حشدهم ضد المانيا . الا ان فرنسا اضطرت الى الالتزام **بالتعبئة** حتى في الحالة التي تقرر فيها النمسا — هونغاريا التعبئة ضد روسيا دون مشاركة المانيا ، ومع ذلك ظلت غير ملزمة في حالة كهذه بالدخول في الحرب ، اذ لايمكن ان تحارب الا اذا صدر الهجوم من **المانيا** . تلكم كانت بنود الاتفاق . تبدو هذه البنود لاول وهلة انها ستحفظ لفرنسا حريتها في العمل اذا ما وقعت حرب نمساوية — روسية من غير ان تشارك فيها المانيا . ولكن الامر على خلاف ذلك . اذ ان التزام فرنسا ، رغم عدم وجود حدود مشتركة بينها وبين الملكية الثنائية ، بتعبئة جيشها ، في حالة تعبئة نمساوية — هونغارية ، يعني ان المانيا ستقوم برد فعل مما سيؤدي الى التعجيل بوقوع الحرب . وقد ادركت الحكومة الفرنسية تمام الادراك هذا الخطر ، ولكنها وافقت عليه ، علما منها انها لو رفضت هذا الطلب الذي تقدمت به روسيا لآلت المفاوضة الى الفشل التام .

ومع ذلك فالاتفاق العسكري لم يبرم بعد بصفة نهائية لانه لايحمل الا توقيع الجنرال دي بواديفر والجنرال اوبروتشيف رئيس اركان الحرب الروسية . لاجرم ان القيصر كان قد صرح بامكانية المصادقة على المشروع ولكنه لم يقدم خطيا شيئا من هذا القبيل ، وسوف يستمر في مماطلته ستة عشر شهرا . وليست هذه الترددات باقل اهمية بالنسبة لمن يؤرخ للتحالف الفرنسي — الروسي .

ان الحكومة الفرنسية — اعني رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزيري الخارجية والحربية (لان نص الاتفاق لم يعرض على المجلس الوزاري باعتبار السرية التي اعطيت له) — في الوقت الذي وصلت فيه المفاوضة حول الاتفاق العسكري الى خاتمة مطافها كانت على ما يظهر غير راضية عن الطابع المميز للتعهدات التي اخذتها على عاتقها . وكان بودها ، قبل ان تصادق نهائيا على نص الاتفاق ان تدخل تعديلين جزئيين . فاما الاول فيرجع لمسألة شكلية محض : اذ ان رئيس الجمهورية الفرنسية يعتقد ان لاحق له في ابرام اتفاق سري ؛ ويعرب عن امله اذن في ان لاترد كلمة « سري » في النص . واما التعديل الآخر فكان أهم ، اذ تعهدت فرنسا بالتعبئة اذا فعلت مثل ذلك النمسا — هونغاريا (المادة الثانية) لكن اذا كانت التعبئة النمساوية الهونغارية **جزئية** — موجهة مثلا الى دولة بلقانية — فهل تعد هذه الحالة داخلة في الاتفاق العسكري الفرنسي — الروسي ؟ كلا في نظر الحكومة الفرنسية . فيجب ايضاح هذا الغموض اذن . وقد قدمت هذه الاعتراضات الى الجنرال اوبروتشيف ثم الى المستشار جيبرس الذي عرج على باريس في غضون الخريف ، فأجاب كلاهما بان الوقت قد فات جدا لتعديل النص . ولم تظهر الحكومة الفرنسية شديد الحاح . ومع ذلك فان هذه الفترة ادت الى تأخير ادى الى نتائج سنتعرض لها .

بالفعل لم يكن للحكومة الروسية ما يحملها على اظهار تسرعها كما هو الشأن بالنسبة لشريكتها . فاكتفت اذن بانتظار قرار الحكومة الفرنسية . ولكن في الوقت الذي سيتخذ فيه هذا القرار ، حدثت فضيحة بناما في نوفمبر 1892 . الم يكن القيصر على حق من التخوفات التي كان يبديها دائما تجاه النظام الجمهوري؟ ولقد غضب الاسكندر الثالث مما كتبته بعض الجرائد الفرنسية من كون سفير روسيا في باريس موهرينهيم (Mohrenheim) هو السبب في الفضيحة . بل ادى الامر بالقيصر الى أن يطلب من رئيس الجمهورية رسالة

اعتذار . وما دامت هذه المسالة موضوعة فلا يمكن وضع المصادقة على الاتفاق العسكري في جدول الاعمال. بل لعل الحكومة الروسية ستتساءل هل كانت مخطئة السبيل . وتجلى ان هذا الاحتمال صحيح حينما اجرى نجل القيصر ، وهو نيقولا الثاني المقبل ، في يناير 1892 مع غليوم الثاني محادثات غريبة ، قال ان فرنسا في حالة انهيار حيث حكم على النظام الجمهوري بالزوال وسيقوم مقامه لا محالة « استبداد عسكري » ؛ وفي هذا اليوم سيتحتم التفكير في تشكيل تالب ضد فرنسا . وفي هذا الوقت بالذات اعرب المستشار جيبرس ، في محادثة له مع السفير الالماني ، عن اسفه من كون المانيا هي « التي دفعت بروسيا الى الارتماء في احضان فرنسا ، وانها – اي المانيا – لم تسع من جديد في ربط علاقات اشد متانة مع الحكومة الروسية » ، الا يفهم من هذا ان الوقت لم يفت بعد لبعث الصداقة الالمانية – الروسية من جديد ؟ ان سفير فرنسا في روسيا لم يخف على حكومته ذعره . فمتى ستقع المصادقة على الاتفاق العسكري ؟

وخلقت السياسة الالمانية ، مرة اخرى ، فرصة . فلم تستجب حكومة الرايخ فحسب لمحادثات نجل القيصر والمستشار ، بل اتخذت مبادرات من طبيعتها ان تقلق الحكومة الروسية : فمن « حرب التسعيرات » ضد الصادرات الروسية ، الى طلب اعتمادات جديدة لصرفها في اعداد وسائل الحرب « على واجهتين » ، وكانت هذه الحرب مرسومة حسب الخطة الحربية التي اعدها شليفن (Schliffen) الرئيس الجديد لاركان الحرب . اذن سيؤدي الحال بالقيصر الى اعتبار التحالف مع فرنسا امرا لابد منه : وتدل زيارة البوارج الروسية لتولون في اكتوبر 1893 على وجود مثل هذا الاعتبار . ومع ذلك فان الانتظار سيطول ما يقرب من ثلاثة اشهر اخرى . واخيرا اتخذ القيصر القرار ، في 27 دجنبر 1893 – دون ان تساعد الوثائق الراهنة على تحديد السبب الذي حذا به الى التغلب على تردداته الاخيرة – : فسلم جيبرس لسفير فرنسا رسالة يصرح فيها بانه « بالامكان اعتبار الاتفاق العسكري الفرنسي – الروسي وكانه مقبول بشكل نهائي » . وفي 4 يناير 1894 اجابت الحكومة الفرنسية بتصريح مماثل . واخيرا ابرم التحالف ؛ وخرجت فرنسا من العزلة التي كانت السياسة البيسماركية قد فرضتها عليها .

ان هذه النتيجة التي كانت الهدف الاساسي للسياسة الخارجية لدى الحكومة الفرنسية منذ سنوات عديدة قد توبعت بكل تثبت . وتدل الوثائق على اهتمامها الوطني وعلى حصافة رأيها . ومع ذلك فهل كان بامكانها ان تتغلب على ترددات الحكومة الروسية لو لم توقظ المبادرات الالمانية ، في اللحظات الحرجة من المفاوضة ، تخوفات القيصر ؟ لقد تطورت المفاوضة حول التحالف الفرنسي – الروسي على ايقاع العلاقات الالمانية الروسية ، دون ان تشعر بذلك ، على ما يظهر ، حكومة الرايخ .

مما لا شك فيه ان تضارب المصالح الاقتصادية في هذا التطور للعلاقات بين الامبراطوريتين لعب دورا ما . فكبار الملاكين للاراضي في المانيا الشرقية ، الذين هم منتجون للحبوب ، والذين هم بالتالي مهددون مباشرة من جراء تزايد الواردات من القمح الروسي ، هم الذين حملوا حكومة الرايخ على اتخاذ مبادرات تحمل عواقبها كل من الفلاح الروسي والخزينة الروسية . وعندما اغلق بيسمارك في خريف 1887 السوق المالية الالمانية في وجه الاقتراضات القيصرية ، فانه فعل ذلك لارضاء رغبة « اصحاب الاراضي الفلاحية » ، الذين كانوا يرغبون في تعطيل انشاء سكك حديدية في روسيا ، يمكن بواسطتها نقل المحصولات الزراعية نحو الاراضي الالمانية . وعندما بوشرت حرب جمركية المانية روسية، ابتداء من سنة 1890 الم يكن السبب في ذلك راجعا الى الرغبة في حماية المحصول الفلاحي الالماني من هذه المنافسة ؟ وهذه المبادرات الالمانية جعلت مالية الدولة الروسية في مصاعب ، فحملت هذه المبادرات الحكومة القيصرية الى تلمس عون مالي في فرنسا . وهذا العون الذي افاد في تحضير الجو للتعاون السياسي . فهل معنى ذلك ان العوامل الاقتصادية والمالية كانت حاسمة ؟ لا . لان القرارات الالمانية كانت مستوحاة من الاهداف السياسية . فحينما لم يعر بيسمارك في سنة 1887 الثقة للاسناد الروسية ، كان يسعى بالخصوص في ممارسة ضغط على الحكومة القيصرية من جهة واثارة ازمة مالية في روسيا من جهة اخرى ، فعل هذا في الوقت الذي كان يخشى فيه ان تؤدي المسالة البلغارية الى نزاع نمساوي – روسي . وفي 1890 – 1891 اتت الحرب الجمركية ايضا نتيجة لهدف سياسي : فقد كان كابريفي يرغب في تمتين التحالف النمساوي الالماني بالتوقيع على معاهدة تجارية فتحت السوق الالمانية على مصراعيها في وجه الحبوب الهونغارية ، على حساب الحبوب الروسية . ان الحسابات السياسية لرجال « الحاشية الجديدة » هي التي توضح وحدها اتجاه السياسة الالمانية .

مكناس : عبد الحق بنيس

ديوان دعوة الحق



طرب الكون ، وهل من عجب ! — يوم عيد العرش عيد الطرب

يا عذارى الارز في أعلى الذرى — ونخيلا باسقا في السبسب

وطيور الروض في افنانها — رتلت كل نشيد اعذب

ورياحين الربى ، هدهدها — طائف الانسام بين العشب

وفراشا هام مفتونا بها — وصدى الشلال حلو الصخب

طاولي ،تيهي ،ارقصي ،ميسي،اعزفي — امرحي ، هيمي ، وطيري ، وثبي

عمت الفرحة شعبا مخلصا — لمليك عبقري انجب

اسمه الوضاء طغراء لنا — خطها المجد بماء الذهب

وكما تسطع شمس في الضحى — اشرقت منه سماء المغرب

* * *

يا شريفا عطره من يثرب — نور الافاق يا نور النبي

يا الذي ، ان سار ، حفت ركبه — هالة الله ، وابهى موكب

حمل الاقباس في دارتها — صيد ما زيغ ، وشم يعرب

زين العرش سناه مثلما — زينت اعلامنا بالكوكب

(حسن) ، نعم المسمى ، حسب — طاهر مثل عريق النسب

احبتاه الله والشعب هنا ، — عزمنا المجتبى والمجتبي

حيثما تسال في الشرق وفي (م) — الغرب ، لا تسمع الا : أحبب

طيب الارض شذا سمعته — وعرفناه بفعل أطيب

خير من يفخر ان قال : انا ! — خير من قال : نعم : كان ابي !

ان نته في غيهب ينشق عن   ثاقب من رايه كالشهب
واذا ماد بنا مركبنا   وطفى اليم بموج قلب
قال لليم : اتئد لا تضطرب   فانا الربان ، هذا مركبي
فاذا الريح رخاء واذا الموج (م)   ينداح كان لم يصخب

* * *

سل من الامة من شئت ، تقل :   كلنا : تفديه امي وابي
ملك شهم ، وحر ثائر   مثله الحرة لما تنجب
الكفاح المر يدري عزمه   يوم ان قيل : من الحر الابي ؟
فاذا اسرة مجد تضرم (م)   الثورة الكبرى باقوى لهب
واذا الشعب ، غضوبا ، ينبري   زاحفا ، يكنس عار الاجنبي
واذا افريقيا تقفو خطى (م)   الزحف ، من (اوراس) حتى (يثرب)

* * *

هكذا عرش رفيع ، ما ارتقاه (م)   ولا يحميه غير النجب
واذا مدت اليه واعتدت   كف باغ ، غاشم ، مغتصب
حزها من منكب ابطالنا ،   رافعو العرش ، باعلى منكب

* * *

رم من العز سما علياته ،   انت احرى برفيع الرتب
ومن الامجاد ، سابق ركبها ،   لك في الحلبة خير القصب
كلما زاحمتها قال لها الدهر : (م)   لا ، لا تتعبي ، بل اوبي !
ضربت للمجد امثال فما   كان الا (هو) اسمى مضرب

* * *

يا رفيع الشان ، يا من مجده   خير ما سطر بين الكتب
سالوا عن مذهبي ، قلت لهم :   حب ثاني الحسنين مذهبي
من بر الاشراق من طلعته   بر نور المصطفى عن كثب
بر من اعيننا قرتها   دم لنا قرتها يابن النبي
واسم ، واسلم ، زينة العرش الذي   سيدوم – الدهر – فخر المغرب

ادريس الجاي



لمن ابثـه اشواقـي واشجانـي ؟ … سوى شقيق شدا من بين اغصـان
اليك ياعندليب الروض شجو اخ … عساك تسلي بتغريـد والحـان
اليك يشكو فؤادي مـا يؤرقنـي … وما اكابـد من نـاي وهجـران
غرد لنـا انـه يـوم اغـر وجـد … بحسن شدوك واملأ افق بستانـي
يوم لتتويج رب الصولجـان ومـن … صحت له وحده القـاب سلطـان
وامنح بيانـا والحانـا ازف بهـا … للعرش ما عز من شدو وتبيـان
تلحينك القدسي العذب تعشقـه … ارواحنا . وهو يوحى شعر وجدان
اقول فى العاهل المحبوب ما عجزت … عن شأوه الشعرا فى ربع (1) بغدان
احيـي مفاخـره احيـي مآثـره … اذ طالمـا هـو بالانعـام احيانـي

❊ ❊ ❊

فلو راى المتنبي اليوم عيـدك مـا … صبا الى مدحـه ابنـاء حمـدان
او شاهد البحتري «البيضا» (2) وروعتها … لشاد ما لم يكـن قـط بحسبـان
اقواس نصـر باكليـل مرصعـة … افراح شعـب باشكـال والـوان
تلك الهتافات قد نالت عنان السمـا … للحب دلـت على رمـز وعنـوان
او عاش «شوقي» لاربى فى ثنائكـم … وقال مـا يزدري اعـلاق عقيـان
ان صـاغ شوقي قوافيـا منمقـة … حستها عقـد ياقـوت ومرجـان
فليت «عبد العزيز» (3) اليوم يصحبه … مؤرخ الدولة العظمى ابن زيدان (4)
يجـددان من المجـد المؤثـل مـا … كانـا لآثـار امجـاد يجيـدان
فاخلق من المغرب الاقصى نظيرهم … شعرا وروحا يبـذل منك هتـان
فان فى الوطن الزاهـي بخصبتـه … ما ليس فى مصر او شام ولبنـان
لبيك لبيك يا اندى الملوك يـدا … ومن لـه الاعتلاء فـوق كيـوان
في كل مؤتمـر او كـل معتـرك … نلت انتصـار باقـدام وايمـان
وانت للسلم في الدنيـا مدعمـه … وانت مذ كنت ذاك المصلح البانـي
صنت الجوار فلم تعبث بحرمتـه … وكنـت ملجـا احبـاب وجيـران

---

1) ربع الشيء اوله . والمراد هنا اول ازدهار بغداد

2) البيضا : هي العاصمة التجارية الذي اقيم فيها الاحتفال الرسمي بعيد العرش فى هذه السنة .

3) عبد العزيز الفشتالي مؤرخ الدولة السعدية .

4) مؤرخ الدولـة العلويـة .

لما طغوا وتخطوا حدهم وجدوا ... ربى تموج بأبطال وشجعان

من كل اسد غضاب عند مصطدم ... تسطو بصمصامة فى كف طعان

سلالة الاطلس الجبار هل عرفوا ... فى الحرب الا بشجعان وفرسان

طاشت صفوفهم من بعد رايهم ... وجيشك المغربي ثابت أركان

وحيث لم ينفع الاغضاء نحوهم ... اجاب جيشك نيرانا بنيران

لا يرعوى المعتدي الا اذا خضبت ... نجاده او تولى بالدم القاني

فمذ رايتهم للسلم قد جنحوا ... جنحت والحر لا يرضى بعدوان

اريت فى « بامكو » للعالمين وفي ... مصر بانك انت الحسن الثاني

اريتهم شمما اريتهم شيما ... اريت ابناء يعرب وقطحان

اجل . اريتهم من فوق ذلك اخ ... سلاق النبوة من صفوة عدنان

ان الكنانة قد اثقلت كاهلها ... بما رات منك من نبل ورجحان

أثقلت كاهلها بكل مكرمة ... منها افتكاك الاسير اليائس العاني

عم السرور بلاد النيل وانقشعت ... غمامة الغم باسترجاع « فتيان »

اصطدتهم ام اتوا عفوا ؟ فياعجبا ... قناص « انسر » تحليق وعقبان

شتان ما بين قناص النسور ومن ... يصطاد فوق الثرى أسراب غزلان

قدصفق النيل اجلالا لمقدمكم ... واهتز سكانه « طانطا » لاسوان

تبادل الرؤساء العرب بينهم ... بشرا وترحيب قلب بعد هجران

تعانقوا باشتياق من جوانحهم ... عناق صب الى الاحباب ظمئان

وقبل البعض بعضا من صميمهم ... وضمنا الشمل اخوانا باخوان

لما عفوت عن «الضباط» تكرمة ... تيقنوا بسلاكم اي ايقان

فاملك رقاب الورى بالصنع انهم ... امام صنع جميل مثل عبدان

ما استعبد القادة الاحرار اذ غلبوا ... كمثل كعفو واكرام واحسان

ادركت ما شئت دون الحرب منتصرا ... محافظا عن اخا شعب وكيان

قد يدرك العبقري السامي بفكرته ... ما ليس يدرك احيانا بمران

شعب الجزائر لا تنسى اخوته ... ولا الكنانة رغم الموقف الجاني

لا باس . ما هي الا نخوة خطرت ... كل الشهامة فى نخوة عربان

عادت موثقة عرى علاقتنا ... وانجاب ما كان من حقد واضغان

نفسي فداؤك يا مولاي قد بهرت ... في الشرق والغرب منك آي برهان

بنيت مجدا يحار المشرقان له ... في المغرب العربي اجل بنيان

ايه امولاي كم حققت من امل ... للموطن المغربي بين اوطان

انجزت اعمال أعوام طوال ولم ... يمرر على مطلع التتويج عامان

لما رايت ملوك الارض قد بخلوا ... تخذت تاج الندى أعز تيجان

شملتم المغرب الاقصى برمته ... بما توالون من بر واحسان

انعشتم المعوزين اينما سكنوا ... من فيج «تندوف» الى ارياف تطوان

انعشتم «اسرة الفلاح» وهي لنا ... روح البلاد تمدها بشريان

وازدان في عهدكم بالعلم شعبكم ... ما خاب ركب له يوما بميدان

بعثت (دار الحديث) وهي دارسة ... فابعث بها(النووى) (1) العالي الشان

وابعث(ابا الخير) (2) واجملها اذا فتحت ... مشفوعة بافتتاح « دار قرآن »

---

1) الامام النووى المحدث .

2) المشهور بان الجزلي أسس دار القرآن بدمشق وهو شيخ الاقراء ومن حفاظ الحديث .

ياحسن مبناهما قرب «المقدس» (1) كي ... تشع من نوره أكناف «حسان» (2)
حسان مسجد آثار عز وان ... جالت بساحته افراس حدثان
مناره ترجمان الجيل ينبئه ... والجيل ما بين وسنان ويقظان
هاذي دمشق تهنيكم بما صنعت ... ايديكم للهدى من صرح عرفان
هذا الأيوبي «صلاح الدين» (3) يكبركم ... فانتما فى اقتناء المجد سيان
فى بعث علم وآداب ومأثرة ... وفي كفاح وتوطيد وعمران
آليت انكما عند النضال وفى ... نيل المعالي ونصر الدين ندان
ان كان يمتاز فى الاقيال امجدها ... فانتما باعتراف المجد صقران
لكن صقر قريش انت غايتنا ... اذا ذكرناه من قاص ومن دان

※ ※ ※

مولاي لم يبق لي «الزلزال» (4) قافية ... ولا شعورا ـ اذا ناديت جافاني
وكنت قبل اذا ناديت عن عجل ... شعرى جاش كما اشا ولباني
عذرا اليكم امير المومنين اذا ـ ... قصرت ـ هل يستوي شيبي وريعاني
ما كنت انشد لولا العرش حمسني ... بعيده وانبعاث الحب اغراني
لولا الربيع ورياه وبهجته ... وما يرنح من اوتار عيدان
وبلبل كلما استوحيت اطربني ... اذا سقاني كؤوس الشعر غناني
اهلا بعيدين عيد العرش ارجه ... عيد الربيع ـ هما روحي وريحاني
عيدان لو وجدا عيد الشباب لنا ... لطرت شوقا فيا لله عيدان

※ ※ ※

فلي اعتزاز بما قضيت من عمري ... فى خدمة القصر جهدي منذ ازمان
قد كان والدكم ـ جازاه ربي ـ لا ... ينفك يغمرني عطفا وبرعاني
اخلصت للعاهلين فى الوفا لهما ... اخلصت للعرش فى سري واعلاني
يا ءال يوسف انتم تملكون بما ... لكم من الخلق قلب كل انسان
اذن فلا غرو ان القى بسدتكم ... سلواي عن جنة الدنيا «بنعمان» (5)
فاسلم لشعب طموح ماجد بطل ... يفديك طوعا باشياخ وشبان
لقنتموه معاني المجد يدرسها ... حتى سما وهو في اخلاصكم فان
عش شامخ العرش والاقدار خادمة ... واهنأ بصيت مع الاجيال رنان
ولتحيى اسرتكم جمعاء تحرسها ... فى اوج عز وملك عين رحمان
والله يرعى ولي العهد فى رغد ... عليه للملك والعرفان تاجان

الحسن البونعماني

---

1) جلالة المقدس محمد الخامس .
2) المسجد العظيم الاثري بالرباط .
3) دفين دمشق .
4) زلزال أكادير .
5) بنعمان محل نشاة صاحب هذه القصيدة .

ثلاث قصائد

للشاعر سرافين كنطرو

تعريب : حسن الوراكلي

ولد هذا الشاعر سنة 1871، بين السنابل واشجار الزيتون فى ((اوطريرا)) بظاهر اشبيلية ، هذه المدينة التي اخذ منها شعره بعض جمالها وفتنتها، واعطى لها بعض روعته واشراقته .

وان عطاءات كينطرو الادبية ـ نثرا وشعرا ـ لتمثل مكانة مرموقة فى الادب الاسباني المعاصر ، وقد ترجم كثير منها الى لغات اوربية مختلفة .

وقد سبق ان قدمت هذا الشاعر لقراء العربية على صفحة الادب بجريدة العلم (*) بواسطة ثلاثة قصائد له ، هي : (زنابق) و (ابريل) و (امل) .

وشعر كينطرو ـ جملة ـ شعر رائع جميل ، مليء بالظرف الاندلسي بكل ما فى هذا الظرف من فتنة وعواطف خضراء ، واحاسيس بنفسجية ، ومشاعر فيها من لون الصفاء والتفاؤل وبسمة لقمر حظ غير قليل .

ولعل كلمة الاستاذ الناقد ف . كوناليس ليدسما حول الشعر الكينطري خير وصف قيل فى هذا الشعر واروعه : (كل شعر ـ كينطرو ـ يصل الى القلب مباشرة تماما كما لو كان اغنية معبرة ، صادقة ، تنغم لنا مقاطعها شفاه حبيبة) .

وفى سنة 1938 بمدريد لفظ سرافين انفاسه الاخيرة ، فخرس صوت عند ليبي ، طالما شنف الاذان واطربها ، وبث الفرحة والبهجة فى النفوس .. الحزينة.

دعاء لاشبيليا

ارض حبي .. وهواي :
ليباركك الاله ويمجدك
فى مستقبلك الرائع ، الباسم ،
ابدا ، لا تعدمين ..
الصوت الحبيب ، وخيوط النور
تنسجين بها حلمك
ولتظل حقولك .. دوما ، بلا عناء
تزهر .. تثمر .. تخصب ،
وكعبد .. حقير ،
او كسيد مهيب ،
الى الفن ، انت تنظرين ،
وتصنعين ذهب حبة السنبلة ،
ومن جذوع الاشجار ..
مسيحا للالام .. وهوى النفوس ،
وسماتك ، لتظل دوما ..
تبدد الامك .. تمحوها ،
آلامك ، لا تزرعينها ..
ولكنها تنبت ورودا ،
تبدو فى جوانبك .. وتتالق ،
ايمانا ، وسلاما وعزاء ،
وفى ليلتك العطرة ، الجميلة
لتهبط ، بامر من الاله ، نجمة ،
تقبل لاخيرالدا .. ثم تعود ،
الى السماء ..
تعود

* انظر عدد العلم : 4590 / 4602 / 4802 .

آلام

1

ـ قولي : لم كل هذا البكاء .. ؟

ـ لو هم ضائع ،
لجرح غائر .. لم يندمل ،
لسحر رائع ،
لو هم راحل ،
فى الدجى قد غرق ..

ـ لا تبكيه .. ولا تذكريه .

2

ـ لم تبكين ، يا حلم الورود ؟

ـ لصاحبي الذي ..
حديثه الرائق لم تزل ،
انغامه فى قرارتي تترقرق /

ـ اذن ، لا تبكيه ولا تذكريه ،

3

ـ لم تشهقين ؟

ـ آه ، لم يعد يضيء فجري ،
ولا يزرع الورود فى دربي ..
ابكي لنغمة تلاشت .. لفلذة من قلبي ،
قد ماتت ..

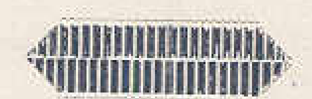
ـ اذن ، اذكريه ، وابكيه ..

آهــــات

الآهة الواحدة ، هي الرغبة ، هي القبلة التي تئن وتشكو .. لانها لم تلق .. قبلة اخرى

عند ما تولد القبل فى الروح ،
تولد ، فقط ، لتبحث ..
عن قبل اخرى .. بدورها تبحث عن الاولى ،
دون ان تعرف اين ترقد تلك القبل ،
اين تغفو ..
وعندما لا تتلاقى القبل ،
ولا تنصهر .. لا تذوب ،
قبلتان منها فى قبلة .. واحدة ،
يتفجر صفاؤه الجميل .. جوهرها الحلو ،
فى « آه » .. تجسيدا للالم ،
وتلك ((الاشارة)) المتألمة .. هي الآهة ،
تقذفها .. مرات مماثلة ،
وحرارة الآهة هي قيمة ،
للقبلة الضائعة ،
وفى عميق روحي ، تولد قبل ..
لتبحث عن اخرى ..
ولكنها ابدا ، تموت ..
تموت ، آهات /
وقبلاتي ، موقن انا انها ..
ليست تبحث الا عن قبلاتك .. انت ،
فاحفظيها لي / .

تطوان : حسن الوراكلي





سيدي القاضي تقدم اكثر الى الامام
وليدخل كل هؤلاء ،
لا تنزعج ،
لا تخف ...
لو اتيت قبل البارحة لتجرح شعورها ،
لطرحتك ارضا ، لكن لقد ماتت ،
احجز ، احجز الازودة .
لانه لا مال هنا :
فقد انفقته في الطعام من اجلها
وفي الادوية التي لم تجدها نفعا ،
وهذا الذي تبقى لي ؛
لانه لم يسعني الوقت لبيعه
انه ، بعد ، يفضل عني ،
انه يضايقني بعد الان
احجز هذه الحديدة للمعول ،
وهذه المناجل المعلقة في السقف ،
وهذا الفاس
وهذه القطعة وهذا الرسن ...
الادوات / لم يبق لي اي واحدة منها /
ولماذا احتاجها بعد ؟
لو كنت ساكسب من اجلها ،
لا يستطيع اي واحد ان ينتزعها مني /
لكن لا اريد ان ارى هذه الحديدة بعد ،
ولا هذه المناجل المعلقة في السقف ،
ولا هذا الفاس
ولا هذه القطعة ، والرسن ..
ولكن انتبه ، سيدي القاضي : حذار
لو اي واحد من هؤلاء
يجترىء على ان يمس هذا السرير
حيث ماتت هي :
السرير حيث احببتها
عندما كنا معا معافين ،
السرير حيث اعتشيت بها
السرير حيث كان جسدها
اربعة اشهر حيا
وليلة ميتا ...
سيدي القاضي : لايتجرا اي واحد كان
ان يمس هذا السرير ولا قيد شعرة ،
لاني هناك افتك به
امامك انت ؛
خذوا كل ما هنا ؛
كل شيء ما عدا هذا ،
لان هذه التحف فيها
عرق جسدها ...
ورائحتها تفوح علي بشذاها
كلما شممتها ...

تطوان : عبد السلام الهراس



للشاعر: محمد الخمار

الى الراهبة « آ » والى كل راهبة داخل الدير او خارجه

ان من شعرك الحزين سواد المعبد الجاثي قبلة البرية
ان من عينيك انبعاث حياة وسنى في شموعه القدسية
ان في ثغرك الجميل تراتيل صلاة قديمة ابدية
انت .. يا مبعثا جديدا تسامى في جلال « لمريم المجدلية »
سبحة تلك في يديك تهادت ام قلوب سلبتها العاشقينا ؟
وصليبا ام حلية ترصيعها ، ومسوحا ام فتنة تكتنينا
لا تظنيها تحجب الحسن عنا ، قد تزيد البساطة الحسن حينا
خالد الحسن ما البساطة تعليه جمالا وروعة وفتونا
اي فجر بعثته رائع الافق بنفسي ، واي لحن جديد ؟
اي نسط فتحته لشراعي بعد طول التجديف والتشريد
اي حلم خلقته اخضر الدرب لقلبي ، واي وهم وليد
هي دنيا جعلتها ملأ كفي والهام وانبعاث وجود
اتركيني فيها بلا ذكر اثم ينمحي لو نسيت لا تبتيلا
اتكون السماء اصغر منه وترى هذي الارض عرضا وطولا ؟
ان عرفت الله الشديد عقابا فاعرفيه سامحا وجميلا
فالذي شرعه ودينه عفو ، لا يرى في الوجود اثما ثقيلا

فاس : محمد الخمار

الملائكة السود

للشاعر: محمد السرغيني

الــوان

تصخب فيهــا الــوان

واللون الابيض فيها سكـران

اللوحـة والفنـان

والريشـة والالـوان :

حقايـا وبقايـا للقـرش الابيض ،

للسيف الابيض ،

فاللون الابيض للصـورة عنـوان ،

* * *

الملك الملفوف بالريش بيـاض

والزهـر النامـي على الحـوض بيـاض

والملك الاسـود مهمـول

والزهـر الاسـود مقفـول

والليل الحالم عن سر الريشة مقفـول

والزنجـي ظـلام لا يـزول

* * *

الملك الاسود لا يرحـم ؟

والحـب الاسـود لا يحلـم ؟

واللحـن الاسـود لا يطـرب ؟

والحـور السود لا يعجـب ؟

* * *

امـا الزنجـي ،

فمعـابـده ،

يعمرهـا الملك الابيـض .

فـاس : محمـد السرغينـي

القصة

أنا الموقع أدناه

للأستاذ : ياسين رفاعية

كلما حاول ان يمسك القلم ، ليبدأ بكتابة الجملة المالوفة : انا الموقع ادناه ، حتى يرتسم امام عينيه الماضي بصورته القاتمة وباحداثه السوداء .

هذا عام آخر يمر ، ولم يزل عاطلا عن العمل ، يعيش فى فراغ هائل ، وتكل قدماه من المشي على ارصفة الشوارع ، يكاد يعرف كل حي ، كل زقاق ، كل شارع .. جيبه اكثر الاحيان فارغة من النقود ، يرضى اي عمل ، الا انه لم يجد اي عمل ، وابوه عامل فقير لا يتجاوز اجره اليومي ست ليرات ، وفى عنقه حياة عائلة واجر سكن .. كان يتمنى ان يرى ابنه موظفا لا يقل مرتبه عن مائة وخمسين ليرة .

ما كان يتوقع ابدا ان يصاب بهذا المرض الذي منعه عن متابعة الدراسة ، وابوه المؤمن بالله وبالقدر، لم يعتب ، ولم ييأس فهذا امر الله ، ولله فى كل امر حكمة .

هذا هو العام الرابع .

وخلال عامين ، كان يقاسي آلم المرض ، وكان مرضه من نوع عصبي مزمن ، فبمجرد ان يثيره شخص ما او يكثر من القراءة والكتابة يسقط الى الارض مغمى عليه .

ذهب الى اطباء كثيرين ، وادرك ان الطبيب انسان يأخذ الدواء من المريض نفسه اذا كان ذكيا ، اما اذا لم يكن فسرعان ما يكون تخمين الطبيب فاشلا.

انتقل الى طبيب آخر ، حتى خيل اليه انه اصبح محورا لتجارب الاطباء ، او ان جسده اصبح صيدلية يحمل شتى انواع الادوية ، قاسى وتألم ، الحقن مزقت جسده ، والادوية عطبت معدته ، والاب المسكين دفع آخر قرش من دراهم الوقف الذي خلفه له اجداده ، وبدأ يستدين وهو صابر على ما يريد الله ، والابن كفر بكل شيء ..ما ذنبه ليفعل الله به كل هذه الامور.

كان فى دراسته يسير سيرا طبيعيا ، لم يرسب، لم يفشل ، ولكن يضع نصب عينيه ، انه سيصبح في المستقبل القريب محاميا .. وسينتج من تجاربه في الحياة قصصا رائعة يكتبها للناس ، وهو يعرف ان الذي يمتهن المحاماة الصق الناس بالناس ، يعرف خفاياهم وظواهرهم ، يصرحون له بأشياء كثيرة لا يمكن ان يصرحوا بها لغيره ، ومنهم سيكتب قصصا جميلة وحلوة فتذيع شهرته ، وسيساعد الناس ويتفهم قضاياهم برحابة صدر ويدافع عن الفقراء ، ابدا ، لن يحاول أن يكون ماديا تدفعه النقود الى بيع وشراء الضمائر .. سيكون نصير الحق ومساعد المظلوم ، آه .. ما اجمل حياته عند ما تصل به الى هذه المرتبة ؟ وما كان يعلم ما تخبئه له الايام ، يذكر انه دافع عن كرامته ضد شلة من الموتورين حاولوا التحرش باخته ، فضربه احدهم على راسه بقضيب من الحديد ، اغمي عليه على اثر ذلك ، ولكنه عند ما استيقظ لم يجد نقطة دم واحدة على الرغم من قسوة الضربة ، وقد حسب ان الالم قد انتهى عند هذا الحد .. بعض الالام ، ثم سرعان ما يشفى ويعود الى المضي فى الحياة . الا انه بعد اسبوعين ، بدأ يشعر باعراض جديدة راحت تنتابه كلما اتعب نفسه ، فتأخذه دوامة هائلة ، ويغطي عينيه غبش يشوه ما يراه تشويها قاسيا ويشعر كأن مطرقة كبيرة على راسه ، ويحاول الهروب من المه ، فيمسك راسه بكلتا يديه ويهصره يود ان يطرد الالم .. ويعارك .. ويعارك .. حتى اذا بلغ الالم

مبلغا حطمه ، اخذ يشعر بالاضمحلال رويدا رويـــدا كانه يتلاشى ، وتظل الدنيا تقبب والخدر يتسرب الى جسمه .. لم لا شيء بعد ذلك .. لا شيء ابدا .

خاف ، وانتابته الظنون ، ما سمع بمثل هــذه العوارض تهاجم انسانا ما .. فيمـا ذا يستطيـع ان يفسر ذلك .

كتم الامر عن اهله بادي ذي بدء ، لعل ما لم بـه يزول في مستقبل قريب ، الا انه استمر من سيء الى اسوا ، وانتبه زملاؤه الـى ذلك .. ثـم اساتذتـــه ، فنصحوه بان لا يهمل نفسه ، فالمرض على ما يظهـر خطير وعليه ان يستشير طبيبا بسرعة ، والا فقـد تكون العاقبة وخيمة ، وهنا .. وجد من الضـروري اخبار اهلــه .

* * *

وجم ابوه وتكدرت امه ! الا ان الاب المؤمن قال : كله من ربنا .. لا باس يابني .. غدا تنفرج .

احب في ابيه هذا التفاؤل الذي يدفع الايمان الى صدره ، وكانت اول نصيحة لاول طبيب ان يتوقف عن الدراسة ، كان يتوقع كل شيء الا هذا الامر .. ترى .. حتى م يجب ان يتوقف عن الدراسة .. وظل هذا السؤال معلقا بين شفتيه .. الى متى يظل هكذا .. ؟

لم يكن من جواب ، وساءت حالته ، حتى خيـل اليـه انه ماض في طريقه الى الجنون ، وحزن جدا لجهاد ابيه .. كان يلمح في عينيه الالم والمرارة ، على الرغم من محاولته اخفاءهما ، ويعرف كم يحبه ، ويذكر كم تالم عند ما حدثه ابوه : بانه بينما كان يعمل في مصنعه تخيله مارا في شارع بغداد من رصيف الى رصيف وهو مرتد بذلته البنية الوحيدة ، فسقط فجـاة في عرض الشارع ، ودهسته سيارة مسرعة وتركتـه كتلـة مختلطة بالدم واللحم الممزق ، فقفز دون الاستئذان من اصحاب المصنع ، واستاجـر دراجة ليعدو صوب شارع بغداد ، لم يجد احدا فاسرع الى البيت متلهفـا .. وتخطى عتبة غرفته ليجد ابنه نائما في سريره .. فارتمى عليه وقبله والدمع يطفيء كل معانـي الخوف والفزع في وجهه .

استغرب هو الامر وسال اباه عما حصل ، فقص عليه وهو يحاول ان يغتصب الابتسامة من بين شفتيه

ومرت الايام ، سريعة بقسوة لم يعهدها ، اعتقد في لحظة من اللحظات انه الانسان الوحيد الذي يعانـي ما يعاني ، وظل الاب مؤمنا انه لابد من فرج قريـب ، واصبحت امنيته ان يرى ابنه معافى ، ليسمعه يقول له بحماس : غدا او بعد غد .. سانقذك يابي من جحيم الاستعباد الذي تعيش فيه ، غدا او بعد غد ساحاول ان اعمل من اجلك انت .. آه يا ابي .. غدا ستفخـر بان لك ابنا له هدفه العظيم الذي يسعـى من اجـل تحقيقـــــه .

اين هذه الكلمات الحلوة ، الممتلئة تفاؤلا وجمالا ! اتموت كل هذه الامنيات فجاة .. وتسطو على راسـه افكار قاتمة لا بصيص للنور فيها .. حتى م عليـه ان يعاني هذا الالم .

وذهب الى بيروت وحلب ، ولم يترك طبيبا الا واستشاره ومع ذلك ، فانه لم يلق الدواء الناجـع ، فانقلب فجاة مستسلما للاقـدار الى حـد البلاهـة ، وصار يحمل جسـده المنهوك ، فمن مقهى رخيص الى مقهى آخر ، وابتعد عن الناس .. الناس الطيبيـن الذين احبهم من قلبه وتمنى لو يهب نفسه لخدمتهم .

ظل منزويا .. فارغا .. خاويا .. حتى خيـل اليه انه مات وان كان ما يزال كتلة من اللحم والـدم تسير على الارض ، كانها مدفوعة بقوة اخرى لا صلة له بها ، وصارت هوايتـه ان يشاهـد النـاس ، وان يتعمق ملامحهم وامانيهم ، اصبح يشعر بلذة ما بعدها لذة عند ما يكتشف ان ظنه لم يخب في امر ما .

وبدا يخفي على ابيه ما يحدث له من تطورات في مرضه ، وعند ما كان يساله يقول له : (انني احسن يا ابي .. ان شاء الله فرج قريب) كان يريد ان يقنع اباه بان صحته بدات تتحسن ، فقـد لاح لـه ان الاب المسكين بدا يستسلم مثله بشكل مريع ، خاف منـه ان يؤثر ذلك في صحته ، فتصاب العائلة كلها بصدمـة مؤلمة ، صارت مهمته ان يبعث الامل الى قلبه : (يا ابي الحمد لله .. الصحة في تحسن ..) وبنفس الوقت راح يحاول ان يقنع نفسه بان الصحة في تحسن فعلا، وعند ما استشار الطبيب في احد الايام قال له : عليك ان ترتاح فكريا .. وان تدع الدنيـا وراء ظهرك .. لا تاخذ منها الا كل ما يدخل السرور الى قلبك .

وحقق ما اراد الطبيب حتى خيل اليه فعـلا ان ذلك بدا يفيده ، وعاد ليساله مرة ثانية ، هل يمكن ان

يعود الى الدراسة .. وهنا رفع الطبيب يده ليقول مؤكدا : لا تفعل ذلك .. انك تهدم كل ما بنيته .. لم يعد لك امل في الدراسة .. ابحث لك عن عمل لا يرهقك .. والا فستندم .

صدمه قول الطبيب ، وادرك انه لا فائدة من متابعة الدراسة ، والاطباء بقدر ما يجهلون امور الطب، بقدر ما يجيدون النصائح ، انهم يعرفون النتيجة ، ولكنهم لن يعرفوا الدواء ابدا الا بالتخمين والمصادفة .

وهنا بدات المشكلة .

يجب ان يبحث عن عمل .. عن وظيفة .

وانطلق يطرق باب كل دائرة ، وكل شركة ، كان يريد اي عمل ، يتعبه او لا يتعبه ، فالحالة المادية منهارة بالنسبة لابيه ، ويجب ان يساعده وان ينتشله من الهوة المنزلق فيها .

ولكنه ظل يفشل ويفشل ، كان بالامس يبحث عن بعض الدراهم لياخذها الى طبيب ، واليوم صار يبحث عن دراهم ليستطيع ان يخرج اوراقة الثبوتية ، وظل يفتش حتى كاد ييأس لولا ابوه الذي كان ينفخ روح الامل فيه .

لم يترك واسطة الا جربها ، لم يترك بابا الا طرقه .. لم يترك يدا الا قبلها .. امتهن كرامته في سبيل الحصول على عمل ، عرف كل دائرة بلون بنائها، بعدد درجاتها ، ووجوه موظفيها ، ولكنه ظل بلا عمل .

كان كلما تناول القلم ، ليبدا الجملة التي الف كتابتها : انا الموقع ادناه ، يرتسم الامل امام عينيه من جديد ، لابد من النجاح .. لابد من النجاح .. وفي النهاية يجد ان لابد من الفشل .. لايوجد شاغر ، اذا لم يكن لك واسطة .. وزير .. نائب .. موظف كبير .. فلن تجد عملا .

كلمات سمعها كثيرا ، ولكن من اين له الواسطة ، لا يعرف احدا .. وليس هناك مال ليرشي به من يرتشي .. فما العمل يالهي .. ما العمل .. اهكذا تقسو على الناس اليائسين ؟ .

ظل يحملق في اللوحات المعلقة على جدران الدوائر الحكومية والشركات .. يحاول ان يلتقط اعلانا عن مسابقة او طلب وظيفة وكلما وجد مبتغاه ، اسرع ليخرج اوراقة الثبوتية للمرة الخمسين ، الواحدة والخمسين ، الثانية والخمسين ، لا يذكر .. وعند ما يدخل المسابقة تنتهي برسوبه ، وكان يؤلمه ان ينجح واحد آخر دونه ، كان قد ساعده هو في الامتحان .

واحيانا ، كانوا يقولون له بكل بساطة ، اكتفينا بموظفين دون مسابقة ، او يصدمه يوم المسابقة بالذات ، بعد ان تاهب وطالع ودرس : ان المسابقة قد الغيت ، فيشتم الناس ، ويلعن الزمان .. ومع ذلك ظل بلا عمل ، وظل يجوب الشوارع وحيدا .

وفجاة تبدل كل شيء في وطنه الصغير .. وبرزت بين عشية وضحاها قيم جديدة وامال امة وشعب .. واحس ان الشمس اشرقت هذه المرة دون ان تحجبها غيوم .. وشعر ان قوة جديدة قد انبثت من اعماقه .. فأخذ القلم بروح متفائلة وشرع يكتب : انا الموقع ادناه .

1958 دمشق : ياسين رفاعية



للأستاذ: أحمد عبد السلام البقالي

صاحت « حسنا » في ربيبها من خلف السياج الشوكي ..

— « فضول » .. آراس الغول .. اين انت ؟؟

ووقف الغلام على باب السياج ينظر اليها بعينين كبيرتين فيهما بلاهة ظاهرة ، وقد فتح فمه كأنه يريد ان يقول شيئا نسيه .. قالت حين رأته ..

— انت هناك ، وانا املخ حناجري . انزل البغلة للعين لتشرب ، وقل للراعي انك ستأخذ له عشاءه الى هناك .. لا حاجة به الى الصعود الى هنا ..

وامسكت بظفيرة الشعر الاسود النابتة على جانب رأسه وصاحت ..

— اذا نسيت ما قلت لك فسأعلقك من هنا ..

وخلص « فضول » ظفيرته من يدها بصعوبة وذهب حيث تقف البغلة ، فأمسك بلجامها وقادها خارجا بها من السياج ..

ونفضت هي يدها كأنما كانت ماسكة بشيء متسرب قذر ، ودخلت الغرفة البحرية كما كان يسميها زوجها الميت تشبيها لها بصالات طنجة المواجهة للبحر ..

كان « عبد الصمد » اخوها المزعوم ، ينتظرها هناك وقد اخرج من جيبه ظرف ورق مبطنا بكيس من البلاستيك الشفاف ، ووضعه امامه على جانب صينية الشاي ..

رفع عينيه اليها متسائلا فقالت ..

— لقد صرفته .. لن يعود الا بعد ساعة ..

وجلست الى جانب الصينية تنتظر تعليماته . ونظر هو الى الظرف وكأنه يفكر ويحك ظهر يده اليسرى محاولا التركيز .. وبعد لحظة بدأ بصوت خافت ..

— في هذا الظرف «غبرة» بيضاء كمسحوق الاطفال .. انها مادة سامة جدا ، ولكنها مخففة لدرجة انها لا تقتل من يتناول قليلا منها .. لقد اضيفت اليها مادة تجعل طعمها مقبولا في الفم ومع الطعام الى جانب انها تجعلها خفية في المعدة والامعاء حتى على اذكى الاطباء .

قالت هي ..

— هل تعتقد انهم سيفتحون بطنه ليبحثوا عن سبب موته؟

— انني افعل هذا مبالغة في الاحتياط .. لقد قضيت الشهر الفارط كله اقرأ عن السموم في دائرة المعارف الطبية .. وهذا هو المسحوق الوحيد الذي اعجز الاطباء اكتشافه داخل امعاء الادميين .. وحتى لو فرضنا انهم شرحوا جثته بعد الموت فسوف يجدون ان موته كان لضعف شديد في القلب

— لا اعتقد ان احدا سيشك في هذه القرية الضائعة على قرون الجبال في هذه البقعة المهجورة من العالم .. حتى ولو قتلته بسم الفيران .. انهم يذهبون في الجنازات دون السؤال عن الميت ، وهل هو رجل او امرأة ..

— الاحتياط ضروري .. وخصوصا وان موت الطفل له نتائج حسنة بالنسبة اليك .. الثروة الطائلة التي ترك والده سوف تؤول اليك انت .. فاذا بقي حيا فسوف لن تحصلي الا على خمسها ..

قالت وقد وضعت يدها على يده ..

— الم تقل لي انك ستكتب لي الثلث ؟

ـ لقد كتبته فعلا ووقعته بتوقيع عدلين غير معروفين وهو عندي تحت عملية « ابلاء » ممتازة ، حتى يظهر انه قديم ..

وابتسمت هي ، قال هو :

ـ المهم ، هو انك ينبغي ان تستمع الي بانتباه .. هذه « الغبرة » ينبغي ان يوضع منها ربع ملعقة شاي صغيرة في كل وجبة يأكلها «فضول» ـ بعد شهر سيصاب بضعف شديد وبعد ذلك سيلازم الفراش مدة اسبوع قبل ان يموت · عليك في هذه الفترة ان تكوني ممثلة بارعة للغاية ..

ـ اعرف .. البكاء وزيارة الاولياء والصالحين ، وشعل الشمع واعطاء الصدقات للفقيه والطلبة ، واستشارة الجيران والمعارف ·

واضاف هو ..

ـ واخيرا تستكتبين الفقيه رسالة الي في « طنجة » بعنوان المكتبة التي اشتغل فيها وتخبرينني بمرض ربيبك حبيبك « فضول » وانك تريدنني حالا للوصول الى هنا واخذه معي الى «طنجة» للعلاج .. وسوف اصل في ليلة الوفاة ..

ونظر اليها فاذا هي تنظر الى الارض وقد كسا حزن خفيف وجهها ..

قال ..

ـ ايه .. ايه .. المفروض ان تفرحي .. انها الوسيلة الوحيدة للخلاص .. لقد انتظرت هذه الفرصة منذ سنتين اليس كذلك ؟

وحركت « حسنا » رأسها موافقة ، فتحرك « عبد الصمد » ليجلس الى جانبها ، ووضع يده على كتفها وجذبها نحوه وقبل خدها في حنان كبير فمالت نحوه ..

قال ..

ـ انا اعرف انها عملية قاسية .. ولكن تذكري هذا .. « البقاء للاصلح » هكذا تقول الكتب .. وهل تعتقدين ان « فضول » ذلك الغلام الذي حشر بين البشر خطأ ، هل تعتقدين انه اصلح منا ؟

وامسك بوجهها بين يديه ..

ـ انظري الى هذا الوجه .. يقول للشمس اشرقي او اشرق .. وهاتين العينين ، وهذا الانف ، وهذا الفم .. وانحنى فقبلها بحرارة وقال ..

ـ اختي .. يا ترى لو كنت اختي حقيقة ، كما ادعيت لاهل هذه القرية البليدة وصدقوني ·

ـ هل كنت سأعيش بدونك ؟

ونظرت هي اليه وقد زادت وجنتاها احمرارا وقالت ..

ـ وماذا كنت تفعل ؟

ـ كنت افعل ما فعل « قابيل » بهابيل اخيه .. او كنت اخطفك وافر بك الى ارض بعيدة حيث لا يعرفنا احد ، ونعيش في ثبات ونبات مدى الحياة ..

وضمها الى صدره مرة اخرى وقبلها .. وقال ..

ـ اتعرفين انني حين عدت من تلك العطلة البليدة التي قضيتها في قريتي « بني عروس » الى طنجة ، وسألت عنك في البيت فقيل لي انك تزوجت ، كدت احرق نفسي ؟ .. لقد كنت على حافة الجنون .. ونعتك بجميع الوان الخيانة .. ولكن في النهاية عقدت العزم على ان استرجعك .. مهما كان الثمن ..

وضمته الى صدرها وقالت ..

ـ لم يكن ذنبي .. تعرف الحاج الذي كنت اعيش في بيته .. رجل طيب القلب ، وقد احبني واراد لي ان اعيش سعيدة .. لذلك نصح صديقه « عبد الحفيظ » بالزواج مني حين اخبره هذا ان زوجته توفيت .. وناداني الحاج بنفسه وقال لي انه اختار لي زوجا ممتازا توفت زوجته ، وبقي وحيدا حزينا لا اهل له الا ولده الصغير « فضول » .. وهو غني للغاية ولم استطع الرفض.. كنت اتمنى لو جئت انت وخطبتني

ـ ما كان باستطاعتي ان افعل ذلك .. لقد كنت في سنتي قبل الاخيرة في المعهد ، وما كانت لي وسيلة للزواج ولا حتى الخطبة · انت تعرفين انني اعيش عالة على عمي حين اعود لقريتنا ، وعالة على الحاج حين اجيء للدراسة بطنجة..

ـ كنت اظن انك لن تعود بعد العطلة .. وقد كتبت لك رسالة باسلوبي الخاص من هنا ..

ـ اذكر يا عزيزتي .. كانت اجمل رسالة تسلمتها في حياتي .. ورقة بيضاء بطابع شفتيك عليها وتوقيعك الذي علمتك اياه ..

ـ كنت اريد ان اقول لك انني ما زلت احبك .. المال والزواج لم يغيرا من طبيعتي شيئا ..

ـ الحب الاول « يا حسنا » هو اجمل حب وابقاه على الزمن .. وسوف تبقى في حب دائم وتعيش في تلك الارض الغريبة التي انوي ان اخطفك اليها بعد انتهائنا من هذه المهمة الثقيلة ..

ونظر الى ساعته ..

— المغرب على وشك الاذان .. سأذهب للصلاة مع الجماعة .. لقد استطعت ان اترك اثرا جميلا جدا بين جميع شيوخ القرية وكبارها .. انهم لا يشكون في اننا اخوان .. حتى ان سيرة قالت لي .. ان لي عينيك ، وبشرتك الفاتحة الضبوحة ..

ومد لها « الظرف المسموم » ..

— ضعي هذا في مكان بعيد .. وشيء آخر ، من الآن فصاعدا اظهري عطفا على الولد ليس غير عادي .. قد تثيرين الشك بالانقلاب المفاجيء .. المعاملة التي يلقى منك تثير الحجارة ..

— ولكنه ابلد من حائط ..

وقام فلبس جلبابه ، وتعمم ، ونظر الى وجهه في مرآة صغيرة معلقة تحت مصباح الغاز وعلق ..

— اعتقد انني بدأت احب لحيتي .. انها جعلت الجماعة هنا تحترمني وتقدرني ..

— وكذلك جعلت النساء يجدنك اكثر رجولة وجاذبية .. انا لا اريد ان اقتسمك ..

— لا تقلقي من تلك الناحية يا عزيزتي .. ليست في الدنيا امرأة تملأ من قلبي ما تملأه نظرة واحدة منك ..

وخرج فوقف على عتبة الغرفة حيث كان في امكانه ان يرى السحب الخفيفة السابحة في الافق الشمالي على شاطىء البحر .. كانت حمرة الشفق منعكسة على رؤوس بعض التلال الشرقية تخترق باشعتها الذهبية الضباب الخفيف كغبار الفضة .. وتحت البيت كان الانحدار الذي قامت عليه القرية بين الصخور العالية البيضاء .

وسمع خوار الابقار والعجول ، وتحنحة الخيل وهي عائدة من الحقول الى زرائبها للمبيت واصوات الرعاة توجهها

وتنفس بعمق رائحة الارض والحيوانات فأحس بالرضا .. هذه البيئة البسيطة السعيدة دائما ترجعه الى مزرعة عمه حيث نشأ قبل ان ينزل الى طنجة للدراسة .. وما يزال يعود اليها كل عطلة . وقد مرت عليه اعوام منذ ان زار قرية عمه للمرة الاخيرة .. شغله كبائع في تلك المكتبة الكبيرة لا يترك له فسحة من الوقت للسفر والاستمتاع بالحياة ..

وفرك يديه سعيدا بان احلامه كلها سوف تتحقق قريبا .. سيتزوج « حسنا » ويذهب بها الى الدار البيضاء حيث يفتح مكتبة خاصة به هناك . انه يعرف بالضبط اين . اما رأس المال فلن يقلق بعد اليوم بالتفكير فيه .. اسرار المهنة كلها عنده ، وعلاقاته بالناشرين معروفة، وثقتهم به كبيرة ..

واحس سرورا خفيا حين فكر في انه سيودع مشغله بدون اسف ، وسيرتاح من نظراته المسمومة وهمهماته غير المفهومة .. العالم الآن انفتح امامه ..

ووقفت « حسنا » خلفه ترتب ثنايا « قبه » وتقول ..

— لا تتأخر بعد صلاة العشاء .. سيكون الجو باردا .. ربما اثلجت الليلة . رائحة الثلج ثقيلة في الريح ..

— من اين كسبت هذه الخبرة الكبيرة بجو القرية ؟

وابتسمت ..

— سأقول لك مصدر علومي .. الجارة العجوز .. تذكر انك مسافر غدا صباحا .. وعليك ان تستريح ما يكفي .. الطريق من هنا الى موقف السيارات طويلة ..

وخرج وهو يتمتم لها مطمئنا ..

وبعد صلاة العشاء عاد الى البيت حيث وجد « حسنا » على الباب تودع بعض الزائرات .

وانحنى عليه بعضهن بالسلام فرد عليهن بكلمات لطيفة ودخل الغرفة ..

وحين عادت « حسنا » اليه وجدته يخلع جلبابه ويبتسم ..

— لماذا الابتسامة العريضة ؟
— لقد هيأت لك الجو تماما ..
— كيف ..

وجلس فامسك يديها ونظر الى عينيها ، وبدأ ..

— في حديثي مع الفقيه كنت انت الموضوع الاول .. سألني هل سآخذك معي الى المدينة ، فقلت .. انك الفت هذه القرية وطيبة اهلها ، ثم ان واجبك نحو ذكرى زوجك الراحل والتي تتمثل في ولده الغالي « فضول » تتطلب منك العناية به والبقاء الى جانبه هنا حتى يتم حفظ القرآن الشريف، وانك سوف لن تتزوجي ابدا حفظا لذكرى العزيز الراحل .

ووضعت هي يدها على قلبها في جد مازح وقالت ..

— ايها السادة .. لننشد السلام الوطني ..

وبدأت تعزفه بصوتها .. ثم انفجرت ضاحكة فضمها « عبد الصمد » الى صدره وقبلها في مرح ..

وفي نفس اللحظة انسحبت هي بسرعة من بين ذراعيه ، ونظرت نحو الباب .. تغير اشعة الضوء الداخلة من الباب نبهها الى ان احدا ما يقف على العتبة .. والتفتت فاذا رأس « فضول » يطل عليهما في بلادة وثقل ..

وكادت تصيح فيه بندائها العادي فضغط على ذراعها وقال ..

— تذكري .. ذكرى العزيز الراحل ..

فضغطت على شفتها السفلى ووضعت على وجهها ابتسامة مغتصبة ثم قالت نحوه ..

— هل فعلت كل ما قلت لك ؟

وحرك رأسه بالايجاب دون ان يتكلم ثم انحنى فمسح انفه السائل في كم جلبابه ..

وقاومت هي شعورا جارفا بصفعة على خده ، ولكنها قالت بدلا من ذلك ..

— فضول .. كم مرة قلت لك ان تستعمل المنديل ؟ .. انه في جيبك ..

ونظر هو اليها مستغربا عدم صفعها له كما هي عادتها في مثل هذه الظروف .. ولكن الموضوع سرعان ما غاب في الضوضاء الدائمة داخل رأسه الغبي .. فبدأ ينظر اليها بعينين فارغتين ..

قالت ..

— اذهب الى غرفتك وهيىء المجامير . وللمرة الالف .. لا تأتي بها للغرفة الكبيرة حتى تتأكد من ان الفحم كله قد صار جمرا .. جمرا احمر تماما .. لا بقعة سوداء عليه .. فهمت ؟

وفكرت في « تهريب » صفعة مسمومة على خده حتى لا ينسى ، ولكنها تذكرت ، تقاومت رغبتها بامساك يدها ، ورسم ابتسامة مريضة على شفتيها ..

وغسل « عبد الصمد » يديه ، ومسح عن لحيته السوداء بقايا الطعام ، واخذ الفوطة من فوق كتف « حنا » التي كانت تصب له الماء فمسح يديه وشفتيه الحمراوين لسخونة الطعام ، وقام ليلبس بيجامته ويستعد للنوم ..

واخرجت هي المائدة والاطباق والطاس الى الغرفة الصغيرة المجاورة ، ولم تنس ان تصيح في فضول الذي كان يهيىء المجامر ..

وعادت هي الى الغرفة حيث استبدلت ملابسها ووقفت تمسح شعرها استعدادا للنوم .

كان « عبد الصمد » قد استلقى في الفراش واخذ كتابا صغيرا في يده يحاول ان يميز الاسطر فيه على ضوء سراج زيتي خافت .

ودارت هي وسط الغرفة تتأكد من ان جميع « الشماسات » والنوافذ والشقوق مقفلة .

— البرد بالخارج يكاد يجمد الدم ..

ورد هو ..

— لا ادري كيف يحتمل اهل هذه القرية الملعونة هذا الجو المسموم ..

ولدوا فيه .. لذلك هم ابرد من الجليد .. ثم تنهدت ووضعت يدها على صدرها الناهد ، وقالت ..

— كم انا فرحانة لانني سأفارق هذه المقبرة الباردة بعد شهر ..

— شهر واسبوع ..

— لا فرق ..

وقال وهو يفتح ذراعيه لها ..

— اسبوع بالنسبة لي بدونك .. دهر طويل ..

وجرت نحوه فارتمت بين ذراعيه ..

ودخل « فضول » بالمجمر الاول فوضعه في ركن الغرفة وخرج منحني الرأس دون ان ينظر حواليه .. وابتعدت هي عن « عبد الصمد » وجلست على حافة السرير تنتظر ان يأتي بالمجمر الثاني ..

وعاد « فضول » يحمل المجمر الثاني .

وقعدت هي على اعصابها تنتظر .. ودخل فضول بالمجمر الثالث .. فصاحت فيه وهي تحاول الا تفقد اعصابها .

— اقفل الباب خلفك بشدة حتى لا تفتحها الريح .. واذهب الى غرفتك ..

— وسمعت « فضول » يصفق الباب خلفه ، فبدأت تخلع قميصها ..

وبعد بضع دقائق سمعت الباب ينفتح بقوة ، فقعدت على السرير وامسكت باللحاف مغطية صدرها وقد ارتسم الرعب على وجهها وهي تنظر نحو الباب .. وحين رأت رأس « فضول » يطل من ورائه لم تتمالك ان تصيح فيه ..

— اخرج .. اخرج يا حمار .. سأقطعك اطرافا .. انتظر حتى الصبح .. وامسك بها « عبد الصمد » ليهدىء اعصابها .. اقفل « فضول » الباب وراءه وذهب يتمتم لنفسه بشيء ..

وفي صباح الغد فتح الجيران الغرفة الكبيرة ليجدوا « عبد الصمد » و « حنا » جثتين هامدتين على سرير واحد

وجاء الفقيه فاختبر الجثتين واعلن ان سبب الوفاة كان الاختناق بثاني اكسيد الكربون .

وحاول « فضول » ان يقول شيئا فلم يدر كيف يشرح انه فتح عليهما الباب ليخرج المجمر الذي كان الفحم فيه ما يزال اسود فنهرته زوجة ابيه ..

واشنطون : احمد البقالي

اصداء الثقافة والفكر

اعداد : الاستاذ محمد برادة

ان اية محاولة تستهدف دراسة اوضاع الثقافة العربية ـ ماضيا وحاضرا ـ لا مناص لها من الاستعانة باعمال المستشرقين فى هذا المجال . وهذا الترابط الوثيق بين الثقافة العربية ، وبين حركة الاستشراق هو الذي يبوؤها مكانة خاصة تحتاج الى كثير من الجهد والتحفظ والدقة . ذلك ان حركة الاستشراق اقترنت بملابسات سياسية ودينية واستهدفت اغراضا متنوعة حسب الحقب ، مما يحتم عدة اعتبارات عند الاستفادة من نشاطاتها .

ولعل هذه الاهمية هي التي حدت بالاستاذ انور عبد المالك الى كتابة بحثه القيم « الاستشراق فى ازمة » المنشور بالعدد الاخير من مجلة ديوجين « 1 »

والبحث يستغرق اكثر من 40 صفحة ؛ لذلك ساكتفي بتلخيص خطوطه العامة نظرا لاهمية معلوماته .

ان تاريخ حركة الاستشراق قديم ، يرجع الى سنة 1245 م عندما قرر المجمع الكنسي لفيينا تخصيص كراسي لتدريس اللغات الشرقية . ولكن بداية الحركة المنظمة كانت فى اواخر القرن التاسع عشر ، عندما استعمرت « القارات المنسية » ـ كما كان الاوربيون يسمونها ـ فاسست المعاهد المتخصصة فى دراسة الثقافات الشرقية ، ثم نظمت مؤتمرات المستشرقين . وقد انعقد اول مؤتمر سنة 1873 بباريس ..

وحسب ما انتهى اليه الاستاذ يوسف اسعد داغر ، فان هناك ثمانية انواع من اعمال المستشرقين :

1) دراسات عن الحضارة القديمة
2) تجميع المخطوطات العربية بالمكتبات الاوربية
3) وضع فهارس للمخطوطات
4) نشر كثير من الكتب النفيسة
5) اعطاء دروس فى المنهجية لعلماء شرقيين
6) تنظيم مؤتمرات عن الاستشراق
7) كتابة دراسات ـ وان كانت مغلوطة من حيث الفهم اللغوي ، والتاويلات الدينية ـ الا انها قوية بمنهجها
8) الاسهام فى خلق وعي قومي بمختلف اقطار الشرق ، وتنشيط النهضة العلمية .

والى جانب هذا الاتجاه العلمي لرجال الاستشراق ، كان هناك اتجاه آخر يمثله خليط من الجامعيين ورجال الاعمال ، والعسكريين ، والموظفين الاستعماريين والمبشرين والمغامرين ـ وكان هدفهم : معرفة البلاد التي سيحتلونها ، وفهم عقليات شعوبها لضمان استعبادها من طرف القوات الاوربية .

وهذا الاتجاه الغالب ، كان له مفهوم عام يصدر عنه فى رؤيته للشرق والشرقيين ؛ وهو مفهوم يؤمن بالعنصرية ، وبانحطاط السلالة السامية ، ويعتقد بوجود جوهر تاريخي لكل امة لا يمكن للكائن ان يغيره ..

اما منهج الدراسة والبحث فانه يعطي الاسبقية للماضي ، ويعتبره ازهر فترة فى تاريخ الشرق . وعند دراسة مظاهر الثقافة المختلفة ، يقتصر هؤلاء المستشرقون على دراسة اللغة والدين كعنصرين

معزولين عن التطور الاجتماعي العام ، ومن ثم فان دراساتهم للتاريخ جاءت فى مجموعها امتدادا لمفاهيم الماضي . وقد ظلوا – الى امد قريب – يهملون مختلف اعمال العلماء الشرقيين رغم موضوعيتها ودقتها ، ويتخذون مراجع لكتاباتهم ، تقريرات الاداريين الاستعماريين ، والبعثات الكاثوليكية الطافحة بالاحقاد السلالية .

ذلك هو وضع حركة الاستشراق منذ بضع سنوات .. ولكن التغييرات التي عرفها الشرق اشعرتهم بأزمتهم ، وتخلفهم عن حركية التاريخ ، بعد ان لم تعد بلاد الشرق مجرد « شيء » بل اصبحت « موضوعا » مساويا – تاريخيا وسياسيا – لدول اوروبا .

يقول انور عبد المالك فى وصف عناصر هذه الازمة :

« .. الا ان نهضة امم وشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، منذ نهاية القرن التاسع عشر ، واطراد تقدمها السريع ، نتيجة لانتصارات حركات التحرير الوطني فى العالم المستعمر سابقا ، وكذلك ظهور الدول الاشتراكية ، والتمايز الجوهري بين الاوريبتين . كل ذلك زعزع هيكل الاستشراق التقليدي ، وقوض أسسه .. وسرعان ما تنبه الاختصاصيون ، والجمهور الى هذا التخلخل ، ليس فحسب بين علم الاستشراق وموضوع الدراسة ، ولكن ايضا – وهذا يعتبر عاملا حاسما – بين المفاهيم ، والمناهج ووسائل العمل فى العلوم الانسانية والاجتماعية ، وبين مقابلها عند حركة الاستشراق . . .

لقد وجد الاستشراق التقليدي نفسه متخلفا بالنسبة لتطورات البحث العلمي ، وذلك نتيجة للنهضة القومية فى الشرق ، وتغير تاريخ شعوبه . . . » .

وأمام هذه الازمة ، وجدت ردود فعل مختلفة ولكنها تتمثل فى مظهرين جديدين للاستشراق :

1) **الاستشراق الجديد فى أوروبا** : وقد لخص مفهومه العام جاك بيرك ، فى الدرس التدشيني الذي القاه بكوليج دي فرانس سنة 1956 . ورغم انه حث المستشرقين على عقد صلات وثيقة بالاقطار الشرقية ولقائهم ، ليتمكنوا من فهم التيارات الجديدة ، الا انه اكد عجز الشعوب العربية والاسلامية عن اعادة التفكير فى حضارتها ، ووصفها بأنها غير قادرة على ايجاد الوسائل والمعلومات التى تتيح لها العمل والتقدم .

واضح ان حركة الاستشراق الجديدة فى اوربا ، لم تستطع التخلص من عقدة « الوصاية » !

2) **الاستشراق الجديد فى القطاع الاشتراكي** : وهو ينطلق من مفهوم عام يقر نهاية التفوق الاوربي سياسيا (كما أثبت ذلك مؤتمر باندونغ ، وتقريرات اليونيسكو، وتقرير هاتيير ، والتقريرات الايديولوجية لقادة الصين)

وعند انعقاد المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين فى موسكو ، جاء فى خطاب السيد ميكويان:

« ... ان واجب المستشرقين فى اعمالهم ، هو ان يعكسوا – بموضوعية – التطورات الهامة لاقطار افريقيا وآسيا ، وان يساعدوا بكيفية خلاقة على طرح المشاكل الاساسية التى تجابه شعوب الشرق فى كفاحها من أجل التحرر القومي والمجتمعي ، وتدارك التأخر الاقتصادي » .

والغالب على دراسات حركة الاستشراق الجديد فى القطاع الاشتراكي ، اهتمامها بالدراسات الافريقية الاسيوية المتصلة بالحاضر ، مثل : التخلف ، وتاريخ التوسع الامبريالي ، والحركات الوطنية ..

ومن الملاحظ أن امكانيات ووسائل العمل لدى مستشرقي القطاع الاشتراكي قليلة ومحدودة اذا ما قيست بالامكانيات المتوفرة للمستشرقين الاوربيين .. الا أن الاهتمام يتزايد يوما عن يوم ، كما يشهد بذلك نشاط المطابع والمعاهد فى الاتحاد السوفياتي .

ان هذه الاهمية التي تكتسيها حركات الاستشراق لا تعني صلاحيتها المطلقة لرصد وتفسير حضارات الشرق وثقافاته .. ذلك أن فترة « الوصاية » والتفوق السلالي او السياسي قد انقضت الى غير رجعة وابناء الشرق – والعالم الثالث بعامة – قادرون اليوم على تحمل مسؤولياتهم فى اعادة دراسة تاريخهم وتوجيه مستقبل ثقافاتهم .

الرباط : محمد برادة

من نشاط وزارة الأوقاف

◆ عهد صاحب الجلالة الى وزير عموم الاوقاف المكلف بالشؤون الاسلامية بالاشراف على تهييء دار الحديث ، التي دشنها جلالته ليلة القدر ، وتجري الدراسات الفنية بالوزارة بناء على تعليمات صاحب الجلالة ليكون جامع السنة بالرباط مقرا صالحا لهذه المؤسسة الدينية الهامة . ومعلوم ان صاحب الجلالة سينفق من ماله الخاص على تهييء البناء اللازم ليصبح هذا المسجد مؤسسة صالحة للدراسة ، كما تجدر الاشارة الى ان هذا الجامع اسسه عالم الدولة العلوية المرحوم مولاي محمد بن عبد الله .

◆ قام وزير الاوقاف بالنيابة عن صاحب الجلالة وبمحضر عامل المدينة وعدد من الشخصيات الرسمية بتدشين مسجد بالدار البيضاء بناه المواطن عبد الرحمن اغدش من ماله الخاص ، وقد القى الوزير بالمناسبة كلمة نوه فيها باعمال الخير واثنى على شهامة المواطن المغربي السيد عبد الرحمان كما اشار الى الاهمية التي تلعبها المساجد فى حياة المواطنين .

◆ قام وزير الاوقاف نيابة عن العاهل المفدى وبمحضر عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية بوضع الحجر الاساسي لمسجد بحي كليز بمدينة مراكش ، وقد كانت الحاجة ماسة الى هذا المسجد بالنظر الى ازدياد عدد سكان هذا الحي المسلمين منذ ان حصل المغرب على الاستقلال ، وقد القى الوزير بالمناسبة كلمة نوه فيها بالعناية التي يوليها صاحب الجلالة لشؤون الدين والاهتمام الذي يخص به بيوت الله من حيث انشائها وعمارتها واصلاحها .

◆ احدثت الوزارة نظاما جديدا يتعلق بوضعية النظار ، وقد شرع قسم الموظفين بالوزارة منذ سنة تقريبا ، وبناء على دراسة هامة فى ادماجهم باطار الموظفين ، براتب قار يتناسب مع مدخول نظاراتهم ، وقد كان النظار فى الوضعية السابقة يعتمدون فى رواتبهم بالدرجة الاولى على اجرة القبض التي تمثل 5 ٪ من مدخول النظارة ...

ومن جهة اخرى احدثت الوزارة قسما خاصا يدعى — قسم مراقبة المداخل — يهتم بمراقبة سير النظارات ، ويعتبر هذا القسم بتنظيمه الحالي مرآة ينعكس عليها بوضوح نشاط كل نظارة .

◆ مثل وزير الاوقاف المكلف بالشؤون الاسلامية امام اللجنة البرلمانية المكلفة بالشؤون الاسلامية حيث قدم تقريرا عن مختلف اوجه نشاط وزارته ، وتحدث عن الانجازات التي قامت بها وزارة الاوقاف فى الميدان الروحي والاجتماعي والفلاحي والعمراني ، والجهود التي تواصلها الوزارة لتنمية مداخليها .

◆ قامت الوزارة باصلاح عدد من المساجد في مدينة الرباط منها : مسجد مولاي سليمان حيث انفقت عليه 7.800 درهم ، والمسجد الاعظم ، ومسجد اهل فاس .

◆ قامت الوزارة بمدينة الدار البيضاء باصلاح مسجد الشلوح وتجهيز المسجد المحمدي من جديد بالكهرباء ، كما ادخلت تحسينات مهمة على كل من مسجد الهواري ، ومسجد الحمراء ، والمسجد الاعظم .

◆ تنوي الوزارة مضاعفة غرس اشجار الزيتون مباشرة او مع الغير في ناحية فاس ، ويقدر عدد الاشجار ب : 37.500 ، وتجدر الاشارة الى ان السكان في هذه المنطقة يقبلون على استئجار الاراضي نظرا للتسهيلات التي وضعتها الاحباس ، فبامكانهم ان يصبحوا مالكين لثلث الارض وثلث الانتاج اذا نجحوا في رفع نسبة الانتاج الى الحد الذي وضعته الوزارة .

◆ في ناحية صفرو ستقوم نظارة الاحباس هناك بتنقية بعض الاراضي واستصلاحها وذلك بغية غرسها ب : 3 000 شجرة من الزيتون .

◆ ستشرع نظارة تازة بمعونة التجديد القروي، في غرس غابة باشجار الزيتون ، وستعمل الوزارة على تلبية الطلبات الكثيرة الواردة عليها بشأن الاستغلال الذي يعطي الحق في تملك ثلث الارض والانتاج .

◆ في نية الوزارة ان تغرس في ناحية مكناس وزرهون ما يقارب 15.000 شجرة من الزيتون والمشمش وذلك بناء على التجارب السابقة التي نجحت في هذه المنطقة .

◆ تتابع نظارة مراكش وورزازات وتارودانت والصويرة وبني ملال نشاطها الفلاحي ، وذلك بتشجير الاراضي الحبسية بالزيتون ، والمشمش والبرتقال واللوز ، والكاليبتوس ، ويقدر عدد هذه الاشجار ب : 176.000 شجرة .

◆ بلغت المساحة التي غرستها الاحباس الى آخر سنة 1963 : 4216 هكتار ، وبلغ عدد الاشجار المغروسة من مشمش وكاليبتوس وبرتقال وانواع اخرى 2.021.562.

وتعتزم الوزارة في بحر السنة الحالية غرس مساحة 704 هكتار بما يقارب 265.303 شجرة .

تصويب أخطاء

وقعت بعض الاخطاء المطبعية في مقالة الاستاذ عبد الله الكامل الكتاني المنشورة بالعدد الماضي ارتأينا أن ننبه اليها مع الاعتذار لصاحب المقالة .

الصفحة	السطر	الصواب	الخطأ
46	16	يرتادها	ارتادها
46	31	المفتن	المفتي
46	41	منهكة	منهمكة
47	20	زاعمين العمل ميدانا	زاعمين ميدانا
47	23	الطائفة	الطاقة
47	76	غيرته	غيرته

الأنباء الثقافية

* بعثت رابطة علماء المغرب ببرقية الى الرئيس أيوب خان ، يطالبون فيها باطلاق سراح الشيخ ابو الاعلى المودودي .

* انعقدت بالرباط فى اواخر الشهر الماضي حلقة علمية لدراسة المعاجم الثلاثة التي وضعها المركز الوطني للتعريب ، بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب فى العالم العربي ، شارك فيها أساتذة يمثلون مختلف الاقطار العربية تمهيدا لحلقة المصطلحات العلمية المعربة التي ستنظمها الجامعة العربية بالتعاون مع المكتب الدائم للتعريب فى عاصمة الجزائر فى هذه الايام .

* زار المغرب اخيرا القصصي العالمي سومرست موم، واقام مدة فى مدينة مراكش فى استجمام وراحة .

* سيمثل للطبع الاستاذ علال الفاسي كتابا قديما للامير شكيب ارسلان ، عنوانه ((نداء الى الامة العربية)) الذي كان قد طبع فى أوائل هذا القرن ، ويتضمن افكار شكيب ارسلان فى الامة العربية ، والوحدة الاسلامية ، وسيصدر هذا الكتاب بمقدمة الاستاذ علال الفاسي .

* صدر العدد الاول من ((مجلة القصة والمسرح)) يديرها السيد عبد الجبار السحيمي ، وتتكون هيئة تحريرها من السادة : محمد المساري ، ومحمد برادة ، وعبد الجبار السحيمي .

* ادت الانسة فتيحة الصحراوي اليمين القانونية ، امام نقابة المحامين فى الجزائر كاول محامية جزائرية .

* فتحت بلدية تونس مسابقتها المسرحية الجديدة لسنة 1963 بين الكتاب التونسيين فى التاريخ ، والترجمة والاقتباس ، بالعربية الفصحى .

* يعكف الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس على تنقيح ومراجعة مقالاته ، وابحاثه المنشورة فى مختلف المجلات المغربية والشرقية لاخراجها فى كتب ثلاث .

وسيصدر الكتاب الاول بعنوان ((وحي البينة)) مشتملا على المقالات التي نشرها فى المجلة المذكورة .

* ستساهم لجنة البلدية فى الموسم الثقافي الجديد بتونس ، بتقديم مسرحيات تمثيلية وبتنظيم جوائز فى المسرح والقصة .

* أعلنت بلدية تونس ان جائزة علي البلهوان لسنة 1963 وقدرها 500 دينار ستمنح لاحسن انتاج ادبي من القصة الطويلة فى ان يكون مستوحى من صميم الحياة التونسية .

* تعمل جامعة ليبيا على اعداد مخطوط كامل لمدينة جامعية تضم الكليات ، والمعاهد ، والاقسام الداخلية الحديثة ، ومعهد عال للبعوث الاسلامية وغير ذلك من متطلبات المدن الجامعية .

* قررت الجامعة الليبية انشاء كلية اصول الدين ، ومناهجها الاهلي هو دراسة الحديث والتفسير ومتعلقاتها .

* ((بين يدي الله)) كتاب جديد يصدره قريبا عبد الرزاق نوفل ، يربط بين التصوف والعلم ، وهذا هو الكتاب الرابع عشر فى مجموعة نوفل .

* ((الوجود والعدم)) للكاتب الفرنسي جان بول سارتر ، يقوم بترجمته الان الى العربية عبد المنعم الحفني .

* عادت الجمهورية العربية المتحدة الى تقليدها بارسال المحمل الشريف الى الديار المقدسة فى موسم الحج لهذه السنة .

* يعكف الاديب السوري صالح الاشتر على كتابة دراسة عن ((الشعر فى سوريا من الحرب العالمية الثانية الى قيام الجمهورية العربية المتحدة))

* اصدر الشاعر عبد الكريم الكرمي مجموعة شعرية عنوانها ((المشرد))

❋ اعلنت جامعة الدول العربية عن جائزة تمنح لافضل مقال حول مساهمة العالم العربي فى الحضارة العالمية .

❋ ((الادب وفنونه)) و ((النقد والنقاد المعاصرون)) كتابان جديدان للدكتور محمد مندور .

❋ يستدل من الاحصاءات الرسمية الاخيرة بالقاهرة ان عدد مكفوفي البصر فى ج . ع . م . يبلغ 91 الف شخص ، والمصابين فى عين واحدة 131 الفا ، وعدد الصم والبكم 17 الف .

❋ بدات مؤسسة الثقافة بالقاهرة فى اعداد قاموس شامل لمصطلحات العمل والعمال باللغة العربية ومرادفتها بالانجليزية والفرنسية .

❋ صدر بالقاهرة كتاب ((فلسفة وفن)) للدكتورزكي نجيب محمود وهو كتاب يدور حول اثر التيارات الفلسفية فى الفن .

❋ ((المسرحية من ابسن الى اليوت)) تاليف ريمونيد وبمز وترجمة الدكتور فايزا اسكندر ،صدرت فى القاهرة .

❋ فى مسابقة المسرحية الطويلة التي نظمها المجمع اللغوي بالقاهرة ، فازت مسرحية ((فوق الابوة)) لمحمد رجب البيومي بالجائزة الاولى ، ومسرحية ((البيت القديم)) لمحمود دياب بالجائزة الثانية ، و ((هاروت وماروت)) لمحمد علي سليمان بالجائزة الثالثة .

❋ من كتب العلماء المصريين التي صدرت باللغة الانجليزية مؤخرا ((كتاب للدكتور محمد الظواهري فى الامراض الجلدية فى البلاد العربية ، وكتاب للدكتور رشدي شعير عن جيولوجية مصر ، وكتاب للدكتور عبد السلام بدوي عن التطورات السياسية ، وكتاب فى الجراحة للدكتور عبد العظيم رفعت ، وكتاب عن الفيولوجيا للدكتور محمد طلعت .

❋ صدر فى القاهرة ((الكتاب العربي فى عام 1962)) وهو عدد سنوي خاص من مجلة ((عالم المكتبات)) لرئيس تحريرها حبيب سلامة .

❋ كشفت ارملة الكاتب الاميركي ارنست همنجواي اخيرا عن اربعة كتب لزوجها لم تنشر بعد . الاول يتحدث عن باريس فى الفترة ما بين 1920 و 1930 ، والثاني قصة طويلة عن فترة الحرب العالمية الثانية ، والثالث عن رحلاته فى افريقيا خلال عامي 1953 و 1954 والرابع مجموعة من القصص القصيرة والاشعار .

❋ تم طبع رواية ((انطونيو وكليوباترا)) باللغةالروسية بمناسبة الاحتفال الذي سيقيمه الاتحاد السوفياتي فى هذا العام بمناسبة انقضاء 400 سنة على ميلاد الشاعر وليام شكسبير . وقد قام بالترجمة الشاعر السوفياتي طلعت ايوف .

❋ خصصت كل صحف الصين الشعبية صفحاتها الاولى فى الشهر الماضي لنشر قصائد ماوتسي تونغ وهذه القصائد لم تنشر من قبل ، وكلها تدور حول الطبيعة والثورة .

❋ ((الايمان)) مجلة شهرية دينية تاريخية ادبية صدرت بالنجف لصاحبها الشيخ موسى اليعقوبي . وقد صدر العدد الاول منها ممتازا وخاصا بمناسبة مرور 13 قرنا على ميلاد الامام جعفر بن محمد الصادق .

❋ افتتحت فى متحف اللوفر بباريس ست قاعات جديدة فى الطابق الاول من بينها قاعة خاصة بالفن الصيني .

❋ عثر الباحثون فى لندن على مجموعة جديدة من الاوراق كتب فيها برناردوشو مذكراته الشخصية فى بداية شهرته الادبية ، وهذه الاوراق تكشف الكثير من اسرار حياة شو . ويقوم الآن بعض الادباء باعدادها للنشر .

ويقال انها ستكون مفاجاة تلقي اضواء جديدة على حياة شو ، خاصة على عكس ما هو مشهور عنه .

❋ تقوم حاليا فى كوبا حركة واسعة النطاق لترجمة المؤلفات الاشتراكية التي يقول عنها كاسترو : انها مدرسة الثورة . وقد اخرجت دار النشر السياسية فى هافانا الجزء العشرين من مؤلفات لينين ومختارات من ماركس وانجلز عن الادب والصحافة وتحالف الفلاحين والعمال .

❋ تم اخيرا انشاء جمعية جديدة للاساتذة العرب فى الولايات المتحدة . ومعلوم بانه تعطى الان فى عدد من الجامعات الاميركية دروسا باللغة العربية بعد أن اخذت تنتشر بصورة ملحوظة فى الولايات المتحدة .

❋ سيقضي مراد علي قادري الخبير الباكستاني فى اللغة العربية ، والمحاضر بها فى جامعة السند ، مدة عامين فى بريطانيا ، ليعيد طبع مؤلف عربي ، بقلم حسن بن محمد اللاهوري الذي كان حجة فى علم الكلام من مدينة لاهور ، وقد ذهب الى بغداد فى القرن الثالث عشر لتكريس حياته للتضلع باللغة العربية الفصحى ،

وتوجد فى المتحف البريطاني مخطوطة عربية محفوظة بشكل مدهش بقلم حسن بن محمد اللاهوري .

✽ صدر فى برلين الغربية اصغر كتاب فى العالم ، مربع الشكل ، طول ضلعه 6 ملم ، ويحتوي على 12 صفحة ، وبها نص القسم الذي تعهد فيه الرئيس لينكولن بالعمل فى سبيل الحرية . وتباع مع هذا الكتاب عدسة .

✽ قالت صحيفة ((كومسومو لسكايا برافدا)) انه يبدو ان أحد العلماء السوفييت حصل على كائنات حية من مواد غير حية ، وذلك لاول مرة فى التاريخ . وقالت الصحيفة أن الدكتور فاسيلي كالينتكو ، مدير احد المعامل البيولوجية التابعة لاكاديمية العلوم السوفييت كان هو نفسه « حذرا » اذ وصف ما حصل عليه بانه تكوينات « تشبه الحياة » .

✽ صدرت للاستاذ انيس المقدسي ثلاثة كتب عن الاتجاهات الادبية فى العالم العربي الحديث ، وتطور الاساليب النثرية ، وامراء الشعر العربي فى العصر العباسي .

✽ سيظهر للمثلة الفرنسية سيمون سنوريه كتاب عن كفاح الجزائر قريبا . وهذه الكاتبة منتظمة ضمن جمعية انصار استقلال الجزائر .

✽ يصدر فى دمشق قريبا ديوان ((البعث والربيع)) لصالح درويش صاحب مجموعة اشياء عذبة .

✽ صدرت فى بيروت طبعة ثانية من كتاب جورج حنا ((قبل المغيب)) وهو يروي فيه تجاربه منذ قبل الحرب العالمية الاول حتى الان .

✽ ((عشاق فى المنفى)) عنوان رواية أعدتها للطبع سلمى الخضراء الجيوشي .

✽ منحت فى لبنان جائزة سعيد عقل الشهرية للفنانة الانسة فيكي نمرابديان .

✽ ((قيثارة الجبل)) مجموعة شعرية صدرت فى لبنان للشاعر مارن ترم .

✽ صدر لعبد الله القصيمي كتاب ((العالم يس عقلا))

✽ ترجم دريني خشبه الجزء الاول من كتاب ((تاريخ المسرح فى 3 الاف سنة)) وهو من تاليف شلون تشيني.

✽ الشاعرة ملك عبد العزيز انتهت من تاليف ديوانها الجديد الثاني بعنوان ((قال المساء)) .

✽ شرعت دار الكتب فى حلب فى تصوير عدد من المخطوطات العربية القديمة التي تضمها مكتبة الاتحاف الاسلامية خشية ضياعها او تلفها .

✽ ((خطرات فكر)) كتاب ظهر فيه حديثا للاستاذ سعد صائب .

✽ ذكر جراح امريكي انه تمكن من ابقاء رجل على قيد الحياة عدة اربعة ايام بواسطة مضخة اصطناعية خيطت بقلبه .

✽ احتفل عميد الادب العربي الدكتور طه حسين بعيده الرابع والسبعين .

✽ اختير الدكتور طه حسين عضوا فى مجلس جائزة ((بلزان)) الايطالية . وهي جائزة دولية على طراز جائزة نوبل .

✽ اصدرت اللجنة الموسيقية العليا الجزء الثالث من كتاب ((تراثنا الموسيقي)) الذي يصدره معهد الموسيقى العربية بالقاهرة .

✽ بمناسبة دخول مجلة ((المنهل)) فى عامها الثلاثين ، تستعد ادارتها من الان لاصدار عدد ضخم ممتاز يشتمل على تطور البلاد ، وتطور الادب والصحافة فى هذه الحقبة . ويشترك فيه شخصيات بارزة من رجالات الدولة والادب بحيث يكون سجلا حافلا بمراحل التطور .

✽ بدأت اتحادات الجامعيات فى دولة عربية فى الاستعداد للاشتراك فى مؤتمر الجامعيات الذي سيعقد فى ابريل المقبل فى بيروت . والغرض الرئيسي من المؤتمر هو تكريس جهود المراة الجامعية فى كل البلاد العربية وتنظيمها لخدمة بلادها ، والعمل على تكوين اتحادات للجامعيات فى كل بلد عربي ، وذلك حتى تستطيع المراة العربية المثقفة تنظيم صفوفها .

✽ صدر الجزء الثاني من كتاب ((النهضة الصحفية فى لبنان)) لجورج سعادة وهو يقع فى الف صفحة ويتضمن حلقات جديدة وفصولا كاد الزمن يطويها .

✽ صدرت منشورات عديدات ببيروت ((12 قصة من حلب)) ساهم فيها الدكتور شكيب الجبري ، مظفر سلطان خليل الصنداوي ، صباح محي الدين ، فاضل السباعي ، جورج سالم ، وليد اخلاصي ، فاتح الدرس، على بدور ، عبد الرحمن البيك ، رنيه عبودي ، عدنان الدعوان .

* ((الطبيب الصغير)) كتاب عن عالم الاطفال صدر في بيروت للشاعرة ادفيك جرديني شيبوب .

* ((الحوار الاخرس)) هو عنوان الرواية الثانية لليلى عسيران صدرت مؤخرا في بيروت .

* ((وارتفع الستار)) 9 مسرحيات ترجمها الى العربية سمير شيخاني وصدرت في لبنان .

* ستقوم وزارة الثقافة في الهند بترجمة قصة محمد عبد الحليم عبد الله ((جنة العذاري)) الى اللغتين السنسكرتية والاوردية .

* ((الراحل)) قصة لمظهر الموحي صدرت مؤخرا في لبنان .

* قد تؤدي التجارب العلمية الجارية الان في بريطانيا الى ايجاد طريقة يتمكن بها الابكم من التحدث والاعمى والاصم من القراءة . وتسير التجارب الحالية في اتجاه ايجاد اتصالات الكترونية من خلال الاصابع ، او من خلال جلد المعدة ، او من خلال احد الشرايين يوصل المعلومات المطلوب نقلها الى الدماغ ، وتقوم الان جامعة كمبردج بابحاث تستهدف تحقيق هذا الغرض .

* صدر في لندن في هذه الايام كتاب بقلم هيوبرت كول يتحدث فيه عن القضية التي شغلت اوربا والعالم كله اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية وعلى قضية بيار لا فال .

* منحت احدى جامعات امريكا الدكتورة الفخرية الى ملكة اليونان فريدريكا .

* صدر للدكتور زكريا ابراهيم كتاب عن الحب .

* افرغت 33 قطعة من مدفن توت عنخ امون من صناديقها في مونتريال تمهيدا لعرضها لمدة شهر في متحف الفنون الجميلة . وقد اكتشف قبر الفرعون توت عنخ امون الذي عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكانت هذه المعروضات قد تجولت في جميع انحاء الولايات المتحدة طوال السنتين الماضيتين . وستعرض في أوتاوا بعد عرضها في منتريال .

* زار عمان ميخائل نعيمة بدعوة من الاذاعة الاردنية فقدم محاضرة فيها بعنوان ((الغربة الكبرى)) .

* جاء في احصائية لوزارة التربية بفرنسا ان عدد الطلبة المسجلين في الكليات حتى يونيه 62 ، يبلغ 879 211 وتشير الاحصائية الى الانتماء الطبقي لهذا العدد الوافر من الطلبة ، ومنها تستنتج أن 64 من 1000 من بينهم هم ابناء الفلاحين .

* ذكر العلماء المختصون في الحفريات ــ في هذه الايام ــ ان عدد الناس الذين ولدوا منذ عصور ما قبل التاريخ ، أي العصور التي تعود الى ستمائة الف سنة مضت الى يومنا هذا بلغ 77 مليار نسمة . وتعداد سكان العالم اليوم 3 مليار ، ويحتمل ازدياد هم الى الضعف خلال السنوات السبعة والثلاثين القادمة .



فهرس العدد الخامس ـ السنة السابعة

دراسات اسلامية :

ابحاث ومقالات :

ديوان دعوة الحق :

القصة :